

مِسْكُ الْخِتَامِ فِي هَدْيِ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ فِي تَرْبِيَةِ الْبَنَاتِ الْحَسَنَانِ



تأليف
أُسَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللّطِيفِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلِ

دار صيد الخاطر

للنشر والتوزيع

مسك الختام

في

هدي النبي العدنان في تربية البنات الحسان

كل الحقوق
محفوظة

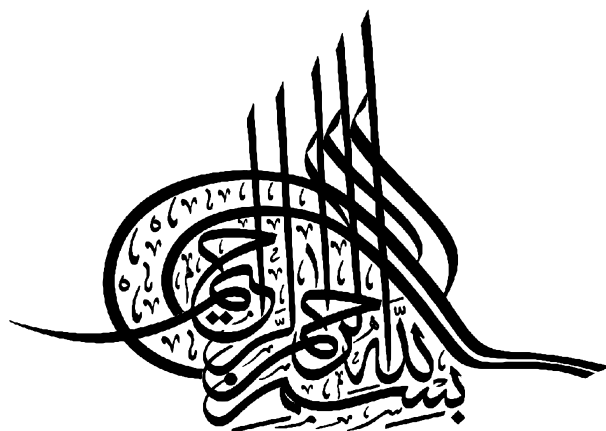
مسك الختام

في

هدي النبي العدنان في تربية البنات الحسان

تأليف

أسامة بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن الوكيل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وصاغ الفطرة على مقتضى حكمته وتدييره، وجعل الذرية من أجلّ عطايا اللطيف الخبير. والصلاة والسلام على نبي الرحمة، والأسوة الحسنة، أبي البنات وسيد السادات، محمد ابن عبد الله، الذي عظم حُرمة النساء، ونقل البشرية من مظالم الجاهلية ووَاد القوارير، إلى أنوار الكرامة ورياض الشريعة المطهرة، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

المقدمة

إن هذا الكتاب محاولة جادة لاسترداد مكانة الأنثى ورعايتها كما أرادها الشارع الحكيم، بعد أن تنازعتها في هذا الزمان موروثات جاهلية جائرة من جهة، وأهواء وعادات عصرية جارفة من جهة أخرى. وإننا في زمنٍ التبست فيه الكثير من المفاهيم الاجتماعية، حتى غدا التعبد المجتمعي، ومراعاة كلام الناس وخوف نقدهم، مقدماً عند البعض على مراد الله ورسوله في صيانة البنات وتربيتهن. ولقد أردنا في هذا السفر أن نرفع الغبار عن هذه الرياحين التي ذبلت بسبب الجفاء التربوي، أو أثقلت كواهلها بدع المهور والشكليات والرسوم الزائفة.

إن هذا الكتاب يطرح رؤية شرعية عملية بين جلال النص وواقع الحال، ليكون دليلاً للأب الذي يرجو بناء بيته على التقوى، وعوناً للابنة التي تنشد هويتها وعفتها في زمن الفتن والمغريات. وقد سلطنا فيه منهجاً استقصائياً يدرس المشكلات الاجتماعية في ضوء الوحي المعصوم، غايتنا في ذلك الوصول إلى المحضن الأسري السوي، الذي تكون فيه البنت هي المؤنسة الغالية حقيقةً، والستر من النار واقعاً ومآلاً.

❁ صناعة القوارير والمسؤولية التربوية :

إلى كل من استرعاه الله أمانة، وحمله مسؤولية بيت؛ إن التربية في ميزان الشريعة ليست مجرد وظيفة مادية عابرة، بل هي عبادة وقرية، والفارق بين التربية الحقيقية ومجرد الرعاية؛ هو الفارق بين بناء الروح وعمارة الوجدان، وبين ملء البطون وتوفير المتاع.

وفي هذه المقدمة، نؤصل لمفهوم القدوة العاطفية في المحضن الأسري؛ فالفتاة لا تستقيم بالفطرة عبر الوعظ الجاف والغلظة، وإنما بالاحتواء والمحبة المشبعة. ومن ثمّ نبحت في سبل بناء شخصية الفتاة بناءً متوازناً، لتملك بوصلة قيمية داخلية تعصمها - بتوفيق الله - وسط الفتن، فتنشأ صلبة العود في دينها، رقيقة القلب في تعاملها، طاهرة السريرة. إن الأبوة الراشدة هي التي تجعل من الأب الملاذ الأول لابنته، ومن البيت المحراب الآمن الذي تجدد فيه الصدق والأمان، وبذلك نغلق الأبواب أمام كل من يحاول استغلال الفراغ العاطفي الناشئ عن الجفاء الأسري. ولقد استلهمنا أدوات هذا البناء من مدرسة النبوة الأولى التي تخرجت منها فاطمة وزينب وعائشة رضي الله عنهن.

❁ بين الجاهلية الأولى والجاهلية المعاصرة:

إن إدراك أبعاد هذا الكتاب يتطلب فه حزم الموروثات المظلمة التي تخالف هدي الوحي. وإذا كان الواد في الجاهلية الأولى قتلاً للأبدان تحت التراب، فإن في عصرنا هذا وأداً معنوياً لا يقل خطورة؛ إذ تفتن البنت في دينها ونفسها بحرمانها من عطف أبيها أو تعقيد زواجها طلباً للمظاهر الكاذبة أو بمنع حقها في الميراث تقديماً لأعراف القبيلة والعائلة على حكم الله.

وهذا التمهيد يعد بياناً كاشفاً للمناطق المظلمة في الأعراف الاجتماعية، ليتجرد القارئ من سلطة المجتمع الزائفة ويعود إلى سلطة الوحي الرحيمة. وسنناقش فيه عواقب انحراف المفاهيم، وكيف صار كلام الجيران والناس أعظم ثقلاً عند البعض من نصوص الكتاب والسنة. إن هذا البحث يسعى لكسر تلك الحواجز النفسية التي تمنع تيسير المهوور، وتحول دون التعبير عن العاطفة المشروعة للبنات، وتنافي العدل بين الأولاد. وإنه لإعلان استقلال لكل أب يريد السير على هدي النبي ﷺ دون التفات للوم أو ملامة.

❁ مقاصد الكتاب وموضوعاته:

إن العناية بتربية البنات ليست مجرد قضية اجتماعية فرعية، بل هي من صلب الأمانة الشرعية التي يُسأل عنها العبد بين يدي الله تعالى. وقد جاء هذا الكتاب ليجمع هدي الوحيين في هذا الباب، ويقدمه بأسلوب عملي يربط النصوص بالواقع والتطبيق، حيث يستعرض البحث جملة من المسائل والمعالم، أهمها.

◆ بيان منزلة البنت في القرآن والسنة، وكيف نقلها الإسلام من الاستضعاف والامتهان إلى التكريم والتشريف.

◆ إبراز فضائل الإحسان إلى البنات، والبشارات الأخروية المترتبة على حسن رعايتهن.

◆ تتبع معالم التربية النبوية للبنات منذ الطفولة إلى الرشد، وكيف كان النبي ﷺ يبني النفوس ويقوم السلوك.

◆ أثر الحنان والاحتواء والحوار في صناعة الشخصية المؤمنة المتوازنة.

◆ أسس بناء الثقة والعفة والهوية الإيمانية في نفس الفتاة المسلمة.

◆ عرض نماذج مضيئة من سير أمهات المؤمنين وبنات النبوة والصحابيات رضي الله عنهن.

◆ التحذير من الأخطاء التربوية الشائعة في البيوع الأسرية وآثارها النفسية والاجتماعية.

◆ فقه الولاية الشرعية، والتمييز بين الرعاية الرحيمة والتسلط الجبري المقيت.

◆ صيانة الحقوق المالية للبنت في الإسلام، وحفظ ذمتها واستقلالها المالي.

◆ تأهيل البنت للحياة الزوجية بناءً على القواعد الشرعية المتوازنة، بعيداً عن الإفراط والتفريط.

◆ معالجة المشكلات المعاصرة والنوازل التي تواجه الفتيات، وربط الحلول بمنهج السلف الصالح.

❁ الرسالة الكبرى للكتاب:

أن البنت ليست عبئاً على كاهل الأسرة، ولا مرحلة عارضة تنتهي بالزواج، بل هي منحة إلهية وأمانة ربانية، ومشروع صلاح للأمة؛ والبيت الذي يقوم على هدي النبوة إنما يسهم في بناء جيل راسخ الإيمان، وعفيف النفس، وعالي الوعي.

أسامة بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن الوكيل





الباب الأول

هبة الوهاب ومنزلة البنات في هدي الوحيين



الباب الأول

هبة الوهاب ومنزلة البنات في هدي الوحيين

فإن من أعظم نعم الله على عباده نعمة الذرية، فهي من أجلّ عطاياه وأوسع أبواب الامتنان، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لَعَلَّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: ٧٢].

ومن تأمل كتاب الله وجد أن الذرية من أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه بالدعاء، قال سبحانه في وصف عباده الصالحين: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

والبنت داخلة في هذا الدعاء دخولاً أولياً، بل قد خصها الله بمزيد عناية في كتابه، إذ ذكرها في مقام الهبة والمنة، فقال سبحانه: ﴿يَلَلَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَنَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ [الشورى: ٤٩]. فبدأ سبحانه بذكر الإناث، وفي هذا التقديم لفئة عظيمة لأهل الإيمان، أن ما كان أهل الجاهلية يستثقلونه، جعله الله مقدماً في الذكر في مقام الهبة والامتنان.

وقد جاء الإسلام ليقب موازين الجاهلية، ويصحح المفاهيم البشرية، وينقل البنت من دائرة الاحتقار إلى دائرة التكريم، ومن كونها سبب هم في الجاهلية إلى كونها سبب أجر ونجاة في الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: «من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته، كن له حجابًا من النار يوم القيامة»^(١). فصبر على تربيتهن وتأديبهن وتعليمهن وأطعمهن، وألبسهن من غناه وطاقته، فلا يكلف فوق طاقته. وقال ﷺ: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»^(٢). إنما ذكرهن بالابتلاء لموضع الكراهة لهن، والثواب إنما يعظم على المكروه. وقال ﷺ: «من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين»^(٣). فهذه النصوص وحدها كافية لأن تعيد تشكيل نظرة الأب إلى ابنته؛ فهي ليست عبئًا، بل باب نجاة وسبب رفعة وطريق إلى الجنة.

﴿ وهذا الباب مبني على أصلين عظيمين من الوحيين: ﴾

◆ الأصل الأول: بيان منزلة البنت في الإسلام.

◆ الأصل الثاني: بيان هدي النبي ﷺ في تربيتها ورعايتها.

ليعلم الأب أن تربية ابنته ليست مجرد مسؤولية اجتماعية، بل عبادة شرعية، وقرينة ربانية، وأمانة يسأل عنها بين يدي الله يوم لقائه.

✽ المبحث الأول: الكرامة بعد الاستضعاف:

لقد قص القرآن حال الناس قبل الإسلام مع البنات، ليبين للناس مقدار النعمة التي جاء بها هذا الدين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، «باب بر الوالد، والإحسان إلى البنات» (٢/ ١٢٠٨ ت عبد الباقي).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة» (٢/ ١٠٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب فضل الإحسان إلى البنات» (٨/ ٣٨).

أَلْقَوْمٍ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٨﴾ [النحل: ٥٨-٥٩]. هذه هي صورة الجاهلية: حزن عند الميلاد، وضيق عند البشارة، واستثقال لعطية الله.

ثم بلغ الأمر ببعضهم إلى قتل البنات ووأدهن أحياء، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْتُ دَسَّ سُلَيْمًا ۖ أَيَّ دُثْبٍ قُنِلَتْ ۖ﴾ [التكوير: ٨-٩]. وفي هذه الآية من التعظيم لحرمة البنت ما يزلزل القلوب؛ إذ جعل الله السؤال للمظلومة لا للظالم، إظهاراً لبراءتها، وفضحاً لجرم قاتلها.

ونهى الله عن قتل الأولاد بسبب الفقر أو خوفه، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرِزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۖ﴾ [الإسراء: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]. فإذا كان الله قد تكفل برزقهم، فكيف يخشى الأب من ضمن الله رزقه؟

ثم جاء النبي ﷺ يقرر مكانة البنات ويغرس معاني الرحمة بهن. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين»^(١).

وعن عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»^(٢). وروي عنه ﷺ: «لا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب فضل الإحسان إلى البنات» (٨ / ٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة» (٢ / ١٠٩).

تكرهوا البنات؛ فإنهن المؤمنات الغاليات»^(١).

ﷺ فجمع الإسلام للبنت بين ثلاثة أمور عظيمة:

◆ حفظ النفس: بتحريم قتلها.

◆ وحفظ الكرامة: برفع شأنها.

◆ وحفظ الحقوق: بالإحسان إليها.

ولم يكتف النبي ﷺ بالتوجيه القولي، بل جسد ذلك عملياً، فكان يحمل أمانة بنت زينب في الصلاة، ويقوم لابنته فاطمة عليها السلام، ويقبلها ويجلسها مكانه.

عن أبي قتادة قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي للناس، وقد حمل أمانة بنت أبي العاص على عنقه، إذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها»^(٢).

وهكذا انتقلت البنت في ظل الوحي من مظلومة تُدفن، إلى مكرمة تُصان، ومن مستضعفة تُهان، إلى أمانة تُرعى، وسبب أجر يُرجى من الله جل في علاه. وهذا هو أول درس تربوي للأب: أن ينظر إلى ابنته بعين الوحي، لا بعين العرف، وأن يزنها بميزان الشرع، لا بميزان الناس والتقليد المجتمعي.

✽ المبحث الثاني: هبة الوهاب، والرضا بالموهوب:

إن أول لبنة في بناء البنت بناءً سوياً ليست الطعام ولا اللباس، وإنما الشعور الأول الذي تستقبل به في بيت أبيها؛ فإن القلوب قبل البيوت هي التي تصنع النفوس.

(١) أخرجه أحمد في المسند، «حديث عقبة بن عامر الجهني» (٢٨ / ٥٢٣ ط الرسالة).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، «حديث أبي قتادة الأنصاري» (٣٧ / ١٩٥ ط الرسالة).

فإذا امتلأ قلب الأب رضاً بقضاء الله، وبقيناً بحسن اختياره، واطمئناناً إلى قسمته، نشأت ابنته في بيئة أمان نفسي، وشعور عميق بالقبول والمحبة، وكان ذلك من أعظم أسباب توازنها النفسي واستقامتها السلوكية.

وقد قرر القرآن هذا الأصل العظيم في باب الذرية فقال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۖ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]. فهذه الآية أصل عظيم في باب الرضا؛ إذ بينت أن الذرية كلها هبة، وأن المعطي هو الله، وأن الاختيار اختياره سبحانه جل في علاه. وقد بدأ سبحانه بذكر الإناث قبل الذكور، فقال أهل العلم: في هذا تطيب لقلوب من رزق البنات، وكسر لما بقي في النفوس من آثار الجاهلية.

ووصف الله الولد بالهبة، والهبة عطية محضة بلا مقابل، ومن تمام الأدب مع الله أن تُستقبل عطايه بالشكر لا بالتسخط، وبالرضا لا بالاعتراض.

قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فكم من أبٍ تمنى ولداً، فرزقه الله بنتاً، فجعل الله على يديها من البر والخير والرحمة ما لم يكن يخطر له ببال.

وقد ضرب الله في كتابه أمثلة لنساء كنَّ من خير خلق الله، كمریم بنت عمران

التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

وذكر آسية بنت مزاحم مثلاً للمؤمنين، فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحریم: ١١].

فالبنات التي بين يديك قد تكون في مستقبلها من الصالحات أو العلمات أو المصلحات وغالبًا ما تكون البدايات من أسباب صنع النهايات بعد توفيق الله جل في علاه. فاجتهد في البدايات حتى تحصد ثمار النهايات.

وقد كان السلف يعظمون هذا المعنى، وكانوا يعلمون أن البنات من عطايا الله الخاصة، وأن الرضا بهن من تمام الرضا بالله.

فمن رضي بقسمة الله بورك له فيها، ومن شكر النعمة زاده الله منها، كما قال سبحانه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقد شرع النبي ﷺ العقيقة عن الجارية. قال ﷺ: «عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة»^(١). والعقيقة إعلان شكر وفرح لله جل في علاه، لا خجل ولا انكسار بين الناس.

❖ المبحث الثالث: المؤنسات الغاليات وحفاوة المعنى:

إذا كان الرضا بالبنات هو بداية الطريق، فإن الاحتفاء بها هو تمام هذا الطريق؛ إذ لا يكفي أن يقبلها الأب في نفسه، بل ينبغي أن يظهر لها المحبة، ويشعرها بالمكانة، ويغمرها بالعطف والأنس.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، «باب في العقيقة» (٣/ ١٠٥ ت محيي الدين عبد الحميد).

وقد جاء في الأثر عن النبي ﷺ: «لا تكرهوا البنات؛ فإنهن المؤمنات الغاليات»^(١). وهذه الكلمات النبوية تحمل معاني عظيمة.

فالمؤمنسات: من الأنس، وهو ضد الوحشة، والبنات في غالب أحوالها مصدر رحمة، ومورد حنان، ومجلبة سكينه لأهل بيتها كله.

وقد جعل الله من طبيعة النساء اللين والرحمة، فقال سبحانه: ﴿جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٦-٣٧].

ومن معاني عُرُبًا: المتحبيات إلى أزواجهن، وفي ذلك إشارة إلى ما فطر الله عليه المرأة من رقة العاطفة ولطف العشرة.

وجاء في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين»^(٢).

وهذا الحديث يدل على أن رعاية البنات ليست مجرد نفقة، بل هي مقام عظيم من مقامات الإحسان.

وأما وصفهن بالغاليات، فهو معنى دقيق؛ لأن الغالي هو النفيس المصون. وقد علمنا القرآن أن النفائس تحفظ وتصان، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَوَّا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]. فالبنات أمانة، وصياتها عبادة، وحفظها من الفتن مسؤولية.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

ومن مقتضى هذا الغلاء: حسن رعايتها، وحسن تعليمها، وحسن تأديبها.
فقال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١).

فإذا استشعر الأب أن ابنته غالية عند الله عظمت عنده، وزاد حسن تعامله معها، وصار بيته موطن أنس ورحمة وحنان للبنت.

✽ المبحث الرابع: الجزاء الأول في المآل الأخروي لمربي البنات:

من أعظم ما يبعث الأب على الصبر في تربية البنات، واستفراغ الوسع في الإحسان إليهن، استحضر ما أعدّه الله له من الثواب العظيم، فقد جعل النبي ﷺ الإحسان إلى البنات سبباً للنجاة من النار.

عن عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»^(٢). إنما ذكرهن بالابتلاء لموضع الكراهة لهن، والثواب إنما يعظم على المكروه. فتأمل قوله: «ابتلي»؛ فلا ابتلاء هنا اختبار للصبر، وامتحان للرحمة، وميزان للإيمان. ولم يجعل النبي مجرد وجود البنات سبباً للنجاة، بل قيد ذلك بالإحسان إليهن.

وقال القرطبي: بشيء من البنات، يفيد بحكم عمومته: أن الستر من النار يحصل بالإحسان إلى واحدة من البنات، فأما إذا عال زيادة على الواحدة فيحصل له زيادة على الستر من النار السبق مع رسول الله ﷺ إلى الجنة، كما جاء في الحديث الآخر، وهو قوله: من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: المرأة راعية في بيت زوجها» (٧ / ٣١).

(٢) سبق تخريجه.

وضم بين أصابعه^(١).

والإحسان يشمل: الإطعام، والتعليم، والتأديب، والعدل، والرفق، والحماية.

وقال ﷺ: «من كان له ثلاث بنات، يؤويهن، ويرحمهن، ويكفلهن، وجبت له الجنة»^(٢).

وجاء التطبيق العملي لهذا المعنى النبوي في حديث المرأة التي دخلت على عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها ومعها ابنتان، فعن عائشة أنها قالت: «جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتهما ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما ثمرة، ورفعت إلى فيها ثمرة لتأكلها، فاستطعمتهما ابنتاهما فشقت الثمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار»^(٣). فإذا كان هذا الثواب العظيم حصل لها بتمرة قسمت بعدل ورحمة بين البننتين، فكيف بمن قضى سنين عمره في التربية والرعاية والتعليم؟

وهذا من رحمة الله بعباده: أن جعل لهم أبوابًا عظيمة للأجر في أعمال قد يظنونها من شؤون الدنيا، وهي عند الله من أجل القربات.

فالأب الذي يسهر على ابنته، ويصبر على تربيتها، ويخاف عليها من الفتن،

(١) أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ)، «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب

مسلم»، «باب ثواب من ابتلي بشيء من البنات وأحسن إليهن» (٦ / ٦٣٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب فضل الإحسان إلى البنات» (٨ / ٣٨).

ويعينها على طاعة الله، ليس مجرد أب، بل هو عابد لله في صورة مربّي، يسعى إلى النجاة من النار من خلال هذه الأمانة العظيمة التي وهبها الله له.

وإذا كانت النجاة من النار مطلبًا عظيمًا، فإن المؤمن لا يقف عند حد النجاة، بل يطمح إلى رفقة النبي ﷺ في الجنة، وهي أعظم أمانٍ للصالحين. وقد جعل النبي ﷺ حسن القيام على البنات طريقًا إلى هذا الشرف العظيم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين»^(١).

وعن أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يكون لأحد ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، فيحسن إليهن إلا دخل الجنة»^(٢).

وفي رواية: «من عال ابنتين أو ثلاثًا، أو أختين أو ثلاثًا، حتى يبن أو يموت عنهن، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين»^(٣). هذا القرب النبوي ليس لمن أطعم فقط، بل لمن صبر، وربّي، ووجّه، وخاف الله فيهن.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١]. ومن أعظم أبواب السبق إلى الله: الإحسان في الرعاية التي تحت رعايته. فيا مربّي البنات، اعلم أن تعبك اليوم طريق قربك من نبيك غدًا في الجنة بمشيئة الله.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب ما جاء في النفقة على البنات» (٤/ ٤٣).

(٣) سبق تخريجه.

❖ المبحث الخامس: الهوية المعنوية والميثاق الأول، وحسن التسمية:

أول هدية يقدمها الأب لابنته ليست ثوباً، ولا ذهباً، وإنما اسماً حسناً تحيا به، وتعرف به في مجتمعها، وتدعى به يوم القيامة.

ومن أعظم صور العناية الإلهية بالذرية أن يتولى الله جل في علاه تسمية المولود بنفسه قبل أن يخرج إلى الدنيا، كما في قصة يحيى عليه السلام، إذ جاء النداء العلوي ليحسم الأمر قبل الولادة: ﴿يَنزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].

وفي هذا التعيين الرباني لاسم يحيى قبل مولده لفترة تربوية لكل أب؛ فإذا كان الله قد سمى يحيى تشریفاً واصطفاءً، فإن للأب نصيباً من هذا التشريف حين يختار لابنته اسماً يحيي قيمتها، ويصلها بهويتها. فالاسم في ميزان الوحي ليس مجرد رقمٍ للتعريف، بل هو بشارة تُزف، وقدّر يُرسم، فليكن اختيارك لاسم ابنتك كبشارة زكريا: اسماً يسر الفؤاد، ويحمل البركة، ويليق بكرامة من سماها الوحي قارورة.

وقال النبي ﷺ: «إِنْ أَحَبَّ أَسْمَاءُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»^(١). وكان النبي ﷺ يغير الأسماء القبيحة.

فعن ابن عمر: «أَنَّ ابْنَةَ لَعْمَرٍ كَانَتْ يُقَالُ لَهَا عَاصِيَةٌ، فَسَمَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَمِيلَةً»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «كتاب الآداب» باب النهي عن التكني بأبي القاسم (٦/ ١٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن» (٦/ ١٧٢).

وفي هذا درس عظيم: أن الاسم ليس مجرد لفظ، بل رسالة نفسية وهوية معنوية، فإذا سميت ابنتك باسم صالحات الأمة كفاطمة الزهراء، أو عائشة بنت أبي بكر، أو حفصة بنت عمر، رضي الله عنهن جميعاً، فقد ربطتها بالقدوة من أول يوم، فالاسم الحسن أول ميثاق الكرامة للبنات.

✽ المبحث السادس: بيت النبوة مدرسة الآباء:

ما من مدرسة تربية أعظم من بيت النبوة. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وكان من هديه ﷺ أعظم صور تكريم البنات. عن أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً وهدياً ودلاً من فاطمة رضي الله عنها، كانت «إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها، وقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده فقبلته، وأجلسته في مجلسها»^(١).

عن أبي قتادة الأنصاري: أن رسول الله ﷺ «كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب، بنت رسول الله ﷺ، ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها»^(٢). هذه ليست مجرد مشاعر، بل منهج عملي، فالنبي ﷺ علّم الأمة أن البنت موضع حب ظاهر، لا عاطفة مخفية.

كان رسول الله ﷺ قد زوج زينب وهي أكبر بناته بآبَن خالتها أبي العاص بن الربيع، وكانت أم أبي العاص هالة بنت خويلد أخت خديجة، فولدت لأبي

(١) أخرجه أبو داود في سننه، «باب ما جاء في القيام» (٤/ ٣٥٥ ت محيي الدين عبد الحميد).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب: إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة» (١/ ١٠٩).

العاص عليا فتوفي وقد ناهز الحلم، وقد كان رديف رسول الله ﷺ على ناقته يوم الفتح، وولدت له أمامة وهي المذكورة هاهنا. وتزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة فولدت له ولدا سماه محمد^(١).

وتتجلى في هذا المشهد ذروة الجلال ممزوجة برقة الجمال؛ حيث يقف إمام الأمة ونبي الرحمة ﷺ في مقام المناجاة بين يدي الله، وفي قلب أعظم فريضة، فلا يمنعه هيبة الموقف ولا جلال المحراب من أن يكون جدار أمان لحفيدته أمامة بنت زينب، وإن حملة ﷺ لها وهو يؤم الناس يعلن للعالم أن رعاية القوارير والرفق بالبنات ليس شاغلا عن العبادة، بل هو في صلب العبادة وروح الطاعة، وتأمل كيف يرفعها على عاتقه الشريف إذا قام، ويضعها برفق إذا سجد؛ وكأنه يرسم ميثاقا للأبوة الصالحة: أن من يحمل هموم بناته فوق عاتقه، يرفعه الله في الدنيا والآخرة، ولقد كسر النبي ﷺ بهذا الفعل الملموس جلالة الجاهلية التي كانت تأنف من قرب الإناث، ليجعل من ملمس كف أمامة الصغير على كتفه الشريف برهانا ساطعا على أن الدين الذي أقام الصلاة، هو الدين الذي أقام كرامة المرأة ورفع من شأنها منذ نعومة أظفارها.

❖ المبحث السابع: رفقا بالقوارير:

البنات قلب رقيق، وفطرة شفافة، ومشاعر سريعة التأثر، ولذلك كان الرفق أصلا أصيلا في تربيتها.

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، «كشف المشكل من حديث الصحيحين» «كشف المشكل من مسند أبي قتادة الأنصاري» (٢/ ١٣٧).

قال الله تعالى: ﴿فِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقال النبي ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»^(١). وقال لعائشة: «ارفقي فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولا نزع من شيء قط إلا شانه»^(٢). وعن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ في سفر، وكان معه غلام له أسود يقال له أنجشة يحدو، فقال له رسول الله ﷺ: ويحك يا أنجشة، رويدك بالقوارير»^(٣).

وحين قال النبي ﷺ: «يا أنجشة، رويدك رفقا بالقوارير»، أي أمهل، وتأَنَّ، وارفُق. لم يكن يطلب تهدئة سرعة الإبل فحسب، بل كان يُصغي بقلبه لاهتزاز المشاعر الرقيقة التي لا تتحمل خشونة المسير، وفي هذا النداء النبوي معنى خفي يُعلم الآباء أن الأنتى خلقت من مادة شعورية شفافه كالقوارير؛ يكشف صفاؤها عن جوهرها، ويُهدد كسرهما أدنى غلظة، فالرفق بها ليس تفضلا، بل هو ضرورة لبقاء صفاها، والأب المربي هو من يدرك أن كلمة حادة أو إهمالا عابرا قد يחדش تلك الزجاجاة التي لا تُلثمها كل كنوز الأرض؛ فكن لابنتك اليد الحانية التي تحمي قارورتها من صدمات الحياة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: كيف يرد على أهل الذمة السلام» (٥٧ / ٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، «باب في الرفق» (٤ / ٤٠٢ ط مع عون المعبود).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب ما جاء في قول الرجل ويلك» (٣٧ / ٨).

عن أنس بن مالك قال: «كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتطق به حيث شاءت»^(١). فالرفق يصنع الأمن، والأمن يصنع الشخصية. في هذا الحديث صفة حسن خلق رسول الله ﷺ إنه لم يكن ممتنعاً ولا بعيداً عن من يريد أن يكلمه، ويدل على أنه ﷺ كان من الأمانة وبعد الظنة بحيث لا يتأثر عرضه ﷺ بأن تذهب به الأمة حيث شاءت، ولأن للنساء حوائج كما للرجال، وللإمام من إنصافه وإنعامه كما للحرائر لأنه أبو الأمة^(٢).

ويتجلى كمال التواضع وجلال الاحتواء في مشهد تلك الأمة الصغيرة من إماء أهل المدينة، وهي تأخذ بيد سيد الخلق ﷺ، فتمضي به في سكك المدينة حيث شاءت، وهو يتبع خطاها الصغيرة بصدر رحب حتى يقضي لها حاجتها، فإن في هذا الانقياد النبوي ليد طفلة درساً بليغاً في بناء عزة البنت؛ فمن ملكت يد أبيها، ملكت الثقة في مواجهة العالم، فاجعل لابنتك من وقتك وهيتك مورداً لا ينضب، لتعلم يقينا أنها حين تستند إليك، فإنها تستند إلى ركن شديد، وأن حاجتها -مهما صغرت في عين الناس- هي في ميزان حبك قضية كبرى تستحق المسير.

✽ المبحث الثامن: التسوية بين البنين والبنات في الفرح والاستقبال:

من بقايا آثار الجاهلية الخفية: أن يُظهر الأب فرحه بالولد الذكر، ويضعف فرحه بالأنثى أو يوسع في الاحتفال بهذا دون تلك أو يجعل قدوم الذكر مناسبة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب الكبير» (٨ / ٢٠).

(٢) يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبو المظفر، عون الدين (ت ٥٦٠هـ)، «الإفصاح

عن معاني الصحاح»، «مسند أنس بن مالك» (٥ / ١٣).

فخر، وقدم الأنتى أمرًا عابرًا، وهذا وإن لم يكن من الواد الحسي، فقد يكون من الواد المعنوي الذي يترك أثره في القلوب.

وقد جعل الله الذرية كلها نعمة، فقال سبحانه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، والبنون هنا يدخل فيهم الذكور والإناث في أصل اللسان والمعنى.

وكان هدي النبي ﷺ قائمًا على العدل في المشاعر والمعاملة، لا يفرق بين ولد وولد لهوى النفس أو عادة المجتمع.

وقد قال ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»^(١). والعدل يبدأ من أول لحظة، ومن نبرة البشارة، ومن هيئة الفرح، ومن طريقة الاستقبال للمولود. فإن أول ما تدركه البنت من أبيها - وإن لم تفهمه لفظًا - تشعر به روحًا، وهي هل كانت مرغوبة أم محتملة؟ وهل كان قدومها سرورًا أم مجرد قبول؟

والنفوس الصغيرة تحفظ المعاني قبل الألفاظ، وتبني صورتها عن نفسها من مرآة والديها، فإذا استقبلها الأب بالفرح، نشأت على الشعور بالقيمة، وإذا استقبلها بالفتور، نشأت وفي قلبها نقص خفي.

ومن تمام شكر النعمة: أن يظهر أثرها على الجوارح، فرحًا وحمداً وإظهارًا للسرور بمولدها، وشكر الواهب على ما وهب.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة» (٥ / ٦٥).

❖ المبحث التاسع: ميزان العدل بين الأبناء:

العدل داخل البيت من أعظم أسباب سلامة القلوب. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال سبحانه: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

عن النعمان بن بشير قال: «انطلق بي أبي يحملني إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، اشهد أنني قد نخلت النعمان كذا وكذا من مالي. فقال: أكل بنيك قد نخلت مثل ما نخلت النعمان؟ قال: لا. قال: فأشهد على هذا غيري. ثم قال: أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء. قال: بلى. قال: فلا إذا»^(١).

وقال النبي ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»^(٢). فالعدل ليس في المال فقط، بل في العاطفة والاهتمام والتقدير، والبنات إذا شعرت بالعدل، نشأت مستقرة النفس، وإذا شعرت بالظلم، حملت جرحاً يدمي ألماً طول العمر.

❖ المبحث العاشر: الحماية الفكرية والبناء العلمي للبنات.

كما حمى الإسلام جسد البنت من الوأد، حمى عقلها من الجهل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وقال النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة» (٥/ ٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة» (٥/ ٦٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، «باب فضل العلماء والحث على طلب العلم» (١/ ٧٩ ت عبد الباقي).

وكان عليه السلام يخصص للنساء مجلساً للتعليم، ومن أعظم النماذج عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها، التي كانت من كبار فقهاء الأمة، فالبنت المتعلمة أعف وأبصر وأثبت، والعلم يحفظها من الانخداع والانقياد إلى ما لا يحمد عقباه.

ومما ينبغي استصحابه أن المعلم الأول للبنت هو أبوها؛ فقبل أن تتلقى العلم من المحاضن الخارجية، يجب أن تنهل من معين قيم أبيها وتوحيده وعبادته، اقتداءً بالسلف الذين كانوا يلقنون بناتهم أصول الدين قبل مخالطة المجتمع.

عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ورث والد ولداً خيراً من أدب حسن»^(١).

لله وكان من أهم المطالب في ذلك:

المطلب الأول: تعليم الشفاء بنت عبد الله حفصة، رضي الله عنها: فعن الشفاء بنت عبد الله، قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: «ألا تعلمين هذه رقية النملة»^(٢) كما علمتها الكتابة»^(٣).

المطلب الثاني: حفظ عائشة رضي الله عنها للقرآن في صغرها: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «لقد نزل بمكة على محمد ﷺ، وإني لجارية ألعب: ﴿بِالْسَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦]»^(٤)، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»^(٥).

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» «من اسمه سلم» (٤ / ٧٧).

(٢) النملة: قروح تخرج في الجنب ترقى وتبرأ بإذن الله.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، «باب ما جاء في الرقي» (٤ / ١٠ ت محيي الدين عبد الحميد).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، «قوله: (سيهزم الجمع ويولون الدبر)» (٦ / ١٤٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب تأليف القرآن» (٦ / ١٨٥).

المطلب الثالث: تعليم الناشئة للقرآن: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم»^(١).

رابعا: عاتكة بنت زيد وحضورها لدروس المسجد: وهي مثال للبنات التي تربت في المدرسة النبوية وحافظت على حضور مجالس العلم والقرآن.

عن نافع، عن ابن عمر قال: «كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ: لا تمتنعوا إماء الله مساجد الله»^(٢).

خامسا: حفصة بنت عمر وأمانة المصحف: دليل على تفوقها العلمي الذي جعلها مرجعاً لأعظم كتاب في تاريخ الأمة، فعن زيد بن ثابت في قصة جمع القرآن: «... فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر»^(٣).

✽ المبحث الحادي عشر: الولاية الحانية للبنات لا القسوة المفتعلة :

الولاية في الإسلام رحمة ومسؤولية. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب تعليم الصبيان القرآن» (٦ / ١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: هل على من لم يشهد الجمعة غسل، من النساء والصبيان وغيرهم» (١ / ٣٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب جمع القرآن» (٦ / ١٨٣).

وقال النبي ﷺ: «والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته»^(١). ومن رحمة الولاية أن جعل الشرع للبنت رأياً في زواجها. قال ﷺ: «والبكر تستأذن»^(٢). ونهى الله عن العضل فقال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. فالولاية الناجحة تجعل البنت تأوي إلى أبيها، ولا تفر منه. والأب الرحيم يني في ابنته الثقة، والكرامة، والطمأنينة.

وهكذا يتبين أن البنت في ميزان الوحي ليست عبئاً، بل نعمة، وليست همماً، بل باب أجر، فمن أحسن استقبالها، وأحسن تسميتها، وأحسن تعليمها، وأحسن رعايتها، وأحسن العدل معها، وأحسن الرفق بها؛ فقد سلك طريق النبوة في التربية. قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]. فاجعل ابنتك قرة عين لك، يكن لك عند الله بها ستر، وأجر، وقرب من نبيه ﷺ.

والولاية في الإسلام ليست قيداً يمنع التنفس، بل هي سياجٌ يحمي الثمار، والأب الحكيم هو من يجعل ولايته حصناً لابنته تركز إليه، لا سجنًا تتمنى الخلاص منه. ومن أعظم ما يعين على صلاح البنت بعد التربية: الدعاء لها؛ فإن القلوب بيد الله، والهداية محض فضله.

وقد كان الأنبياء يسألون الله صلاح الذرية، فقال زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨].

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت» (٤ / ١٤٠).

وكان عباد الرحمن يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]. فالدعاء سياج التربية، ورفيق البناء، ومدد المربي حين تعجز الأسباب. فكم من بنت أصلحها الله بدعوة صادقة في جوف الليل، وكم من قلب فتحه الله بكلمة خرجت من قلب والدٍ خائفٍ عليها.

فلا يغفل الأب عن هذا الباب العظيم، فإن التربية عمل، والدعاء استعانة، وما اجتمع العمل الصالح مع الافتقار إلى الله إلا أثمر صلاحًا وبركة في الأولاد. إن البنت في ميزان الوحي ليست مجرد إضافة وزيادة عددية في لأسرة، بل هي مشروع نجاة للأب في أخراه، وباب أنسٍ ورحمةٍ وزيادة رزق في دنياه. فمتى ما استقر في روع المربي أن رعاية ابنته عبادة يتقرب بها إلى الوهاب، تحولت مشقة التربية إلى لذة طاعة، وغدا بيته محضناً للمؤنسات الغاليات اللواتي يمهدن له الطريق إلى جوار النبي ﷺ في أعلى الجنان.





الباب الثاني

البنت من المهد إلى الرشد، ومدرسة البناء والحماية



الباب الثاني

البنت من المهد إلى الرشد، ومدرسة البناء والحماية

إن الانتقال بالبنت من مهد الطفولة إلى عتبة الرشد ليس مجرد رحلة زمنية تقطعها الأيام، بل هو مشروع بناء طويل، تتشكل فيه الروح، ويستوي فيه العقل، وتنضج فيه المشاعر. وإنها المرحلة التي تُغرس فيها البذور الأولى، ثم تسقى بماء التربية حتى تؤتي ثمارها عند اكتمال النضج.

وقد دل الوحي على عظمة هذا البناء، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]. قال علي بن أبي طالب عليه السلام في تفسيرها: علموهم وأدبوهم.

فالتربية في الإسلام ليست إطعاماً للأجساد فقط، بل بناءً للأرواح، وتحصيناً للعقول، وتهذيباً للنفوس.

وفي هذا الباب ننتقل من فرحة الميلاد إلى مسؤولية البناء، ومن الاستبشار بالهبة إلى أداء الأمانة، لنرى كيف كان هدي النبي ﷺ في صناعة بناته وحفيداته، وكيف أقام في بيته مدرسة تربية خالدة، تحفظ الفطرة، وتبني الشخصية، وتصنع المرأة المؤمنة التي تكون لبنة صلاح في بيتها وأمتها.

✽ المبحث الأول: احتواء البنت، وفقه اللمسة والحنان:

إن أول غذاء تحتاجه البنت بعد اللبن هو الحب، وأول ما تحتاجه بعد الحضانة الجسدية هو الحضانة الشعورية، فإن القلوب الصغيرة لا تنمو في أرض القسوة، وإنما تزهر في ظلال الرحمة.

وقد جعل الله الرحمة أصل العلاقة الأسرية فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وإذا كانت الرحمة مطلوبة بين الزوجين، فهي في حق الأولاد آكد وأوجب. وقد كان رسول الله ﷺ أعظم الناس رحمة ببناته.

عن أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ما رأيت أحدا كان أشبه سمتا وهديا ودلا من فاطمة، كانت «إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها، وقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده فقبلته، وأجلسته في مجلسها»^(١). تأمل هذا المشهد النبوي العظيم: قيام الأب لابنته، وتقيلها، وإجلاسها مكانه؛ إنه إعلان نبوي أن البنت ليست مهمشة في البيت، بل هي موضع تكريم ومحل احتفاء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: من لا يرحم لا يرحم»^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب رحمة الولد وتقيله ومعاقته» (٨ / ٧).

وهذه قاعدة عظيمة: من جف قلبه عن أولاده، جفّت عنه أبواب الرحمة من الله. إن القبلة على جبين البنّت، والمسح على رأسها، واحتضانها عند خوفها، ليست تصرفات عاطفية عابرة، بل هي بناء نفسي عميق، يجعلها تنشأ ممتلئة بالأمان، فلا تبحث عن التعويض خارج بيتها، ولا تتعلق بكلمة عابرة أو اهتمام مزيف من غريب. فالأب الحنون لا يربي جسد ابنته فقط، بل يبني حصون قلبها. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «قدم على النبي ﷺ سي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على ألا تطرحه، فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(١).

١- الاستثمار التربوي للمواقف الحية، والتربية بالحدث:

تأمل -أيها المربي الحصيف- كيف صاغ النبي ﷺ هذا الدرس التربوي العظيم. لم يلقِ خطبة نظرية جافة عن الرحمة، بل استثمر موقفاً واقعياً حياً اهتزت له مشاعر الصحابة وهم يرقبون تلك الأم الواهية التي أضاعت طفلها في زحام الأسر والخوف، فلما وجدته أخذته بلهفة، وألصقته ببطنها لتدفع عنه روع الغربة، وألصقته ثديها لتسقيه من حنانها قبل لبنها.

إن هذا يمنحنا قاعدة تربوية أصيلة: التربية باللفتة والموقف. حين ترى في بيتك موقفاً مؤثراً أو حدثاً عابراً، لا تدعه يمر دون أن تصنع منه مع ابنتك معنى إيمانياً أو تربوياً يرسخ في ذاكرتها مدى الحياة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته» (٨ / ٧).

٢- «فألصقته بطنها».. فقه التلاحم الجسدي والإشباع العاطفي، في قوله ﷺ: «فألصقته بطنها» لفئة نفسية تربوية بالغة الأهمية. فالطفل، والفتاة الناشئة على وجه الخصوص، بحاجة إلى اللمسة الحانية، والضممة الدافئة، والالتصاق الجسدي الذي يشعرها بالأمان.

إن البنت التي تكبر في بيت يشحّ فيه العناق، وتغيب عنه اللمسة الأبوية الحانية، تصاب بجوع عاطفي يجعلها تكره بيئتها، وربما تبحث عن هذا الدفء المفقود خارج أسوار المنزل. وإن ضمة الأب لابنته وتقبيل رأسها ليس مجرد ترف، بل هو مصّل واقٍ ضد اختراقات العابثين.

٣- الرحمة هي التربة الصالحة للتربية، لا بالقسوة والجفاء:

حين شبّه النبي ﷺ رحمة الله جل وعلا برحمة هذه الأم، أراد أن يرسخ في نفوسنا أن أصل العلاقة بين الخالق والعبد هو الرحمة، وبالتالي، فإن أصل العلاقة بين المرء والمرء يجب أن يكون الرحمة.

إن بعض الآباء يظن أن التربية هي السيطرة، والزجر، والملامح العابسة، والعقوبات المتوالية، وهذا لعمرو الله مسلك يورث العناد أو الانكسار. وإن الفتاة كالقوارير، رقيقة الفطرة، سريعة التأثر، لا يصلح معها العنف؛ فالشدة تكسرها، والرحمة تقيمها. ما دخل الرفق والرحمة في تربية فتاة إلا زانها، وما نزع منها إلا شائها.

٤- ربط قلب الفتاة برحمة الرحيم في زمن القنوط:

من أعظم الأزمات النفسية التي تواجه الفتيات المعاصرات الهشاشة النفسية

والشعور بالذنب أو الإحباط عند الوقوع في الخطأ، مما يستغله الشيطان ليقنطنهن من رحمة الله.

هنا يأتي دور المربي الواعي ليقول لابنته مستشهداً بهذا الحديث: يا بني.. إن تعثرت أو أذنبت، فلا تيأسي؛ فإن الله الذي خلقك هو أرحم بك من أملك التي ولدتك. إن تربية الفتاة على معرفة سعة رحمة الله يورث في قلبها حباً لله، وحياءً منه، وإقبالاً على طاعته عن رغبة وشوق، لا عن رهبة وخوف مجرد.

فيا أيها المربي: اجعل هذا الحديث شعاراً لرحلتك التربوية مع بناتك: إذا أردت أن تُطاع وأن تقتدي ابنتك بهدي النبي العدنان ﷺ، فامزج أمرك ونهيك بفيض من الرحمة والحنان؛ فقلوب الحسان لا تُفتح بأقفال الحديد، وإنما بلمسات الرحمة والوداد.

وإذا كان احتواء قلب البنت باللمسة والحنان هو أساس أمانها النفسي في مهدها، فإن هذا الحنان لا يكتمل أثره إلا بجبر خاطرها بكفاية بدنها وحفظ عزة روحها بالنفقة الطيبة...

❖ المبحث الثاني: النفقة الطيبة وكفاية البدن وعزة الروح:

إن النفقة على البنت ليست مجرد سد حاجة، بل هي إقامة كرامة. وقد قرر الله ذلك بقوله: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]. فكل نفقة ينفقها الأب على ابنته هي تجارة مع الله، وليست خسارة.

وقال رسول الله ﷺ: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على أهله»^(١).

وقال ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»^(٢).

وفي رواية: «أن يحبس عمن يملك قوته»^(٣). إن البنت التي يكفيها أبوها، ويغنيها عن الحاجة، تنشأ عزيزة النفس، محفوظة الكرامة.

وقد علّم النبي ﷺ الأمة هذا المعنى حين قال لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس»^(٤). فالفقر ليس نقص مال فقط، بل قد يكون سبباً لانكسار النفس.

والأب الحكيم هو الذي يجعل نفقته على ابنته باباً من أبواب التربية، فيربط العطاء بالبشاشة، والكسوة بالمودة، والهدية بالاحتواء. فالبنت التي تنمو في كفاية، يقل تعلقها بما في أيدي الناس، ويعظم استغناؤها بالله ثم بأهلها.

بيد أن كفاية البدن بالكسوة والطعام ما هي إلا شطر البناء، والشطر الأعظم والحصن الأبقى إنما يكون بغذاء العقل وبناء الوعي بسلاح العلم...

✽ المبحث الثالث: سلاح العلم وبناء الوعي وحراسة الفضيلة :

إذا كان الجسد يحتاج غذاءً، فإن العقل يحتاج علماً، والروح تحتاج بصيرة.

وقد افتتح الله الوحي بالأمر بالقراءة فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب فضل النفقة على العيال، والمملوك» (٣ / ٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، «باب في صلة الرحم» (٢ / ٥٨ ط مع عون المعبود).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب فضل النفقة على العيال، والمملوك» (٣ / ٧٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، «وفضل النفقة على الأهل» (٧ / ٦٢).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. فالعلم في الإسلام ليس زينة، بل ضرورة للنجاة في الدنيا والآخرة.

وقال النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١). وهذا يشمل المرأة كما يشمل الرجل.

وقال ﷺ: «من كانت له ابنة فأدبها فأحسن أدبها، وعلمها فأحسن تعليمها، وأوسع عليها من نعم الله التي أسبغ عليه، كانت له منعة وسترة من النار»^(٢). فتأمل كيف جمع الحديث بين الأدب والعلم؛ لأن العلم بلا أدب قد يكون وبالاً، والأدب بلا علم قد يكون قاصرًا.

وكانت النساء يطلبن العلم من النبي ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري: «قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك. فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار. فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: واثنين»^(٣). وفي هذا أعظم رد على من يظن أن تعليم البنات أمر ثانوي.

إن البنت إذا تعلمت دينها، عرفت حدود ربها، وعرفت حقوق نفسها، وأبصرت طريقها. والجهل في حقها خطر مضاعف؛ لأنه قد يجعلها لقمة سائغة للانحراف أو الخداع. فكما قيل: العلم يحرس الفضيلة كما يحرس السور المدينة.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، «باب فضل العلماء والحث على طلب العلم» (١ / ٧٩ ت عبد الباقي).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» «باب» (١٠ / ١٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم» (١ / ٣٢).

❖ المبحث الرابع: فقه العدل وميزان القلوب:

إن العدل في البيت هو عمود الطمأنينة، وإذا اختل ميزان العدل اختلت معه النفوس. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. وقال سبحانه: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

وفي البيت النبوي قرر رسول الله ﷺ هذا الأصل العظيم فقال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»^(١). فالعدل ليس في المال فقط، بل في النظرة، والابتسام، والاهتمام، والتقدير.

وقد كان من الجاهلية الخفية تفضيل الذكور شعوريًا على الإناث. فجاء الإسلام ليكسر هذا الميزان الفاسد. والبنات إذا رأت العدل في بيتها، نشأت مطمئنة، مستقرة، غير محملة بعقد المقارنة أو جراح التمييز.

وأما إذا نشأت وهي ترى أخاها مقدمًا عليها بلا حق، فقد تحمل في صدرها ألماً لا يظهر، لكنه يؤثر في شخصيتها سنين طويلة، فالعدل بين الأولاد ليس تنظيمًا للأسرة فقط، بل علاجًا للقلوب.

وهذا العدل الذي يزرع الطمأنينة داخل أسوار البيت، هو ذاته الذي يُثمر غيرة راشدة تحرس هذه الجوهرة إذا خرجت إلى معترك الحياة...

❖ المبحث الخامس: الغيرة الراشدة وصيانة الجوهرة:

الغيرة في الإسلام ليست شغًا، بل حماية، وليست تضيقًا، بل رعاية. قال

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب الإشهاد في الهبة» (٣/ ١٥٨).

رسول الله ﷺ: «إن الله يغار، وإن المؤمن يغار»^(١). فالغيرة صفة إيمانية إذا انضبطت بالشرع.

وقال الله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦].

ومن أعظم الوقاية أن يغار الأب على دين ابنته، وعلى حياتها، وعلى سمعتها، وإن البنت تشعر بقيمتها حين ترى أباه يغار عليها غيرة الحكيم، لا غيرة المستبد، فيحفظ لباسها، ويراقب صحبتها، ويتابع بيئتها، ويحرس قلبها من أسباب الفساد، ولكن هذه الغيرة لا تتحول إلى تجسس، لأن الله قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]. فهي غيرة مبصرة، قائمة على الحكمة، لا على الهوس. وهكذا تبقى البنت جوهره مصونة، لا سلعة معروضة.

❖ المبحث السادس: البيئة الطاهرة واختيار محضن الصلاح:

إن أعظم ما يؤثر في البنت بعد بيتها هو بيئتها، فالنفوس تتأثر، والطباع تنتقل، والرفقة تصنع كثيراً من الملامح الخفية.

قال النبي ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(٢).

وقال ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك وناfox الكبير»^(٣).

فالصديقة الصالحة ليست مجرد رفقة، بل بيئة إيمانية كاملة، وعلى الأب أن يعتني بمن تدخل ابنته عالمها.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب غيرة الله تعالى، وتحريم الفواحش» (٨ / ١٠٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب في العطار وبيع المسك» (٣ / ٦٣).

قال الله تعالى: ﴿الْأَخْلَافُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. فكم من بنت صالحة أفسدتها صحبة فاسدة، وكم من فتاة مستقيمة ثبتتها صحبة صالحة، وإن واجب الأب ليس فقط أن يمنع الشر، بل أن يصنع البديل، فيربطها بحلق العلم، ومجالس الذكر، وصحبة الصالحات، فالبنت ابنة بيتها كما هي ابنة بيتها.

❖ المبحث السابع: الحوار المهادي وبناء جسور الثقة :

إن من أعظم ما تقوم عليه التربية الناجحة: حسن الحوار، فإن الكلمة إذا خرجت في ثوب الرحمة دخلت القلب، وإذا خرجت في لباس القسوة ارتدت على صاحبها. وقد جعل الله الحوار سبيل الأنبياء في التربية والدعوة، فقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام وهما ذاهبان إلى أعتى أهل الأرض: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا﴾ [طه: ٤٤]. فإذا كان اللين مأمورًا به مع فرعون، فهو مع البنت أولى وأوجب.

والبنت بطبيعتها كائن وجداني، تتأثر بنبرة الصوت قبل معنى الكلام، وتقرأ المشاعر من قسّمات الوجه قبل أن تسمع الحروف. ومن هنا كان الحوار في تربيتها ضرورة لا ترفًا.

وقد كان رسول الله ﷺ يحاور أهله وبناته، يسمع لهم، ويصغي إليهم، ويعطيهم حق الحديث.

ومن أعظم الشواهد ما جاء حين أرسلت إحدى بناته إليه تخبره أن ولدها قد احتضر، فأرسل إليها يقول: «**إن الله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب**»^(١).

تأمل هذا الجواب العظيم: لم يكن أمرًا جافًا، بل كان حوارًا إيمانًا بيني اليقين ويخفف الألم، وكان ﷺ يصغي للصغير قبل الكبير، ويعطي المتحدث كامل حضوره. وهذا أصل عظيم في التربية: إن الإصغاء نصف التربية. فحين تجلس ابنتك لتحدثك عن همها الصغير، لا تستصغر شأنه، فقد يكون عندها أكبر من جبل.

إن الأب الذي يحسن الاستماع، يجعل من نفسه ملجأ ابنته الأول، فإذا نزلت بها نازلة أو واجهتها شبهة أو ضاق صدرها، عادت إليه قبل أن تبحث عن غيره. والحوار الناجح لا يبني الطاعة فقط، بل يبني القناعة، فالبنت إذا اقتنعت بفضل الحياء، أحبت في غياب أبيها قبل حضوره، وإذا فهمت معنى الصدق، التزمت في السر قبل العلن، وهكذا يصنع الحوار في داخلها رقيبًا ذاتيًا لا يحتاج إلى عين تراقبه.

❖ **المبحث الثامن: تربية الروح وغرس مراقبة الله:**

إن أعظم ما يورثه الأب لابنته ليس المال، ولا الجاه، ولا الشهادات، بل قلبًا يعرف الله، فإذا صلح القلب، صلح الجسد كله.

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري في صحيحه، «باب: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾» (٨ / ١٢٣).

وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]. فالهداية الحقيقية تبدأ من الداخل.

وقد أوصى النبي ﷺ عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»^(١). وهذه الوصية أصل في بناء مراقبة الله.

إن الأب لا يستطيع أن يكون حاضراً في كل لحظة من حياة ابنته، ولا أن يراقب هاتفها، أو خلوتها، أو خواطرها.

لكن إذا غرس فيها مراقبة الله، فقد وضع في قلبها حارساً لا ينام. وقد كان النبي ﷺ يغرس الذكر في أهل بيته.

فعن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال لهما: «إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»^(٢). لم يعطها خادماً، لكنه أعطاها ما هو أعظم: زاد الروح. وهذا يعلم الأب أن التربية الروحية ليست كلمات وعظ فقط، بل برامج عملية: صلاة، وذكر، وقرآن، ودعاء.

وقال ﷺ: «أرحنا بها يا بلال»^(٣). فالصلاة ليست تكليفاً ثقيلاً، بل راحة الأرواح. وإذا رأتك ابنتك متعلّقة بالصلاة، محبّة للقرآن، رطب اللسان بالذكر،

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب» (٤/ ٦٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب التكبير والتسبيح عند المنام» (٨/ ٧٠).

(٣) سبق تخريجه.

تشربت منك هذا النور قبل أن تسمعه منك، فالقدوة الروحية أبلغ من ألف وصية.

❖ المبحث التاسع: فن التغافل ورحمة الأبوة في معالجة الزلات:

ليس كل خطأ يُفتح له باب المواجهة، ولا كل زلة تستحق محكمة طويلة، فمن دقائق التربية: فقه التغافل، والتغافل خلق الكبار، وسجية الحكماء.

وقد قال الله تعالى في وصف أهل الفضل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال سبحانه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. وكان رسول الله ﷺ من أعظم الناس سترًا وحلمًا. فإذا بلغه عن أحد شيء، لم يفضحه، بل يقول: «ما بال أقوام...»^(١). فيعالج الخطأ دون أن يهدم صاحبه. وهذا أصل عظيم في تربية البنات. فالبنات بطبعها تستحي، وإذا واجهها أبوها بكل صغيرة وكبيرة، انكسر حاجز الحياء بينها وبينه. ولكن إذا ستر وأشار بوجهه برفق، بقيت مساحة الرجوع محفوظة.

وقال النبي ﷺ: «من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة»^(٢).

فالأب الستير يربي بستر، ويصلح بحكمة. وإن البنات إذا علمت أن أباهما يعلم ويستتر، أحببت الرجوع إليه، وكرهت أن تخونه بزلة أخرى، والتغافل ليس تركًا للتصحيح، بل هو تصحيح بأقل قدر من الكسر، وهذه من أعظم الحكم التربوية.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب من لم يواجه الناس بالعتاب» (٨ / ٢٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، «باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات» (٢ / ٨٥٠ ت عبد الباقي).

❖ المبحث العاشر: مرحلة المراهقة وعبور الأمان بين العاطفة والعقل:

مرحلة المراهقة هي من أخطر منعطفات التربية؛ لأنها المرحلة التي تتصارع فيها العاطفة مع العقل، والرغبة مع الضبط، والتغيرات الجسدية مع الحاجة إلى الفهم، ولهذا كانت أحوج مراحل العمر إلى الاحتواء.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم: ٥٤]. وهذه القوة الناشئة تحتاج توجيهًا لا قمعًا.

وكان النبي ﷺ قريبًا من بناته في كل مراحل حياتهن، وكانت فاطمة الزهراء أقرب الناس إليه. حتى قال عنها: «فاطمة بضعة مني»^(١).

هذا القرب النفسي هو الذي يجعل المراهقة مرحلة عبور آمن، وفي هذه المرحلة تحتاج البنت أن تسمع من أبيها كلمات الثناء المشروع، وأن يسمعها أنها موضع فخر، وأن عقلها جميل، وأن دينها أجمل، وأن حياءها زينة، حتى لا تبحث عن هذا التقدير خارج البيت، فالكلمة التي لا تجدها في بيتها، قد تبحث عنها في غير موضعها.

والأب الذكي هو الذي يحول نفسه في هذه المرحلة من مفتش إلى صاحب، ومن مراقب إلى محتوٍ، وهذا لا يسقط الهيبة، بل يرسخها زيادة عند البنت.

❖ المبحث الحادي عشر: التدرج في التربية وفقه المراحل العمرية:

إن من أعظم أخطاء التربية: مطالبة البنت بما لا يناسب سنها أو محاسبتها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام» (٢٠/٥).

بعقل لا تزال في طريق بنائه. فإن النفوس تنمو كما تنمو الأجساد، ولكل مرحلة خطاها، ولكل سن حاجته.

وقد راعى الشرع هذا التدرج في التكليف والتربية، فقال النبي ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**»^(١). فتأمل كيف جعل بين الأمر والتأكيد ثلاث سنين؛ إعدادًا وتدرجًا وتثبيتًا.

فالتربية ليست قفزًا، بل بناء طبقة فوق طبقة، ومعنى فوق معنى، وحُلُقًا بعد حُلُق، فالطفلة تُربى أولاً على الحب، ثم الأدب، ثم الانضباط، ثم المسؤولية.

ومن فقه الأبوة: أن يعرف متى يلاطف، ومتى يوجه، ومتى يحاسب، ومتى يترك للمواقف أن تعلم، فمن راعى المراحل، أحسن الوصول، ومن استعجل الثمرة قبل نضجها، أفسد الزرع.

❖ **المبحث الثاني عشر: القرآن مآدبة الله في أرضه، وبناء الوجدان؛**

القرآن ليس كتاب أحكام فقط، بل كتاب بناء، فيبني العقل، ويهذب النفس، ويزكي القلب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال النبي ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، «باب متى يؤمر الغلام بالصلاة» (١ / ١٨٥ ط مع عون المعبود).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (٦ / ١٩٢).

فالبيت الذي يسمع فيه القرآن، بيت محفوظ. والبت التي تربي على القرآن، تنشأ على ميزان صحيح. فتتعلم من سوره الفضائل والمكارم، فمن سورة مريم معنى العفة. ومن سورة النور معنى الطهر. ومن سورة الأحزاب معنى الوقار.

إن القرآن إذا دخل قلب البنت، صنع فيها نوراً لا تصنعه الدنيا كلها، ولهذا كان من أعظم مشاريع الأب: تحفيظ ابنته كتاب الله. فالقرآن يحفظها قبل أن تحفظه، ويثبتها قبل أن تتلوه، ويزين روحها قبل صوتها.

✽ المبحث الثالث عشر: ميثاق العفاف والحجاب عند البلوغ:

إذا بلغت البنت، دخلت مرحلة التكليف، وصارت مخاطبة بأوامر الله ونواهيه، وهنا يبدأ ميثاق جديد بينها وبين ربها.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيزِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

فالحجاب ليس عادة، بل عبادة. وليس ثقافة، بل شريعة. وقد قال النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً»^(١).

ومن أعظم الاستيصاء: إعدادها للعفاف قبل البلوغ، فلا يفاجئها التكليف، بل تستقبله بمحبة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «وَأِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» (١/٤٣١).

والأب الناجح هو الذي يربط الحجاب بالتكريم، لا بالعقوبة، ويغرس في قلبها أن الستر رفعة، وأن الحياء جمال، وأن الله إذا أمر بك بشيء، فإنما أراد حفظك لا حرمانك، وهكذا تدخل البنت عالم التكليف وهي معتزة بدينها، فخورة بعفافها، مستقرة في هويتها.

وهكذا ينتهي هذا الباب، وقد تبين لنا أن التربية ليست موقفًا عابرًا، بل مشروع عمر، وهو يبدأ من اللمسة الحانية إلى النفقة الكريمة، ومن العلم، إلى الحوار، ومن القرآن، إلى العفاف، فكلها حلقات في سلسلة البناء، وكل خلل في حلقة، يؤثر في التي بعدها.

فيا مربّي البنات، إن ابنتك أمانة، وإن الزمن سريع، وإن ما تغرسه اليوم ستجنيه غدًا. فاغرس الإيمان، واسقِ الحياء، وابنِ الثقة، وكن لها قدوة قبل أن تكون واعظًا، فإن البنت إذا صلحت، صلح بيت كامل بعدها. وإذا استقامت، خرج من رحم تربيتهما جيل كامل من الصالحين، فطوبى لأب أحسن البناء، وصبر على التربية، وأخلص في الرعاية.





الباب الثالث

البنت ريحانة المجتمع وزهرة بستانه



الباب الثالث

البنت ريحانة المجتمع وزهره بستانه

فيجب صناعة وعيها الإسلامي، وأن نعلمها فقه الثقة بنفسها، وحراسة القيم في عصر المتغيرات، فالمرأة في ميزان الإسلام ليست هامشاً تابعاً لغيرها، ولا رقماً زائداً في حركة الحياة اليومية، بل هي أصل أصيل في بناء المجتمع، ومصنع الأجيال والأبطال، ومدرسة القيم الأولى التي يبنى عليها عظمة الأولاد. ومن فهم مكانة الأنثى في هذا الدين أدرك أن صلاح المجتمع يبدأ من صلاحها، وأن فساد البيوت أول ما يتسلل من بوابتها، وفي زمن تتنازع فيه الفتاة تيارات التغريب، وضغوط التقليد، ومقاييس الجمال الزائفة، صار من الضروري إعادة بناء وعيها على نور الوحي، لتعرف قدر نفسها، وتحسن حماية قلبها، وتصنع شخصيتها بعيداً عن استعباد الصورة والمظاهر، وفي هذا الباب نرسم معالم العزة الحقيقية للأنثى المسلمة، ونكشف كيف تكون قوية بدينها، واعية بفكرها، ثابتة على قيمها الدينية، وقائدة في محيطها الأسري، وتجمع بين الحياء والطموح المثمر، وبين الرقة والثبات في التعامل، وبين النجاح الدنيوي والسمو الإيماني الرباني. فالمرأة المؤمنة ليست تابعة لثقافة العصر، بل صانعة لأثره ومجده، ومربية لأبطاله الذين صنعوا مجده، وبانية لمستقبله المبهر.

❖ المبحث الأول: البنت أم أبيها، وفقه الصداقة بينهما :

إن من أعظم ما يبني شخصية البنت في الحميم، ويصنع في داخلها حصانة نفسية ووجدانية، أن يكون بينها وبين أبيها رابطة تتجاوز حدود النفقة والرعاية إلى مقام الصحبة والمودة والالتحام الروحي، فالبنت التي تجد أباً صديقاً، ومربياً وملاًزماً آمناً لها بعد الله، تنشأ قوية النفس، ممتلئة بالحنان القلبي، فلا تستجدي العاطفة من الغرباء، ولا تبحث عن التقدير في مواضع الفتنة.

وقد ضرب لنا بيت النبوة أروع الأمثلة في هذه الصلة الفريدة؛ فقد كانت فاطمة عليها السلام أقرب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ، حتى قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»^(١).

وهذا الحديث أصل عظيم في بيان عمق الارتباط الوجداني بين الأب وابنته؛ فالنبي ﷺ جعل أذى ابنته أذى له، وحزنها حزناً له، وفرحها فرحاً له، وهذه أعلى درجات التقارب الشعوري النابع من حنان الأبوة.

وكان من مظاهر هذه الصداقة النبوية ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها، فأخذ بيدها، فقبلها، وأجلسها في مجلسه»^(٢).

وهذا المشهد النبوي ليس مجرد عاطفة، بل هو درس تربوي عظيم للأمة وبيان عملي لكل أب؛ إذ فيه إعلان عملي أن البنت ليست هامشاً في البيت، بل هي

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

قلب من قلوبه الحنونة.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

وإن كان الخطاب للأبناء مع الآباء، فإن الأب أولى أن يبادر بهذا الخفض واللين، ليغرس الرحمة في نفوس أولاده.

ومن تأمل وصف فاطمة عليها السلام بأنها كانت تمشي مشية النبي ﷺ، كما في الحديث: «ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلاً برسول الله ﷺ من فاطمة»^(١). علم أن القرب الروحي يصنع التشابه السلوكي في الحركات، فالبنت تتشرب شخصية أبيها بالمخالطة قبل التوجيه، وبالمحبة قبل النصيحة. والخطر العظيم في زماننا هو الفراغ العاطفي الذي تركه بعض الآباء إلا من رحم ربي؛ فإن القلب الفارغ يبحث عمن يملؤه، فإذا لم يجد الحنان في البيت بحث عنه في غيره، ولهذا كان من أعظم واجبات الأب أن يجعل نفسه أول صديق لابنته، وأول من تسمعه وأول من تستشيريه.

إن الصداقة الأبوية ليست ضعفاً في الهيبة، بل هي أعلى درجات الحكمة؛ لأنها تصنع طاعة نابعة من الحب، لا من الرهبة.

فيا أيها الأب المربي، كن لابنتك أباً وصديقاً، وكن لها حصناً من غدر الزمان، فإن البنت التي شبت حباً في بيتها، استعفت عن موائد الوهم الخارجة.

(١) سبق تخريجه.

❖ المبحث الثاني: الثقة الممنوحة للبنات، وتفويض الصلاحيات:

الثقة من أعظم ما يبنى شخصية البنت، ويزرع فيها روح القيادة والاستقلال، والبنات التي يثق بها أبوها تنشأ وهي ترى نفسها ذات قيمة، ذات رأي، ذات أثر. وقد قرر الإسلام هذا الأصل العظيم في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. فالشورى أصل تربوي، لا يقتصر على السياسة، بل يبدأ من داخل البيت.

وكان النبي ﷺ يرسخ هذا المعنى في أعظم القرارات، فقال: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن. قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت»^(١). فجعل للبنات حق القرار في أعظم شأن من شؤون حياتها، وهذا من أعظم صور بناء الاستقلال النفسي.

وفي القرآن نموذج المرأة ذات الرأي الراشد في قصة ابنتي الرجل الصالح، قال تعالى: ﴿يَتَابَتِ أَسْتَجْرَةُ إِبْنِك خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجْرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. فانظر كيف نطق الفتاة بالحكمة، وقدمت الرأي السديد، وهذا يدل على أن التربية الناجحة تصنع عقلاً واعياً.

وكان النبي ﷺ يقبل مشورة النساء، كما في مشورة أم سلمة يوم الحديبية، فكانت سبباً في حل أزمة عظيمة: «قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها» (١٧ / ٧).

يا نبي الله، أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما»^(١). وهذا يقرر أن المرأة شريكة رأي، لا مجرد تابع.

ومن التربية العملية أن يفوض الأب ابنته في بعض شؤون البيت، وأن يجعل لها مسؤوليات واضحة؛ لأن المسؤولية تصنع النضج. وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾ [التوبة: ١٠٥]. والعمل يصنع الكيان. والثقة تولد الثقة؛ فإذا قال الأب لابنته: أنا أثق بعقلك، وأثق بحكمتك، وأثق بحيائك؛ فإنه يبنى فيها رقابة ذاتية عظيمة، فالبنت التي تحمل ثقة أبيها أمانةً في قلبها، تستحي أن تخونها، ولهذا فإن الثقة الواعية أقوى أثراً من الرقابة المشددة.

فيا أيها الأب، امنح ابنتك الثقة، فإنك لا تصنع بها مجرد فتاة ناجحة، بل تصنع أمّاً للأبطال.

✽ المبحث الثالث: حراسة الحياء، فالحياء قوة لا ضعف:

الحياء تاج الأنثى، وسياج عزتها، وعنوان كرامتها، وفي زمن صار فيه التبذل فضيلة مزعومة، صار من الواجب أن يغرس الأب في ابنته حقيقة الحياء كما جاء به الوحي.

قال النبي ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب الشروط في الجهاد» (١٩٣ / ٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب الحياء» (٢٨ / ٨).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان»^(١).

وفي رواية: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(٢). فالحياء ليس خجلاً مرضياً، بل هو ضابط أخلاقي يمنع النفس من الدنايا.

وقد مدح الله حياء المرأة الصالحة فقال: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]. فجعل الحياء وصفاً يسبق الكلام. والحياء في الأنثى ليس انطواءً، بل وقار، وليس ضعفاً، بل قوة، وليس عجزاً، بل رفعة.

وكان عثمان رضي الله عنه مضرب المثل في الحياء، حتى قال النبي ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»^(٣). فإذا كان الحياء زينة الرجال، فهو في النساء أعظم وأكمل.

والأب مسؤول عن حماية هذا الخلق في ابنته، بغرس معاني الحشمة، وغض البصر، وعفة اللسان، وصيانة الخصوصية.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]. فالحياء يحرس الجوارح، والبنت الحبيبة تفرض احترامها على الناس بصمتها قبل كلامها. ومن أعظم وسائل غرس الحياء: مدح الحياء نفسه، لا مجرد مدح الشكل. فقل لها: ما أجمل حياءك، ما أعظم عفتك، ما أرقى وقارك، فإنها تتعلق بهذا الخلق، وتراه تاج عزها.

(١) أخرجه أحمد في المسند، «حديث أبي رزمة رضي الله عنه» (١١ / ٦٧٣ ط الرسالة).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» (٥ / ٢٢٦٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب من فضائل عثمان بن عفان، رضي الله عنه» (٤ / ١٨٦٦ ت عبد الباقي).

يا أيها الأب، إن حياء ابنتك حصنها، فإذا حفظته، حفظت مستقبلها ودينها وكرامتها. فالبنت التي تلبس الحياء، تمشي في الأرض مهيبَةً وإن كانت صامتة.

✽ المبحث الرابع: فقه اللباس والستر، وجمال الخصوصية وعزّة الانتماء:

إن اللباس في ميزان الوحي ليس مجرد قماش يستر الجسد، بل هو خطاب هوية، ورسالة انتماء، وعنوان عبودية. والأنثى حين تتربى على فهم الستر من منطلق الإيمان لا من منطلق العادة، تنشأ وهي ترى حجابها تاجاً لا ثقلًا، ووقاراً لا قيداً.

لقد قرر القرآن أصل هذا الباب بقوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورَى سَوَاءَ تَكْمُ وَرِيثًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٣٦]. فتأمل كيف جعل الله ستر الظاهر نعمة، ثم رفع المقام إلى ستر الباطن بالتقوى؛ لأن اللباس الحقيقي ليس ما يستر الجسد فقط، بل ما يحرس القلب.

وقال سبحانه مخاطباً المؤمنات: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]. فبدأ بغض البصر قبل ستر الجسد، ليعلمنا أن الحجاب الحقيقي يبدأ من الداخل قبل الخارج.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وهذا نص صريح في تشريع الستر، وجعل علته العظيمة: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذِنَ﴾. فالستر ليس سجنًا للمرأة، بل حماية لها من أذى العيون والقلوب.

وفي السنة، قال النبي ﷺ: عن عبد الله، عن النبي ﷺ، قال: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان»^(١). وهذا ليس انتقاصاً، بل بيان لعظم موضعها ووجوب صيانتها. وإن خروج المرأة في الإسلام ليس مذموماً في أصله، ولكن الوحي علّمها فقه الحضور وصيانة الأثر. وفيه بيان لعظم مكانتها وخطورة استهدافها في مواطن الفتنة. والأصل في الاستشراف رفع البصر للنظر إلى الشيء، وبسط الكف فوق الحاجب كهيئة المستظل من الشمس.

فكلما كانت المرأة أستر وأوقر وأبعد عن أسباب التبرج والاختلاط المريب، كانت أحفظ لدينها وأصون لكرامتها.

والأب المربي لا يزرع في ابنته الخوف من المجتمع، بل يزرع فيها فقه الحياء، ومعنى الحشمة، وشرف الاستقامة والاقتداء بهدي خير العباد ﷺ.

فالعفاف ليس قيداً على المرأة، بل سياج كرامة يحفظ قلبها ومكانتها في دنيا الناس وعند الله جل في علاه.

وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول في نساء الصحابة: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمن به»^(٢). هكذا كان الجيل الأول؛ تلقوا أمر الله بالتسليم لا بالمجادلة.

إن الأب المربي لا يربط الستر بالخوف من الناس، بل يربطه بمراقبة الله. وعلم ابنتك أن الحجاب ليس إعلان ضعف، بل إعلان انتماء لله.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب» (٣ / ٤٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «سورة النور» (٦ / ٢٦٦).

واغرس في قلبها أن الأشياء النفيسة لا تعرض لكل عين، وأن الجواهر تحفظ في الصناديق لا في الطرقات.
واعلم أن تعويد البنت على الحشمة يبدأ قبل البلوغ، فإن النفوس تألف ما تعودت عليه.

قال ﷺ: «**مرو أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع**»^(١). فإذا كان التدريب على الصلاة قبل الوجوب مشروعاً، فالتدريب على الحياء والستر أولى وأحكم.
إن البنت التي تربت على فقه اللباس لا تنظر إلى جسدها باعتباره وسيلة لطلب الإعجاب، بل وعاء أمانة يجب حفظه.
والأب الحكيم لا يفرض الستر فرضاً جافاً، بل يشرحه، ويبين حكمته، ويثني على حيائها، ويجعل الحشمة في بيتها ثقافة جمال لا ثقافة قهر. فإن الحجاب إذا دخل القلب صار شرفاً، وإذا دخل بالإكراه صار حملاً.
فيا أيها الأب، إن ستر ابنتك اليوم نور على وجهك غداً، وإن حيائها الذي غرسه بيدك سيكون ستراً لك يوم القيامة.

❖ المبحث الخامس: البيئة الرقمية، وحماية القوارير في الفضاء المفتوح:

لقد تغيرت أبواب الفتن، فما عادت الطرقات وحدها منافذ الانحراف، بل دخلت الفتن البيوت في أجهزة صغيرة تحملها الأيدي وتخفيها الجيوب، وصارت التربية الرقمية اليوم من أعظم واجبات الأبوة.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، «باب متى يؤمر الغلام بالصلاة» (١/ ١٨٥ ط مع عون المعبود).

وقد وضع القرآن أصل المراقبة الداخلية بقوله تعالى: ﴿الرَّيْعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]. فهذه الآية هي أساس التربية الرقمية؛ لأن الأب قد يغيب، لكن الله لا يغيب.

وقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]. فالخيانة قد تبدأ بنظرة، والنظرة قد تبدأ بضغطة.

وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. وفي زمن الرسائل والمنشورات، هذه الآية أبلغ ما يكون.

وقال النبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١). كم من ساعات تضيع فيما لا يعني، ولا ينفع، ولا يرفع.

وقال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٢). والفراغ الرقمي اليوم من أكبر أبواب الغبن.

الأب الحكيم لا يربي ابنته على مجرد المنع؛ لأن المنع وحده لا يبي بصيرة، لكنه يبي خفاء. بل يغرس فيها سؤالاً عظيماً: هل هذا الذي أشاهده يرضي الله؟ هذا السؤال وحده يبي الحارس الداخلي، وعلمها أن التقليد الأعمى هلاك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. فليس كل منتشر حقاً، ولا كل مشهور قدوة.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب» (٤/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب ما جاء في الرقاق» (٨/ ٨٨).

وقال ﷺ: «المرء مع من أحب»^(١). فانظر بمن تملأ ابنتك يومها عبر الشاشة؛ فإن المتابعة نوع صحبة.

وعلمها أن نشر الصور الخاصة، والأسرار العائلية، واللحظات الشخصية، باب من أبواب كشف الستر.

قال ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها»^(٢). فإذا كان نشر أسرار الزوجية محرماً، فما بالك بأسرار البيت والبنت؟

واصنع لها البديل: من تلاوة القرآن، وعلم تنتفع به، ومهارة تكتسبها، وقراءة مفيدة، وبرامج نافعة، فالفراغ إذا لم يملأ بالحق ملأه الباطل. فيا أيها الأب، الهاتف الذي في يد ابنتك قد يكون سلماً إلى الجنة أو باباً إلى الفتنة، والفرق بينهما ما غرسته في قلبها من مراقبة الله.

✽ المبحث السادس: اختيار الصديقات، وميزان الرفقة الصالحة:

من أعظم المؤثرات في شخصية البنت: الرفقة، فالصديقة ليست مجرد رفيقة وقت، بل شريكة أثر، وصانعة توجه، وناقلة طبع، والبنت تتأثر بكل هذا. ولذلك جاء الوحي يحذر من أثر الجليس، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. فالصحبة التي بنيت على الهوى تنقلب عداوة، والتي بنيت على التقوى تبقى نجاة.

(١) سبق تخرجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب تحريم إفشاء سر المرأة» (٤/ ١٥٧).

وقال سبحانه: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].
فالصحبة الصالحة عبادة وصبر واختيار.

وقال النبي ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(١). وهذا أصل عظيم في بناء الرفقة.

وقال ﷺ: «مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير»^(٢).

فالصديقة الصالحة إما أن تهديك خيراً أو تعلمك أدباً أو ترفع همتك وأما رفيقة السوء فقد لا تهدمك دفعة واحدة، لكنها تفسدك بالتدريج.

علم ابنتك أن الصديقة التي تستهين بالحجاب أو تستهزئ بالطاعة أو تهون من المعصية، ليست صديقة، بل طريق خطر.

وأن الصديقة التي تذكرك بالله، وتعينك على الصلاة، وتحفظ سرك، هي كنز لا يقدر بثمن.

وقد قال الله عن أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٧].
فدل على أن الأخوة الحقيقية هي أخوة الإيمان.

وعلم ابنتك ألا تفتح خزائن أسرار البيت لكل صديقة. قال ﷺ: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»^(٣). فليس كل قريب أميناً، ولا كل صاحبة مأمونة.

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه، واللفظ عند البخاري في صحيحه، «باب المسك» (٧/ ٩٦).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير للطبراني» «من اسمه يزيد» (٢/ ٢٩١).

ومن الحكمة أن يفتح الأب بيته للصالحات، ويقربهن من ابنته، لتنشأ في بيئة نقية. وليكن السؤال الدائم: **من صديقاتك؟**

وماذا تحبين فيهن؟

فمن إجابة هذا السؤال تعرف مستقبل ابنتك.

يا أيها الأب، إنك قد لا تستطيع أن تمشي مع ابنتك في كل طريق، لكنك تستطيع أن تساعدنا في اختيار من يمشي معها، فإن أحسنت اختيار رفيقاتها، فقد أحسنت حفظ نصف طريقها.

✽ **المبحث السابع: عزة المؤمنة، ومحاربة التبعية والتقليد الأعمى؛**

في زمنٍ صارت فيه المقاييس تُصنع خارج حدود الوحي، وتُفرض على الفتيات عبر الشاشات والإعلانات، وأصبح من أعظم ما تحتاجه البنت المسلمة: عزةٌ تحميها، وبصيرةٌ تحفظها، وشخصيةٌ مستقلةٌ تقودها.

إن الإسلام لم يرب المرأة على الذوبان في الناس، ولا على أن تكون نسخةً مكررةً من مجتمعها، بل أراد لها أن تكون ثابتة المبدأ، واضحة الوجهة، عزيزة الانتماء.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. فالعزة ليست في لباسٍ يلفت، ولا في صورةٍ تُعجب، ولا في تقليدٍ يُصفق له الناس، بل في طاعة الله والثبات على أمره.

وقد حذر النبي ﷺ من شخصية التبعية فقال: «لا تكونوا إمعة»^(١). والإمعة هي التي لا تملك قرارها، بل تتشكل بحسب من حولها، وهذا خطر عظيم على الفتاة؛ لأن المجتمع اليوم يمارس ضغطاً هائلاً على الفتيات ليصبغهن بصبغته، فإن لبست المتبرجات ما ينكره الشرع، قيل لها: كوني مثلهن، وإن تكلم الساقطات، قيل لها: واكبي العصر، وإن انفتحت الحدود، قيل لها: التحرر هنا، وهنا يظهر معدن التربية.

هل تعرف ابنتك من تكون؟

هل تعلم أن قيمتها في دينها لا في صورتها؟

وهل تعلم أن سترها عزٌّ، وأن حيائها رفعة؟

إن البنت التي تربت على العزة لا تنكسر أمام موجات التقليد الأعمى.

إذا رأت الناس يتسابقون إلى الموضات، سألت: هل يرضى الله؟

إذا رأت الناس يخففون الحياء، تمسكت به أكثر؛ لأن ميزانها ليس الناس، بل الشرع، ومن أعظم ما يفسد الفتيات اليوم: ربط القيمة بالشكل، حتى أصبحت بعض البنات تعيش أسيرة المقارنة. تنظر إلى نفسها بعين الناس لا بعين ربها، وهذا ظلم للنفس، فالله لا ينظر إلى الصور، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، كما صح عن النبي ﷺ. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأعمالكم»^(٢). فعلم ابنتك أن جمالها

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب ما جاء في الإحسان والعفو» (٤ / ٣٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره»، (٨ / ١٠).

الحقيقي في دينها، ووقارها، وحياءها، وعقلها.

واحذر أن تمدح فيها الصورة وتترك الجوهر، فامدح عقلها، وامدح حياءها، وامدح ثباتها، فهذا يبني شخصية لا تُشتري بثناء الناس.

واذكر لها سير الصحابيات، كيف عشن عزيزات ثابتات، وكبيرات النفس، فإن البنت إذا امتلأت بالعزة، صارت كالنخلة؛ ثابتة الأصل، عالية القدر، نافعة الأثر.

❁ المبحث الثامن: فقه التميز العلمي، والأنثى كعقل منتج ومؤثر:

من الظلم الكبير أن تُربى البنت على أن قيمتها في شكلها فقط أو أن رسالتها في الحياة محدودة في دائرة ضيقة، فالإسلام رفع المرأة بالعلم، وجعل لها نصيباً من المعرفة، والفهم، والبصيرة، بل إن أول ما نزل من الوحي كان أمراً بالقراءة.

قال تعالى: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْرَرِكَ﴾. وهذا خطاب للأمة كلها.

وقال النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١). والمرأة داخلة في هذا الخطاب، ولقد كانت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر مدرسة للأمة، يرجع إليها كبار الصحابة في الفقه والعلم.

وهذا وحده كافٍ ليعلم الأب أن ابنته يمكن أن تكون منارة علم.

يا أيها الأب، ازرع في ابنتك الطموح العلمي، وعلمها أن العلم حصن، وبالعلم تفهم دينها، وبالعلم تحمي عقلها، وبالعلم تنفع مجتمعها.

(١) سبق تخرجه.

فالأمة تحتاج الطيبة المؤمنة، والمعلمة الواعية، والباحثة الأمينة، والتميز العلمي ليس منافساً للعفة، بل العفة تاج التميز، فكم من فتاة جمعت بين الحجاب والتفوق، وبين الحياء والنجاح، وكانت دعوتها في صمتها أقوى من خطب كثيرة. وعلم ابنتك أن تكون منتجة لا مستهلكة، تقرأ، وتفكر، وتكتب، وتحلل، لا تعيش أسيرة المقاطع المختصرة والتفاهة العابرة، بل تبني عقلاً يحسن الفهم والنقد والتمييز، واجعل في البيت بيئة علم. فاهدها كتاباً، وانشئ معها حواراً ونقاشاً وسؤالاً ليكون تحفيزاً لها.

واسألها دائماً: ماذا تعلمت اليوم؟

فإن السؤال يوقظ العقل، وامدح إنجازها العلمي، فالبنت التي يسمع عقلها الثناء، تكبر همتها، واربط العلم بالخشية. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. فالعلم الذي لا يزيد الإيمان، ناقص البركة.

نريدها عالمة، لكن عابدة، ومتميزة، لكن متواضعة، وقوية، لكن خاشعة، هكذا يصنع الإسلام المرأة العظيمة.

✽ المبحث التاسع: إدارة المشاعر، والثبات الانفعالي في مواجهة الابتلاء:

خلق الله المرأة بقلبٍ رقيق، وعاطفةٍ متدفقة، ورحمةٍ واسعة، وهذه نعمة عظيمة؛ لكن إن لم تُضبط بالوحي، تحولت إلى باب ألم واضطراب.

ولهذا جاء الإسلام لا ليقتل المشاعر، بل ليهذبها، فالحزن مشروع، لكن اليأس

ممنوع، والألم طبيعي، لكن السقوط تحته ليس قدراً لازماً.

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾. والصبر ليس بروداً عاطفياً، بل قوة إيمانية، حين تفشل ابنتك، علمها أن الفشل مرحلة مؤقتة وليس نهاية الطريق، وحين تحزن، علمها أن البكاء لا يناقض الإيمان.

فقد قال النبي ﷺ عند موت ابنه: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَإِنَّ الْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»^(١). لكن المؤمن لا يضيع وسط الحزن، بل يعود إلى الله.

ومن أعظم ما تحتاجه البنت اليوم: تعلم كيف تعالج مشاعرها، فإذا ضاقت بها الدنيا، تصلي. فقد كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وإذا اضطرب قلبها، تذكر الله. قال تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

وإذا خافت المستقبل، تتوكل على الله. قال الله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. وعلمها أن الناس ليسوا مصدر قيمتها، فلا تنكسر من نقد، ولا تحتز من سخرية، ولا تنهار من مقارنة؛ لأن قيمتها ثابتة عند ربها، وكن لها ملجأ آمناً، فإذا بكيت، استمع لها بقلب حنون، وإذا غضبت، احتوئها بعاطفتك الجياشة. وإذا ضعفت، كن لها سنداً وعوناً. فالأب الحكيم لا يربي بالموعظة فقط، بل بالأمان، وإن البنت التي تحسن إدارة مشاعرها، تعيش متزنة وقوية وثابتة، فلا تذوب في العاطفة، ولا تجف في القسوة، بل تمشي في الحياة بقلب حي وعقل راشد.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب قول النبي ﷺ: إنا بك لمحزونون» (٢/ ٨٣).

❖ المبحث العاشر: دور البنت في الإصلاح الاجتماعي:

من الخطأ أن نربي البنت على أن دورها ينتهي عند ذاتها، فالبنت المسلمة مشروع أثر، فإذا صلحت أصلحت، وإذا استقامت أثرت فيمن حولها، وإذا تعلمت رفعت من مكانتها.

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. فهذا تكليف مشترك.

ابنتك ليست مجرد متلقية، بل شريكة في البناء في بيتها، وفي مجتمعها، وفي محيط صديقاتها، وفي مستقبل أبنائها.

إن أعظم إصلاح تؤديه البنت: أن تكون قدوة؛ لأن الناس يتأثرون بالمشهد قبل الكلام، وحين يرون فتاةً مستقيمة، مؤدبة، وعفيفة، وواعية، وناجحة، ويعلمون أن الدين يصنع الجمال الحقيقي، وهذه دعوة عظيمة.

وعلمها أن النصح عبادة، لكن برفق، وبلين، وبحكمة.

كما قال النبي ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه**»^(١). وشجعها على خدمة الناس.

فخير الناس أنفعهم للناس، واغرس فيها معنى الرسالة، وأن وجودها في الدنيا ليس عبثاً، بل عبادة وأثر، وأنها قد تكون سبب هداية أو سبب بناء أو سبب صلاح بيت كامل، واذكرها دائماً أنها امتداد لك، وأن صلاحها من أعظم ما يبقى لك بعد موتك، فدعاؤها لك، وصلاحها وأثرها كله من حسناتك.

(١) سبق تخريجه.

فيا أيها الأب، إذا صنعت ابنة صالحة، فقد صنعت جيلاً، وإذا غرست فيها الإيمان والعلم والعزة، فقد زرعت شجرةً سيبقى ظلها بعدك سنين طويلة، وهكذا تكون البنت الصالحة: ريحانةً في بيتها، وعقلاً في أمتها، ونوراً في مجتمعها.





الباب الرابع
ميثاق الأمان، والزواج بين
بساطة السنة وتعقيد العادات



الباب الرابع

ميثاق الأمان، والزواج بين بساطة السنة وتعقيد العادات

مواجهة التعبد المجتمعي، وفقه التيسير، وحماية البيوت من بدع الإسراف، وليس الزواج في ميزان الوحي علاقةً عابرة، ولا رابطةً اجتماعيةً محضة، بل هو ميثاقٌ غليظٌ اختاره الله ليكون سكناً للروح، وطمأنينةً للقلب، وباباً للسكينة الممتدة في العمر كله.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]

غير أن هذا المعنى النبيل قد شابته في كثير من البيئات غشاوة العادات، حتى تحوّل في بعض صوره من عبادةٍ تُطلب فيها البركة، إلى موسمٍ تُطلب فيه المباهاة، ومن ميثاقٍ يُراد به السكن، إلى عبءٍ تُستنزف فيه النفوس والجيوب.

ومن هنا، جاءت الحاجة إلى إعادة ضبط البوصلة التربوية: إلى تعلم سنة تُحيي المعنى في القلوب، وتُثبّت التكلف بين الناس، وتردّ الزواج إلى صفائه الأول.

وهذا الباب لا يتناول المال بوصفه رقماً، بل بوصفه أمانةً شرعيةً تُبنى عليها العلاقات، وتُختبر بها العدالة داخل الأسرة قبل المجتمع.

❖ المبحث الأول: أعظمهن بركة، والحكمة النبوية في تيسير المهور:

المهر إكرامٌ للمرأة لا ثمن لشرائها، وفقه البركة في ميزان الوحي، فلم يجعل الإسلام المهر ثمنًا لها، ولا جعل المرأة سلعةً تُقَدَّر بالأرقام، وإنما سماه القرآن نِحْلَةً، فقال سبحانه: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]

والتَّحْلَةُ في لسان العرب: العطية عن طيب نفسٍ بلا معاوضة، وفي ذلك إعلانٌ ربانيٌّ أن المرأة في الإسلام ليست محلاً للبيع ولا الشراء، بل موضعُ إكرامٍ وصيانة.

وفي السنة النبوية يتجلى ميزان آخر أشد وضوحًا: «أعظمُ النساء بركةً أيسرهن مؤونةً»^(١). فجعل النبي ﷺ البركة لا في كثرة ما يُدفع، بل في خفة ما يُبدل، وكأن الميزان الإلهي يعيد تعريف الغنى والسعادة معًا، فالبركة هي حين تكون البداية على وفق الوحي، والبركة ليست رقمًا يُضاف، ولا مظاهر تُشتري، بل هي سر إلهي يلقي في البيوت حين تُبنى على الطاعة لا على التفاخر، فكم من بيتٍ ضخمٍ خلا من السكينة، وكم من بيتٍ بسيطٍ امتلأ نورًا وطمأنينة، حين يتحول المهر إلى حاجز لا إكرام فيه.

إن المبالغة في المهور حين تتحول إلى عرفٍ ضاغط، تُفقد الزواج معناه الأول: فتعطل العفاف، وتؤخر الاستقرار، وتزرع في النفوس رهبة البدء بدل طمأنينة القبول.

ولذلك جاء التوجيه النبوي جامعًا حاسمًا: «إذا جاءكم من ترضون دينه

(١) أخرجه أحمد في المسند، «مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ﷺ» (٤٠ / ٩ ط الرسالة).

وخلقه فزوجه»^(١). فالمعيار ليس ما في الجيب، بل ما في القلب.

✽ المبحث الثاني: التبعّد المجتمعي، حين تُقدّم العادة على العبادة:

قد لا تُرى أخطر الانحرافات دائماً في صورة معصية صريحة، بل قد تتخفى في صورة عرف اجتماعي متوارث، حتى يُظن أنه من الدين وليس منه في شيء. وهنا ينشأ ما يمكن تسميته بالتبعّد المجتمعي: أن تُصبح عادة الناس معياراً مقدّماً على نصوص الوحي، وأن يُخشى كلام الخلق أكثر من أمر الخالق.

قال الله تعالى محذراً: ﴿وَلِنْ تَطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]

وقال النبي ﷺ في قاعدة فاصلة: «من التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»^(٢). حين يتحول الخوف من الناس إلى قيد داخلي

ليس أشد على الإنسان من أن يصبح أسيراً لنظرة المجتمع، فيثقل نفسه بما لا يحتاج، ويستدين ما لا يطيق، ويُرهب ابنته قبل أن يزوجه، خوفاً من ماذا سيقال؟ وهنا تتبدل المعايير: فيُصبح رضا الناس غاية، ورضا الله تابعاً، مع أن الله وحده هو الذي بيده القبول والبركة.

✽ المبحث الثالث: فتنة الحفلات، حين يُستبدل الفرح بالاستعراض:

شرع الإسلام الفرح، ولم يُجرمه، بل أذن فيه وضبطه، فقال النبي ﷺ:

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب ما جاء فيمن ترضون دينه فزوجه» (٢ / ٥٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب منه» (٤ / ٦٠٩).

«أعلنوا النكاح»^(١). وقال ﷺ: «فصل بين الحلال والحرام، الدف والصوت في النكاح»^(٢).

لكن الفارق كبير بين إعلان شرعي بسيط مبارك، وبين مواسم استهلاك مالي مرهق تُثقل فيه البيوت باسم الفرح.

قال تعالى: ﴿وَلَا بُذْرَ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧]. من البركة إلى البهرجة.

إن التحول من بساطة الزواج إلى تعدد المناسبات والتكاليف لم يزد الفرح عمقًا، بل كثيرًا ما سلبه معناه.

فصار الفرح عند البعض: أرقامًا تُحصى، وقاعات تُنافس، ومظاهر تُقارن، وغاب عن المشهد أصل المعنى، وهو السكن والمودة.

الزواج في ميزان السيرة، ولنا في سيرة النبي ﷺ وصحابته أعظم شاهد، فزواج فاطمة عليها السلام كان مثالًا للبساطة التي تفيض بركة، فلا تكلف فيه يرهق، ولا إسراف فيه يثقل.

❖ المبحث الرابع: معدن الرجال، حين يُقدّم الدين على المال:

إن أخطر ما يختل في ميزان الزواج أن يُقاس الرجل بما يملك، لا بما يكون عليه من دين وخلق، مع أن النبي ﷺ وضع الميزان واضحًا لا لبس فيه: «إذا جاءكم

(١) أخرجه أحمد في المسند، «حديث عبد الله بن الزبير بن العوام» (٢٦ / ٢٢ ط الرسالة).

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، «باب إعلان النكاح» (١ / ٦١٠ ت عبد الباقي).

من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»^(١). فالدين ضمان الاستقامة لا الرخاء.

ليس الغنى الحقيقي في المال، بل في الرجل الذي إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا ملك اتقى الله، فذلك هو الرجل في ميزان الوحي، لا مجرد رقم في حساب، والفقر ليس عيبًا حين يحمله دين، فقد يكون الرجل فقير اليد، غني النفس، وقد يكون الآخر غني اليد، فقير القيم، والأول في ميزان الشرع أقرب إلى بناء بيتٍ مستقر؛ لأن المال يتغير، وأما الخلق فيبني ولا يهدم، وذلك حين يُبنى البيت على الصلاح.

البيت الذي يُبنى على الدين: تُحفظ فيه الحقوق، وتُصان فيه الكرامة، وتُستجلب له البركة، وأما الذي يُبنى على المظهر وحده، فيبقى عرضةً للتقلب مهما زُين.

الزواج في هدي الإسلام ليس اختبارًا اجتماعيًا، ولا عرضًا استهلاكيًا، بل هو عبادة تُبنى على الطاعة، وتُحفظ فيها الكرامة، وتُطلب فيها البركة قبل الزينة. وكلما اقترب الزواج من بساطة السنة، اقترب من البركة، وكلما غرق في تعقيد العادات، ابتعد عن السكينة. قال تعالى: ﴿رَبَّاهِبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذَرِّكُنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

❖ **المبحث الخامس: البيت قبل العرس، وفقه البناء قبل فقه الاحتفال:**

الحياة أطول من ليلة، والميثاق أكبر من حفلة، وإن من أعظم الخلل في زماننا أن الناس يُحسنون التخطيط لليلة الزواج، ولا يُحسنون التخطيط للحياة بعد الزواج؛

(١) سبق تخريجه.

فُتستنزف العقول في تفاصيل القاعة، والزينة، والضيافة، والثياب، ثم يدخل الزوجان الحياة وهما يجهلان أبسط معاني العشرة وحقوق الميثاق، وهذا قلبٌ للموازن؛ فإن الله سمى الزواج ميثاقاً غليظاً، ولم يسمه حفلةً عظيمة.

قال تعالى: ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾. فالميثاق يحتاج بناءً، لا ضجيجاً، ويحتاج علماً، لا زينةً فقط، ويحتاج إعداداً للنفس، قبل إعداد الموائد.

أولاً: الزواج مشروعٌ عمرٍ لا ليلةٍ عابرة: الناس يخطئون حين يظنون أن الزواج حدثٌ ينتهي بالعرس، والحقيقة أنه حياة تبدأ بعد العرس.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. فلم يقل الله جل في علاه: لتفرحوا ليلة، بل قال: لتسكنوا، والسكن معنى طويل، لا لحظة قصيرة، ولهذا كان العقل أن يُبنى للبيت قبل أن يُحتفل به، فكم من بيتٍ أُقيم له عرسٌ عظيم، ثم انهار بعد أشهر؛ لأن البناء كان على جهل، وكم من بيتٍ بدأ متواضعاً، ثم عاش أهله في سكينه؛ لأن الأساس كان صحيحاً.

ثانياً: الثقافة الزوجية فرض مرحلة جديدة:

من الظلم أن نرفّ أبناءنا وبناتنا إلى الزواج وهم يجهلون فقهه. قال تعالى: ﴿فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته»^(١). ومن الرعاية: التعليم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب ﴿فَوَأْنُفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾» (٧/ ٢٦).

قبل الإدخال في الحياة.

وأعظم ما يحتاجه الأبناء والبنات: فقه الحقوق، قال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً»^(١).

وقال ﷺ: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»^(٢).

فقه الواجبات: قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

فقه الحوار: قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

فقه الخلاف: قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. فالزواج بلا علم كالسفر بلا طريق.

ثالثاً: البناء الإيماني أساس النجاة:

البيت الذي لا يقوم على الإيمان، يقوم على الهوى، والهوى سريع الاشتعال، سريع الانطفاء، وأما الإيمان فهو الذي يُرمم الشقوق.

قال تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾. فعلق التوفيق على إرادة الإصلاح.

وقال ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت، نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى، نضحت في وجهه الماء»^(٣). فتأمل: جعل قيام الليل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» (٤ / ١٣١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب حجة النبي ﷺ» (٤ / ٣٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، «باب الحث على قيام الليل» (١ / ٥٤٣ ط مع عون المعبود).

رابطاً أسرياً؛ لأن البيت الذي يعرف السجود، يعرف الصبر، والبيت الذي يعرف القرآن، يعرف الرحمة، وأما البيت الخالي من الإيمان، فإن أول خلاف فيه قد يتحول إلى هدم.

رابعاً: صلاح النفوس قبل صلاح البيوت:

الناس يشتركون الأثاث، وينسون إصلاح النفس، والشرع بدأ بالإنسان قبل المكان. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾. فالنفوس المزكاة هي التي تُحسن العشرة.

وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله»^(١). ولم يقل: خيركم أكثركم مالاً، وصلاح النفس يصنع صلاح البيت، وأما فساد النفس فلا تصلحه قصور الدنيا، فكم من بيت متواضع الأثاث، عظيم السعادة.

وكم من بيت فاخر الأثاث، مملوء خصاماً.

خامساً: دور الأب المري: اجلس مع ابنتك قبل زواجها جلسة المري لا جلسة المجهز، وحدثها عن حقيقة الحياة، وأن الزواج مسؤولية، وأن الصبر أصلٌ فيه، وأن التغاضي من أعظم أسباب بقاءه.

قال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»^(٢). وعلمها أن الزوج بشرٌ لا مَلَك، وأن الحياة لا تخلو من النقص.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب في فضل أزواج النبي ﷺ» (٦ / ٣٩٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب الوصية بالنساء» (٤ / ١٧٨).

هيئها إيمانًا: بالصلاة، وبالذكر، وبالصبر، وبالدعاء.

هيئها نفسيًا: للمشاركة مع زوجها في بناء البيت المسلم على منهاج النبوة.

سادسًا: فقه الخلاف، وعدم نسيان الفضل:

فقه الخلاف: قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. ومن أعظم القواعد التي تضبط هذا الخلاف قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]؛ فالزواج الذي يقوم على الفضل لا العدل وحده هو الذي يصمد أمام الأعاصير. فعلم ابنتك أن أول خلاف لا يعني نهاية الطريق، بل هو اختبار لمدى استحضر الفضل والود السابق، ولكي لا تتحول الخصومة إلى فجور، بل تبقى في دائرة الرحمة النبوية، فالزواج بلا علم كالسفر بلا طريق.

إلى الأب المري، لا تكن ممن يبني ليلة وينسى عمرًا، وابن ابنتك قبل أن تبني قاعتها، وأصلح فهمها قبل أن تصلح أثاثها، فإن البيت لا يقوم على الستائر، بل على السكينة، ولا يقوم على الزينة، بل على التقوى، ومن بنى الإنسان قبل البيت، ضمن - بإذن الله - سلامة البيت.

❖ **المبحث السادس: الوليمة النبوية هي إطعام الطعام بغير مباهاة:**

فقهُ الإعلان المشروع وحماية النعمة من الإسراف. فشرع الله الوليمة إعلانًا للنكاح، وإشهارًا للعفاف، وإطعامًا للطعام، وإظهارًا للسرور المشروع، ولكن الناس اليوم حوّلوا من عبادة إلى عادة، ومن شكر إلى استعراض، ومن بركة إلى إسراف، فصارت الموائد تُنصب للمباهاة، لا للإكرام، والأموال تُهدر للسمعة، لا للشكر،

وهذا انحراف عن الهدي النبوي.

أولاً: أصل الوليمة في السنة: قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «أولم ولو بشاة»^(١). تأمل قوله: ولو بشاة. فيه إشارة إلى اليسر، وأن المقصود أصل الوليمة، لا تكلفها.

وقد أولم ﷺ على بعض نسائه بمدين من شعير، فالهدي النبوي قائم على التيسير، لا على التفاخر. فعن منصور بن صفية، عن أمه صفية بنت شيبة قالت: «أولم النبي ﷺ على بعض نسائه بمدين من شعير»^(٢).

والوليمة شكر، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. والشكر لا يكون بإفساد النعمة.

ثانياً: شر الطعام طبام المباهاة: قال ﷺ: «شر الطعام طبام الوليمة، يُدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء»^(٣). وهذا ميزان عظيم.

فإذا كانت الوليمة قائمة على الوجاهة الاجتماعية، فقد فسدت نيتها، والوليمة ليست منصة علاقات عامة، بل عبادة، والفقير فيها أولى بالدعوة من الغني المتختم؛ لأن بركة الضعفاء أعظم.

قال ﷺ: «هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب الصفرة للمتزوج» (٢١ / ٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب من أولم بأقل من شاة» (٢٤ / ٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله» (٢٥ / ٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب» (٣٦ / ٤).

ثالثاً: الإعلان المشروع لا الاستعراض المذموم: المقصود من الوليمة إعلان النكاح. قال ﷺ: «أعلنوا هذا النكاح»^(١). لكن الإعلان شيء، والاستعراض شيء آخر.

الإعلان المشروع: إظهار النكاح، وإطعام الناس، والدعاء للزوجين.

أما الاستعراض فهو: تكثير المدعوين للمباهاة، والتكلف في الطعام، والمغالة في المكان، وهذا كله من التكلف المذموم. قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

رابعاً: حفظ النعمة من الهدر: من المؤلم أن ترى الطعام يُرمى بعد الولائم، وهذا خلاف الشكر.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾. فكل نعمة مسؤول عنها العبد.

وقال ﷺ: «كلوا واشربوا ولبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة»^(٢). فالاعتدال أصل، والتبذير فساد، وكم من وليمة أهدرت فيها أموال تكفي أسراً فقيرة شهوراً.

❖ المبحث السابع: ميثاق الرضا، وحق البنت في الاختيار ومنع الإكراه:

الاستثمار النبوي وصيانة البيوت من ظلم الإجماع، فمن أجل محاسن الشريعة، ومن أعظم دلائل رحمتها وعدلها، أنها جعلت الزواج قائماً على الرضا لا على القهر، وعلى القبول لا على الإكراه؛ لأن الله جعله سكناً، والسكن لا يُبنى على كسر الخاطر، ولا يُشاد على قهر القلب. وإذا كان البيع لا يصح بالإكراه، فكيف

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾» (١٧١/٥).

بميثاقٍ سماه الله ميثاقاً غليظاً؟

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾، فهى الأولياء عن منع النساء مما أردن إذا كان في دائرة الشرع والرضا، وهذا أصل في اعتبار إرادتهن، وصيانة حقهن.

وقد قال النبي ﷺ: «لا تُنكح الأيم حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن»^(١). فجعل الاستئذان حقاً ثابتاً، والاستئثار أصلاً لازماً، وهذا من تمام العدل.

أولاً: الاستئثار حق شرعي لا منة أبوية: بعض الآباء يتعامل مع استئذان البنت وكأنه باب من التلطف، لا باب من الحقوق، وهذا خطأ في فهم النصوص. والنبي ﷺ قال: «والبكر يستأذنها أبوها»^(٢). فهذا خطاب تكليف، لا خطاب تحسين.

ومعنى ذلك أن البنت ليست متاعاً يُسلم، بل نفس تكرم، والأب ولي لا مالك، والولاية في الإسلام حفظ للمصلحة، لا مصادرة للإرادة، وقد جاءت فتاة إلى النبي ﷺ تشتكي أن أباهاً زوّجها وهي كارهة، فردّ إليها الأمر، وهذا نص صريح في إبطال الإجمار. وأن عمر بن الخطاب: «رد نكاح امرأة نكحت بغير إذن وليها»^(٣).

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» «باب النكاح بغير ولي» (٦/ ١٩٥ ت الأعظمي).

ثانياً: **الرضا أساس السكن**: قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾. والسكن لا يكون إلا بقبول القلب، وأما الزواج الذي يبدأ بالإكراه، فإنه يبدأ بجدارٍ داخلي من النفرة.

وقد تصبر المرأة، ولكن الصبر غير الرضا، وقد تبقى، لكن البقاء غير السكينة، والشرع يريد السكينة، لا مجرد استمرار الصورة.

كم من بيتٍ بقي قائماً في الظاهر، وهو مهدومٌ في الباطن؛ لأن بدايته كانت كسراً لا رضاً.

ثالثاً: **الإكراه ظلم ممتد لا لحظة عابرة**: قد يظن الأب أن إجبار ابنته قرار ينتهي بالعقد، لكن الحقيقة أنه ظلمٌ قد يمتد عمراً. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. وما أعظم ظلم الأب حين يكون سبباً في شقاء ابنته، وكم من فتاة دخلت بيتاً لا تريده، فعاشت فيه غريبة، فلا قلبها حضر، ولا روحها اطمأنت، ثم كان الطلاق أو المראה، والأولاد أول ضحايا هذا الإكراه.

رابعاً: **دور الأب الناصح لا المجبر**: احترام رضا البنت لا يعني تركها بلا توجيه، بل يعني جمع العقل مع الرحمة، قال ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ تَرْضُونَ دِينَهُ وَخَلْقَهُ فَزُوجُوهُ»^(١). فالأب يبحث، ويتحرى، وينصح، ويعرض، ثم يترك القرار في دائرة الرضا، فإن وافقت، مضى، وإن رفضت، سألها عن السبب، فربما رأت ما لم ير. يا أيها الأب المربي، إن رضا ابنتك ليس تفصيلاً صغيراً، بل هو حجر الأساس في بيتها القادم، فلا تكسر قلبها باسم المصلحة، ولا تُسكت صوتها باسم

(١) سبق تخريجه.

العرف، فإن القلوب إذا أكرهت انطفأت، وإذا رضيت أزهرت، والزواج إنما يُراد له أن يكون روضة سكن، لا ساحة إجبار.

✽ المبحث الثامن: كلام الناس وتحطيم الأوثان النفسية في طريق العفاف:

الاستعلاء بالحق ومواجهة ضغط المجتمع، فمن أعظم ما يفسد القرارات في الزواج: عبودية الناس لكلام الناس، حتى صار بعض الآباء لا يسأل: ماذا يريد الله؟

بل يسأل: ماذا سيقول الناس؟

وهذه عبودية خفية، والله حرر المؤمن منها، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾. فإذا كان الله كافيك، فلماذا تخاف الناس؟

وقال ﷺ: «من التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»^(١). وهذا قانون ثابت.

أولاً: الناس لا يرضون مهما فعلت، فلن تسلم، وإن بالغت في الوليمة، قالوا: تكلف، وإن اختصرت، قالوا: بخل، وإن وسعت، قالوا: رياء، فالناس بحرٌ لا ساحل له. قال الله تعالى: ﴿وإن تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾. فالميزان ليس كثرة الموافقين، بل موافقة الحق.

ثانياً: الشجاعة في مخالفة العرف المخالف للشريعة: ليس كل عرفٍ محترماً، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»^(٢). إذا وافق

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذكره أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، «الانتصار لأصحاب الحديث» «سؤال من أهل الكلام» (ص ٢٧).

الشرع، وأما العرف إذا صادم السنة، فهو مردود.

والشجاعة الحقيقية أن تقول: لن أهرق نفسي لإرضاء الناس، ولن أبيع بركة ابنتي من أجل صورة، ولن أحرق مالي ليصفق لي الناس، فهذه هي العزة. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثالثاً: عقدة المقارنة: المقارنة من أبواب الهلاك، فلانة فعلت، وفلانة لبست، وفلان استأجر، وهكذا يدخل الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾. فالعين الممدودة لا تشبع، والقلب المقارن لا يقنع، والزواج يحتاج قناعة، لا منافسة.

رابعاً: التربية على الاستعلاء بالإيمان: علّم ابنتك أن قيمتها في دينها، لا في فستانها، ولا في قاعتها، ولا في عدد الحاضرين. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. فهذا هو الميزان.

يا أيها الأب المربي، إن كلام الناس غبارٌ يذهب، لكن أثر قرارك يبقى في بيت ابنتك سنين طويلة. فلا تجعل الوهم الاجتماعي يحكمك، ولا تجعل رضا الناس يطغى على رضا الله.

✽ **المبحث التاسع: البركة الضائعة، وأثر الذنوب في تكاليف الزواج:**

البدايات إذا فسدت، فسد أثرها، ومن أعظم الغفلة أن يبدأ الإنسان عبادةً بمعصية، والزواج عبادة.

فكيف يُفتتح بما يغضب الله؟

قال الله تعالى: ﴿وَمَاعِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾. معنى وأصلاً، والبركة رزق رباني لا تنال بالمخالفة.

أولاً: المعصية تحقق البركة: قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الْرِبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ﴾. والمحق سنة إلهية عامة في المعاصي، فكل مال دخلته معصية، نقصت بركته، وكل بداية دخلتها مخالفة، ضعفت ثمرتها، وكم من زواج بدأ بصخبٍ ومعصية، ثم دخلته الوحشة.

ثانياً: الإسراف سبب زوال النعمة: قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴿[الاسراء: ٢٦ - ٢٧]. فتأمل هذا الوصف: إخوان الشياطين.

وهل يريد الأب أن يبدأ بيت ابنته في طريق هذه صفته؟

الإسراف ليس كرمًا، بل فساد تدبير.

ثالثاً: المنكرات في الأفراح: من الناس من يجعل ليلة الفرح ليلة معصية، موسيقى وتبرج واختلاط وتجاوزات، وهذا باب خطر. قال ﷺ: «ليكون من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»^(١). فالمعصية إذا زُينت باسم الفرح، لم تتغير حقيقتها.

رابعاً: الفرح المشروع: الإسلام لا يمنع الفرح، بل ينظمه، وقد أذن النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه» (١٠٦ / ٧).

بالدف في النكاح، وقال: «فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح»^(١). فالفرح المشروع موجود، لكن بلا معصية.

يا أيها الأب المربي، لا تبدأ بيت ابنتك بمعصية ثم تنتظر بركة، فإن البركة بنت الطاعة، والطاعة مفتاح السكينة.

✽ المبحث العاشر: استقلالية البيت، والبناء على المحبة لا على الديون:

خفة الحمل وصيانة الكرامة هي من أعظم نعم التيسير أن يبدأ البيت خفيفاً من الديون، خفيفاً من الأعباء، خفيفاً من الإرهاق، فإن البيت إذا بدأ مثقلاً، دخلته الهموم قبل الأفراح. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

فكيف نُحْمَلُ الأزواج فوق وسعهم؟

أولاً: الديون عدو السكينة: كان النبي ﷺ يستعيز من الدين، ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»^(٢). لأن الدين همٌّ بالليل، وذُلٌّ بالنهار.

فكيف نبدأ الحياة الزوجية بهذا الحمل؟

ثانياً: خفة البداية سبب دوام المودة: إذا دخل الزوج البيت وهو مرتاح أحب البيت وأهله، وإذا دخله وهو مثقل، ضاق صدره، والضيق المالي أول أبواب النزاع، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. والديون تستهلك المودة.

ثالثاً: البيت سكنٌ لا معرض: البيت ليس معرض أثاث، بل موطن أرواح.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب ما جاء في إعلان النكاح» (٢ / ٥٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب الدعاء قبل السلام» (١ / ١٦٦).

قال ﷺ: «إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة»^(١).
وخير المتاع ما نفع، لا ما أرهق، فالبساطة ليست نقصاً، بل عقل.

رابعاً: الأثر الممتد على الأجيال: حين يرى الأبناء هذا النموذج، يتربون عليه، فتنقل ثقافة التيسير، وينكسر إرث التكلف. قال ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»^(٢).

يا أيها الأب المربي، إن البيت الذي يبدأ خفيفاً، يسير طويلاً، والذي يبدأ مثقلاً، يتعثر سريعاً، فلا تجعل ابنتك تدخل بيتها تحت جبال الديون، بل أدخلها إليه تحت ظلال البركة، فإن الحياة ليست في جمال البداية فقط، بل في سلامة الطريق إلى النهاية.

❖ المبحث الحادي عشر: توثيق الحقوق المالية، وضبط النزاع قبل وقوعه :

فقه الكتابة، والبيّنة، وحماية الأسرة من الخصومات بعد الوفاة، من أعظم مقاصد الشريعة في حفظ المال والأسرة: منع النزاع قبل وقوعه، وسد أبواب الخصومة التي تُفسد الأرحام بعد الموت أو عند التقسيم، ولذلك اعتنت الشريعة بإثبات الحقوق بالبيان والكتابة والشهادة، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾.

أولاً: الكتابة حماية لا شك: الكتابة في المعاملات ليست ضعف ثقة، بل كمال عقل، وقد أرشد القرآن إلى توثيق أصغر الحقوق المالية حفظاً للذمم،

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه «باب أفضل النساء» (١ / ٥٩٥ ت عبد الباقي).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب من سن سنة حسنة أو سيئة»، (٨ / ٦١).

فكيف بحقوق الإرث والعطايا والهبات داخل الأسرة؟

ثانيًا: الإشهاد يمنع التنازع: قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والإشهاد هنا ليس شكًا في الناس، بل صيانة للحقوق من التأويل بعد غياب أصحابها، فإن كثيرًا من الخصومات الأسرية تبدأ بكلمة لم نقل ولم نتفق.

ثالثًا: الهبة في الحياة تحتاج ضبطًا: كثير من النزاعات بين الإخوة تنشأ من عطايا غير موثقة أو تفضيل غير مبين السبب، فيتحول الإحسان إلى مصدر قطيعة، ولذلك كان من الحكمة الشرعية: البيان عند العطاء، والعدل في التوزيع، والوضوح في النية.

رابعًا: حماية البنت من التنازل غير الموثق: من صور الظلم أن تُجبر البنت على التنازل عن حقها ثم لا يُكتب ولا يُشهد عليه، فيضيع حقها شرعًا أو قضاءً، والشريعة لا تقر هذا النوع من الإبراء الضبابي الذي يقوم على الحياء أو الضغط الاجتماعي.

خامسًا: فقه ما بعد الموت: من تمام العقل الشرعي أن يترك الإنسان حقوقه واضحة: من ديونه وهباته ووصاياه، حتى لا تتحول التركة إلى ساحة نزاع بين الأبناء، وقد قال ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»^(١).

فالكتابة في المال ليست إجراءً إداريًا، بل عبادة تحفظ الحقوق وتمنع القطيعة، وتُبقي الأسرة بعد الموت كما كانت قبل الموت: على وئام لا خصام.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «كتاب الوصايا» (٤ / ٢).



الباب الخامس
ميزان القسط، والحقوق المالية
والميراث في حمى الوحي



الباب الخامس

ميزان القسط، والحقوق المالية والميراث في حمى الوحي

الذمة المستقلة، وعدالة القسمة، وحماية المال من سلطان العرف؛ لأن المال في شريعة الإسلام ليس مجرد وسيلة معيشة، بل هو قوام الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥].

ومن أعظم ما جاءت به الشريعة حفظ الأموال وصيانة الحقوق، فجعلت المال واحداً من الضرورات الكبرى التي قام عليها بناء الدين والدنيا.

ومن المواضع التي ظهر فيها عدل الإسلام ظهوراً باهراً: تقرير الحقوق المالية للمرأة، وإثبات ذمتها المستقلة، وإعطاؤها حقها في الإرث، بعد أن كانت في الجاهلية محرومة من المال، بل موروثاً مع المال.

لقد جاء الإسلام فحرر المرأة من التبعية المالية، وأثبت لها حق التملك والتصرف والإرث، بلا منة من أحد، ولا تفضلاً من بشر، وإنما تشريعاً من رب العالمين.

وفي هذا الباب نقف مع ميزان الوحي في تقرير حق البنت المالي، ونكشف كيف ظلمتها الأعراف حين صادمت النصوص، وكيف حفظ الإسلام كرامتها

حين جعل نصيبها حقاً مفروضاً لا يقبل الجدل ولا التلاعب.

❖ المبحث الأول: نصيباً مفروضاً، وثورة الوحي على حرمان الإناث:

حين نزلت آيات المواريث في سورة النساء، لم تكن مجرد أحكام مالية، بل كانت ثورةً تشريعية قلبت مفاهيم الجاهلية، وأعادت للبنات حقها المسلوب. كانت العرب في جاهليتها لا تورث النساء، بحجة أنهن لا يحملن السلاح، ولا يحمين القبيلة، ولا يطلبن الثأر، فكان المال عندهم تابعاً للقوة لا للرحم.

فجاء الوحي ليهدم هذا الميزان الجاهلي، ويقيم مكانه ميزان العدل الإلهي. قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]. تأمل هذه الآية العظيمة، فلم يقل الله جل في علاه: وللنساء عطية، ولم يقل: وللنساء شيء إن رضي الرجال، بل قال: نصيباً مفروضاً، أي حقاً مقطوعاً مفروضاً من الله.

أولاً: إبطال قانون القوة: كان الميراث في الجاهلية قائماً على القوة والقتال، وأما الإسلام فأقامه على الرحم والقربة، فالبنات ترث لأنهن بنات، لا لأنهن قويات، والأم ترث لأنها أم، لا لأنها تقاتل، وهذا من أعظم صور العدل.

ثانياً: فرضية الحق: الميراث ليس مجالاً للمجاملة، قال تعالى بعد تفصيل الأنصبة: ﴿فَرِيشَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠]. فمن منع بنتاً حقها فقد عارض فريضة الله. وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»^(١).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، «باب ما جاء في الوصية للوارث» (٣/ ٧٣ ط مع عون المعبود).

ثالثاً: الذمة المالية المستقلة: البنت في الإسلام لها ذمة مالية مستقلة، تملك وتبيع وتشتري. قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢]. فهي مالكة، لا تابعة.

رابعاً: بطلان أعدار الحرمان: بعض الناس يقول: هي عند زوجها، وهذا من الباطل، فالزوج لا يسقط حقها، كما أن غنى الابن لا يسقط حقه، فالحق أحق أن يتبع، وإن حق البنت المالي لم يأت من قانون أرضي، بل من حكم رباني، ومن حفظ هذا الحق فقد حفظ أمانة الله.

✽ المبحث الثاني: ابنتا سعد بن الربيع، وحين نزل الوحي نصره لليتيمات:

من أعظم الوقائع التي كشفت عدل الإسلام في باب الميراث قصة ابنتي سعد بن الربيع رضي الله عنهما، عندما استشهد سعد يوم أحد، وترك ابنتين وزوجة، فجاء عم البنات وأخذ المال كله، على عرف الجاهلية، فعن جابر بن عبد الله قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان إلا ولهما مال، قال: «يقضي الله في ذلك» فنزلت: آية الميراث، فبعث رسول الله ﷺ إلى عمهما، فقال: «أعط ابنتي سعد الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك»^(١).

أولاً: الوحي ينصر الضعفاء: هذه القصة تعلمنا أن الله ولي المظلومين، وخاصة اليتامى. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب ما جاء في ميراث البنات» (٤/ ٤١٤).

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿ [النساء: ١٠].

ثانياً: سقوط العرف أمام النص: عم البنات كان على عرف قومه؛ لكن النص أبطل العرف، فكل عرف خالف الشرع مردود.

ثالثاً: المال حماية للبنات: قول الأم: «لا تنكحان إلا ولهما مال» يكشف أهمية المال في حفظ كرامة المرأة، فالمال الحلال عز بعد الله.

رابعاً: تقوى الأب سبب لحفظ ذريته: قال تعالى: ﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]. فأعظم ما يحفظ الأب به أبنائه بعد موته: تقواه.

قصة ابنتي سعد ليست حادثة تاريخية، بل درس خالد لكل بيت: أن الله لا يضيع حق البنات، وأن الظلم المالي باب هلاك.

❖ المبحث الثالث: للذكر مثل حظ الأنثيين، وعدالة التكليف لا تفضيل الجنس:

ميزان النفقة، وحكمة القسمة، وحماية الرصيد المالي للبنات، ففي هذا المبحث نقف أمام آية من أعظم آيات التشريع، وأكثرها تعرضاً لسوء الفهم والظلم، وهي قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]. وهذه الآية ليست معيار تفضيل بين الذكر والأنثى، وإنما هي نظام عدالة إلهي قائم على توزيع المسؤوليات المالية، لا على تفضيل الذوات، فالإسلام لا ينظر إلى الإنسان بجنسه، بل بتكليفه ومسؤوليته، وما يأخذه من الحقوق يقابله ما يتحمله من الواجبات.

أولاً: الميراث مبني على الغرم قبل الغنم: من قواعد الشريعة العظيمة أن الغنم بالغرم، فمن زادت مسؤولياته زادت موارده، فالابن إذا أخذ ضعف أخته؛ لأنه لا يأخذها ترفاً، بل حملاً: عليه المهر إذا تزوج، وعليه النفقة على زوجته، وعليه النفقة على أولاده، وعليه بر أمه عند حاجتها، وعليه القيام بأخته إذا احتاجت. قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. فربط القوام بالإنفاق، لا بالاستعلاء. وأما البنت فإن مالها محفوظ لها: لا مهر تدفعه، ولا نفقة تلزمها، ولا إعالة تجب عليها، فمالها لها، ومال الرجل لغيره.

ثانياً: النظرة الرقمية تكشف الحكمة: قد يرى الناظر ظاهر الأرقام، ولا يرى حقيقة المآلات، فالرجل يأخذ أكثر، لكنه ينفق أكثر، والمرأة تأخذ أقل، لكنها تحتفظ بما أخذت. قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»^(١). فإذا أعطى الرجل زيادةً، فقد أعطاه معها عبئاً، وإذا خفف عن المرأة في النصيب، فقد خفف عنها في التكليف، وهذا من تمام الرحمة.

ثالثاً: ليست كل امرأة ترث نصف الرجل: من الجهل تصوير الشريعة على أن المرأة دائماً نصف الرجل، بل في علم الفرائض: قد ترث مثله، وقد ترث أكثر منه، وقد ترث هي ولا يرث هو، فالأم مع الأب عند وجود الولد لكل واحد منهما السدس. والأخت الشقيقة قد ترث النصف منفردة. فالمعيار في القسمة ليس الذكورة والأنوثة، بل درجة القرابة، وموقع المسؤولية.

(١) سبق تخريجه.

رابعاً: حماية البنت اقتصادياً: الإسلام لم يرد للبنت أن تعيش مكشوفة الظهر أمام تقلبات الحياة، فجعل لها: مهراً عند الزواج، ونفقةً واجبة بعد الزواج، وميراثاً عند وفاة المورث، فاجتمع لها موردان: مورد الإنفاق عليها، ومورد الادخار لنفسها. وهذا من كمال الرعاية. قال النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله»^(١). ومن الخير للأهل حفظ حقوقهم المالية.

إن الله حين قسم الموارث لم يقسم الأموال فقط، بل قسم الأعباء والمسؤوليات، فمن فهم الحكمة اطمأن، ومن نظر إلى ظاهر الرقم دون باطن التكليف ضلّ. فربّ أبناءك على تعظيم قسمة الله، فإن من رضي بحكم الله ﷻ.

✽ المبحث الرابع: الذمة المالية المستقلة:

سيادة البنت على مالها، وحرمة الاعتداء على ممتلكاتها، فهذا من أعظم ما جاء به الإسلام في تكريم البنت تقرير استقلالها المالي الكامل.

فلها أن تملك وتبيع وتشترى وتتصدق وتستثمر، دون أن تكون تابعة لأبٍ أو زوج، وهذا تقرير شرعي سابق لكل القوانين الحديثة. قال الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾.

أولاً: أهلية البنت المالية الكاملة: الإسلام لم يجعل المرأة ناقصة أهلية في المال، فخديجة بنت خويلد كانت تاجرة ذات مال، وكانت النساء يبعن ويشترين ويتصدقن، وفي الصحيح أن النساء تصدقن بجليهن بين يدي النبي ﷺ، وهذا دليل استقلال ذمهن.

(١) سبق تخريجه.

ثانياً: حرمة أكل مالها: قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال النبي ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»^(١). فمال البنت لا يحل للأب، ولا للأخ، ولا للزوج إلا برضاها، وأخذه بغير رضاها ظلم وعدوان.

ثالثاً: القوامة ليست وصاية مالية: يخطئ بعض الناس فيظنون أن قوامة الرجل تعني السيطرة على مال المرأة. وهذا خطأ، القوامة تكليف حماية، لا سلطة استيلاء، والولاية رعاية، لا مصادرة حقوق. قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَّرِيئًا﴾. فعلق الإباحة على طيب النفس.

رابعاً: المال يحفظ الكرامة: وجود مالٍ خاص للبنت يحقق لها: الاستغناء عن سؤال الناس، والقوة عند الشدائد، والقدرة على اتخاذ القرار. قال النبي ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»^(٢). والاستغناء عز. وإن صيانة مال البنت من أعظم صور البر بها، فكما تحمي عرضها، احمِ مالها؛ فإن المال سياج الكرامة، والاستقلال المالي باب من أبواب القوة والعزة.

❖ المبحث الخامس: تعبد العرف في حرمان الميراث:

مواجهة الجاهلية الحديثة في أكل حقوق البنات، ومن أخطر صور الظلم المعاصر أن يتحول العرف إلى إله يُطاع من دون الله، فيُحرَم البنات من الأرض

(١) أخرجه أحمد في مسنده، «حديث عم أبي حرة الرقاشي» (٣٤ / ٢٩٩ ط الرسالة).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى» (١١٢ / ٢).

والعقار والميراث بحجة المحافظة على اسم العائلة، وهذه جاهلية جديدة بثوب قديم. قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

أولاً: أكل حقوق البنات من الكبائر: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]. ويدخل في معناها كل ضعيف أكل حقه ظلماً. وقال النبي ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار»^(١). فكيف بحق الأخت والابنة؟

ثانياً: الأرض ليست أقدس من شرع الله: يقول بعضهم: لا نريد خروج الأرض من العائلة. فنقول: ومن الذي قسمها؟ الله. ومن الذي أمر بإعطاء البنت حقه؟ الله جل في علاه. فهل اسم العائلة أعظم من حكم الله؟

ثالثاً: التراضي القهري ظلم: بعض البنات يُجبرن على التنازل حياءً أو ضغطاً أو خوفاً، وهذا ليس تنازلاً شرعياً؛ لأن الرضا تحت الضغط ليس رضاً، قال النبي ﷺ: «إنما البيع عن تراض»^(٢). فإذا بطل التراضي في البيع، فمن باب أولى في التنازل عن الميراث.

رابعاً: الظلم يمحى البركة: قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]. وكل مال دخلته المظالم، دخله المحق، فترى المال كثيراً، والبركة مفقودة، وترى البيوت عامرة والقلوب خربة بسبب مظالم الميراث.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «كتاب الوصايا» (٤ / ٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، «باب بيع الخيار» (٢ / ٧٣٦ ت عبد الباقي).

خامساً: واجب الأب قبل موته: من الحكمة أن يوضح الأب الحقوق، وأن يربي أبنائه على حفظها، وأن يحذرهم من ظلم أخواتهم. قال الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]. فكما تخاف على بناتك، خف من الله في بنات غيرك.

إن حرمان البنت من ميراثها ليس مجرد خطأ اجتماعي، بل معصية شرعية، وخيانة للأمانة، وتمرد على حكم الله، فكن في بيتك صوت العدل، وعلم أبنائك أن حق أختهم دين في أعناقهم، وأن المال الذي يُبنى على الظلم يهدم صاحبه قبل أن يهدم غيره، فمن حفظ حدود الله في المال، حفظ الله له أهله وذريته وبركة عمره.

✽ المبحث السادس: ميراث المشاعر والذكريات:

ما هو أغلى من الذهب التركة المعنوية، وفقه العطية، وبناء رصيد الوفاء في قلوب البنات، فليست التركة في ميزان الإسلام مالا فقط، بل قد يترك الأب لابنته ميراثاً لا يُقدَّر بثمن: ميراث القيم والخلق والذكرى الصالحة. فهذا هو الذي يبقى حين يذهب المال وتبقى الحاجة. قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]. فجعل صلاح الأب سبباً لحفظ مال الأبناء ورعايتهم.

أولاً: التركة المعنوية أعظم من المادية: إن أعظم ما يورثه الأب لابنته: الإيمان الصادق فهو أصل النجاة، وحسن الخلق، فهو زينة الحياة، والسمعة الطيبة، فهي درع اجتماعي لا يُشترى. وقد قال النبي ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»^(١).

(١) سبق تخريجه.

ثانيًا: العدل في العطايا بين الأبناء: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»^(١). فالعدل في العطاء يغرس المحبة، والتميز يولد الجفوة.

ثالثًا: ميراث الثقة والتربية: إشراك البنت في الحوار الأسري والتربية المالية يورثها عقلًا راجحًا، وقدرة على إدارة حياتها بثبات.

رابعًا: وصية الإخوة بالمحبة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. فالأب الصالح يترك وراءه إخوة متحابين لا متنازعين، والمال قد يُقسم، لكن القلوب تُبنى، وميراث المشاعر هو الذي يخلد الأب في دعاء ابنته.

❖ المبحث السابع: منح العطايا وفق الحاجة :

فقه الإحسان للأقل حظًا، وتأمين الضعيف من البنات بميزان الشرع، والإسلام يوازن بين العدل والإحسان، فلا يساوي بين المختلفين في الحاجة، ولا يهمل الضعيف. قال الله تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

أولًا: التفريق بين العدل والاحتياج: العدل في الأصل بين الأولاد، وأما الحاجة فتُراعى بقدرها، فالابنة الأرملة أو المريضة أو المحتاجة لها حق زائد من الرعاية.

ثانيًا: ترك الورثة أغنياء: قال النبي ﷺ: «إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة»^(٢). فالتخطيط المالي للأب عبادة.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

ثالثًا: الشفافية في العطاء: إظهار سبب التخصيص يمنع النزاع بين الإخوة ويغلق باب الحسد. قال الله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

رابعًا: العطاء في الحياة لا الوصية الجائرة: الوصية للوارث لا تجوز، لكن الإعطاء في الحياة جائز عند الحاجة والعدل، وليس كل عطاء مساواة، بل العطاء ميزان حكمة ورحمة.

خامسًا: خطر الوصية الجائرة والهبة الظالمة: ومن أعظم الثغرات التي يتسلل منها الشيطان للآباء: التفريق في العطايا حال الحياة، أو كتابة الأملاك للأبناء الذكور دون الإناث بحجة حماية العقار من الأجانب. وهذا من الجور الذي نهى عنه النبي ﷺ.

فعن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: «أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرني أن أشهدك يا رسول الله، قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، قال: فرجع فردّ عطيته»^(١).

وفي رواية: «فلا تُشهدني إذاً، فإني لا أشهد على جور»^(٢). فسمى النبي ﷺ تفضيل الذكور على الإناث في العطايا جوراً، والجور ظلم، والظلم ظلمات، والأب الذي يظلم بناته في حياته يزرع بذور الشقاق التي ستحرق بيوت أبنائه بعد وفاته.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

✽ المبحث الثامن: مال البنت صيانة لا استغلال:

حدود تعامل الأب مع مال ابنته، فمال البنت في الإسلام أمانة، لا غنيمة ولا محل استحواذ. قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

أولاً: فهم حديث أنت ومالك لأبيك: هذا الحديث ليس إطلاقاً بلا قيد، بل مقيد عند أهل العلم، ألا يضر الأب ابنته، وألا يأخذ بغير حاجة، وألا يستخدمه لغيره ظلماً

ثانياً: حرمة الابتزاز العاطفي: إجبار البنت على التنازل عن مالها باسم البر ظلمٌ محرم. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

ثالثاً: الأب الحارس لا المستولي: الأب مأمور بالحفظ لا الأخذ. قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١).

رابعاً: مال القاصرة أمانة: قال تعالى: ﴿وَلَا تُقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. وعفة الأب عن مال ابنته هي أعظم ما يورثه لها من كرامة.

✽ المبحث التاسع: الصدقة والزكاة:

يد البنت العليا في الإسلام، فالإسلام لم يجعل مال البنت للادخار فقط، بل جعله طريقاً للعبادة.

قال النبي ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير

(١) سبق تخريجه

الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله»^(١).

أولاً: استقلالها في الصدقة: ثبت عن زينب رضي الله عنها أنها تصدقت من مالها، فأقرها النبي ﷺ. فدل ذلك على استقلالها المالي الكامل.

ثانياً: أثر الإنفاق في تزكية النفس: قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾. فالصدقة تطهر القلب وتربي النفس.

ثالثاً: الصدقة الجارية عن الوالدين: من أعظم البر أن تتصدق البنت عن أبيها وأمها. لقوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له»^(٢).

رابعاً: ضوابط الإنفاق: أن يكون من فضل المال، وألا يضيع الحقوق، وألا يورث فقراً، واليد التي تتصدق لا تُذل، بل تُرفع عند الله قبل الناس.

✽ المبحث العاشر: استثمار مال اليتيمة :

الأمان المالي المستقبلي، وحفظ المال لا يكفي، بل يجب تنميته. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾

أولاً: تنمية مال اليتيمة: جاء عن عمر رضي الله عنه: «اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الصدقة»^(٣). فدل على وجوب تنمية المال لا تجميده.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى» (١١٢ / ٢).

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب في الوقف» (٦٥١ / ٣).

(٣) رواه مالك في «موطأ مالك - رواية أبي مصعب الزهري»، «باب زكاة أموال اليتامى والتجارة فيها» (٢٥٧ / ١).

ثانيًا: الأمانة في الولاية: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

فالولي مسؤول عن تنمية المال.

ثالثًا: الاستثمار الآمن: العقار والاستثمار المأمون من أفضل الوسائل لحفظ

المال وتنميته.

رابعًا: تسليم المال عند الرشد: قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ

أَمْوَالَهُمْ﴾. فمن حفظ مال اليتيمة ورباه، فقد أدى الأمانة كما أمر الله، وخرج من

الدنيا وقد سلمت ذمته.





الباب السادس

التربية الإيمانية والمالية للبنات المسلمة



الباب السادس

التربية الإيمانية والمالية للبنات المسلمة

منهج الوحي في بناء القناعة، وصناعة الوعي، وحماية الكرامة، وإن التربية في الإسلام ليست توجيهاً سلوكياً عابراً، بل بناء متكامل للإنسان في عقيدته وقيمه ووعيه المالي والاجتماعي.

والبنت في المنظور القرآني ليست كائنًا تابعًا في الاقتصاد، بل إنسانة مكرمة مستقلة الذمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. وجاء الوحي ليهذب علاقة الإنسان بالمال، فلا يكون المأل طغياناً، ولا الفقر مهانة، بل ابتلاء واختباراً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥].

وفي هذا الباب نؤصل لمجموعة من المبادئ التربوية التي تبني في البنت ميزان الإيمان، وفقه المال، وحصانة الكرامة.

✽ المبحث الأول: ميزان الدنيا والآخرة، وتحرير قيمة الإنسان من سلطة المال:

إن أول ما يربيه الوحي في النفس أن قيمة الإنسان ليست في ماله، ولا في شكله، ولا في مكانته الاجتماعية، بل في تقواه. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى

قلوبكم، وأعمالكم»^(١). فالبنات التي تربي على هذا الميزان لا تفتن بكثرة المال عند الآخرين، ولا تذلل لقلّة ما عندها، لأنها تعلم أن الميزان الحقيقي عند الله لا عند السوق، وهذا يحررها من عبودية المقارنة، ويجعلها تعيش بطمأنينة، فرزقها مقسوم، وكرامتها محفوظة، وقيمتها ثابتة.

❖ المبحث الثاني: فقه القناعة والرضا، والغنى الحقيقي في ضوء الوحي:

القناعة ليست ضعفاً ولا استسلاماً، بل هي غنى القلب بالله، واستقرار النفس على قدر الله. قال النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»^(٢). وقال ﷺ أيضاً: «ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْتَهُمْ بِزُكُوفٍ مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. وتربية البنات على القناعة تعني: أن لا تُقاس قيمتها بما تملك الأخريات، وأن لا تجعل رغبات السوق تتحكم في قراراتها، وأن تفهم أن الرضا يورث السكينة لا الحسابات، فكم من فقيرة مالا وهي أغنى الناس نفساً، وكم من غنية مالا وهي في فقرٍ داخليٍّ دائم.

❖ المبحث الثالث: حماية البنات من فتن المال، والتربية على الوعي لا الاستهلاك:

إن المال في هذا العصر لم يعد مجرد وسيلة معيشة، بل أصبح أداة توجيه للرغبات وصناعة للهوية، ولذلك كان لازماً حماية البنات من فتن الاستهلاك. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. وقال النبي ﷺ: «كلوا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره»، (٨ / ١٠).

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري في صحيحه، «باب: الغنى غنى النفس» (٨ / ٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب: من اتقى المحارم فهو أعبد الناس» (٤ / ٥٥١).

وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة»^(١). وحماية البنت هنا تقوم على: ضبط مفهوم الاحتياج الحقيقي مقابل الرغبة، وتهديب الذوق على الاعتدال لا المبالغة، وربط القرار المالي بالقيمة لا بالإعلانات، وتربية الحس بالمسؤولية لا الاستهلاك الأعمى، فالبنت الواعية هي التي تفهم أن كثرة الشراء ليست دليل غنى، بل قد تكون علامة اضطراب داخلي.

✽ المبحث الرابع: دور الأب في بناء الوعي، والرعاية لا السيطرة؛

الأب في المنهج النبوي ليس مالكا لمستقبل ابنته، بل راعٍ ومسؤول. قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٢). وقال ﷺ: «إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه: حفظ أم ضيع»^(٣).

ودور الأب في التربية المالية والإيمانية يشمل: غرس معنى الرزق وأنه من عند الله لا من عند البشر، وتعليم الابنة كيفية إدارة المال دون إفراط أو تفريط، وإشراكها في فهم التوازن المالي داخل الأسرة، حمايتها من الاستغلال دون كسر إرادتها أو شخصيتها. كما أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(٤). وذلك يشمل أثر النعمة في العقل والسلوك لا في المظاهر فقط، فالأب الناجح هو الذي يخرج بنتاً تعرف مالها، وتعرف ربها، وتعرف حدودها؛

(١) أخرجه النسائي في سننه، «الاختيال في الصدقة» (٥ / ٧٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، «ذكر الإخبار بسؤال الله جل وعلا كل من استرعى رعية عن رعيته» (٦ / ١٩١).

(٤) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» (٥ / ١٢٣).

لأنّ البنت التي تُربّى على ميزان الإيمان، وتُصان من فتنة المال، وتُغرس فيها القناعة والوعي، تنشأ شخصيةً ثابتةً لا تهزّها الدنيا، فالقيمة ليست في كثرة ما تملك، بل في عظمة ما تؤمن به، وسمو ما تحمله في قلبها من يقين، وإذا اجتمع في تربيتها: الإيمان، والقناعة، والوعي، والرعاية، خرجت نموذجًا للمرأة المسلمة التي تمشي في الحياة مطمئنةً ثابتةً عزيزةً برها قبل مالها. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾.

✽ المبحث الخامس: الاستيعابُ العاطفيُّ للمراهقة، وعبورُ الأمان في بحرِ التقلبات:

فقه التغافل الواعي، والرّفق النبويّ بالمتغيرات، وصناعةُ الأبِ الملاذ، ففي هذا المبحث، نتناول المخاض النفسي الأكبر في حياة البنت وإن مرحلة المراهقة ليست مجرد تغيرات بيولوجية، بل هي رحلةٌ للبحث عن الهوية، يسودها اضطرابُ المشاعر، وسرعةُ الغضب، والرغبةُ في الاستقلال. وهنا نكشف عن الاستيعاب النبوي الذي لا يقابل الحدة بالحدة، بل يقابلها بالرفق والتغافل؛ لكي لا تتحول فجوة الأجيال إلى قطيعة، بل إلى جسرٍ ثقةٍ يعبر بالبنت لبر الأمان.

أولاً: رفقاً بالقوارير فهم هشاشة المرحلة:

لم يصف النبي ﷺ النساء بالقوارير إلا لشدة رقتهن وسهولة كسر صفائهن، وذلك لطبيعة التكوين، ففي سن المراهقة تكون البنت كالقارورة التي تعصف بها الرياح؛ فكلمةٌ قاسية قد تخدش حيائها، وتجاهل غير مقصود قد يحطم ثقتها، فالرفق هنا ليس خياراً، بل هو ضرورة شرعية لحفظ النفس من الانكسار.

استيعاب المزاج المتغير: النبي ﷺ كان يراعي حال السيدة عائشة رضي الله عنها وهي في سن الشباب، ويعرف متى تكون راضية ومتى تكون غضبي من كلامها. هذا الذكاء العاطفي من الأب يجعل البنت تشعر أنها مفهومة وليست مُدانة.

ثانياً: فقه التغافل، وعظمة الصبر على الهفوات: العافية عشرة أجزاء، وتسعة منها في التغافل. وفي المراهقة، هو كل الخلق:

غض الطرف: المراهقة قد تخطئ في اللفظ، أو تعاند في الرأي، أو تهمل في واجب. الأب العظيم هو الذي يتعمى عن الهفوات الصغيرة ليحمي الثوابت الكبيرة. إذا حاسبت ابنتك على كل شاردة وواردة، فستجعل منها شخصية دفاعية أو كاذبة لتتقي نقدك.

البحث عن النية لا الفعل: قد تشدد ابنتك في الكلام، لكنها في الحقيقة تصرخ طلباً للاهتمام أو الأمان. استوعب الصرخة، ولا تقف عند اللحن في الكلام.

ثالثاً: كسر الفراغ العاطفي، وسد الثغرات أمام الذئاب: المراهقة هي السن التي تبحث فيها الأنثى عن كلمة حب أو نظرة إعجاب: أشبعها بالحب: إذا لم تسمع البنت كلمات الغزل والحب والتقدير من أبيها، فستبحث عنها في الخارج. الأب هو المشبع الأول لعاطفة ابنته. عندما تمتدح جمالها، وذكاءها، ورجاحة عقلها، فأنت تبني حولها سياجاً لا تخترقه كلمات المادحين الغرباء.

الاستماع النشط: اجعلها تتحدث وأنت تسمع بكل عقلك وقلبك. لا

تسفه أحلامها، ولا تضحك من مشكلاتها التي تراها أنت تافهة وتراها هي نهاية العالم.

رابعاً: الأمان عند الخطأ وأن تكون المحامي لا القاضي: أكبر نجاح للأب في هذه المرحلة هو أن تكون أول شخص تفكر ابنته باللجوء إليه عندما تقع في كارثة:

مرفأ الأمان: إذا خافت ابنتك منك عند الخطأ، فستذهب للغرباء ليحلوا لها مشكلتها، وهنا يكمن الضياع. ابن معها عهداً: يا بنيتي، مهما بلغت خطيئتك، فأنا حماك وسترك، تعالي إليّ أولاً. هذا الأمان المطلق هو أعظم جدار حماية في الموسوعة الدنيوية.

إن المراهقة سحابة صيف؛ إما أن تمر بسلام يروي الأرض، أو تتحول لعاصفة تقتلع الجذور. الأب المربي هو من يقبض على أعصابه في لحظات غضب ابنته، لكي لا يفقد قلبها للأبد. تذكر أن الفرق ما كان في شيء إلا زانه. فكن لابنتك البحر الذي يستوعب تقلباتها، والميناء الذي ترسو فيه أحلامها، لتخرج من هذه المرحلة وهي أشد حباً لك، وأكثر تمسكاً بدينها وقيمها.

✽ **المبحث السادس: مواجهة التنمر الاجتماعي، وعزء البنت فوق**

سخرية الخلق:

تخطيط معايير الجمال المادية، وفقه الاستعلاء بالتقوى، والأب مرآة الكرامة، وفي هذا المبحث، نتناول حرباً ضرورياً تشن على نفسية البنات في عصر الصورة والمثالية الزائفة. وإننا نواجه ثقافة تسخر من البنت لتأخر زواجها، أو لكونها لا

تشبه عارضات الأزياء، أو لمرورها بابتلاءٍ يقلل من حظوتها الاجتماعية. هنا يأتي دور الأب ليكون الدرع النفسي، وليبني في ابنته مناعةً تجعلها تسمو فوق كلمات الناس، وتدرك أن قيمتها ليست في رأي بشر، بل في تقدير خالق البشر.

أولاً: أكرمهنَّ عند الله: تغيير موازين القيمة: لقد جاء الإسلام ليحطم موازين الجاهلية التي كانت تقيس المرأة بمالها أو جمالها أو قبيلتها، فالميزان الإلهي، والقاعدة في القرآن واضحة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾. علّم ابنتك أن التقوى، والعلم، والخلق، هي الماركات الحقيقية التي لا تبلى، وأن كل معيارٍ آخر هو سرابٌ يزول بزوال الشباب والمال.

نموذجٌ صفية: حين قيل للسيدة صفية بنت حيي رضي الله عنها، وهي ابنة يهودي كلمات آلتها، قال لها النبي ﷺ معلماً إياها العزة: «إنك لابنة نبي، وإن عملك لنبي، وإنك لتحت نبي، فبِمَ تفخر عليك؟»^(١). هذا هو التحصين النفسي؛ أن تذكر ابنتك دائماً بأصل كرامتها وانتمائها لهذا الدين العظيم.

ثانياً: مواجهة تأخير الزواج، فالأقدار لا تُعاب: من أشد أنواع التمر الاجتماعي الضغط على البنت التي لم يطرق بابها أحد أو المتأخرة في الزواج، فهي ليست سلعةً بائرة: يجب أن يربي الأب ابنته على أن الزواج رزقٌ كالمطر، لا يأتي بطلبٍ ولا يتأخر بعيب. قل لها: يا بنيتي، أنت في بيتي ملكة، وزواجك من عدمه لا ينقص من قدري ولا من قدركِ شيئاً.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب في فضل أزواج النبي ﷺ» (٦/ ٣٩٩).

كسر لسان الشامتين: الأب هو من يخرس السنة الأقارب الذين يسألون ألم يأت نصيبها؟؛ برد حازم يبين فخره بابنته وبوجودها في كنفه، لكي تشعر هي بالعز لا بالمدلة.

ثالثاً: الجمال المصنوع ليس كالجمال المطبوع: في زمن عمليات التجميل والفلاتر، قد تشعر البنت بنقص في ملامحها:

صنعة الخالق: ازرع فيها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. علمها أن ملامحها هي توقيع الله على خلقه، وأن كل وجه فيه سر جمال لا يدركه إلا الأنقياء.

الأب هو المعجب الأول: إذا سمعت البنت الشاء على جمالها من أبيها بصدق ودائم، لن تلتفت لتقييم الآخرين. كن أنت من يملأ عينها بالرضا عن نفسها، لكي لا تهتز أمام معايير الموضة القاسية.

رابعاً: الاستعلاء الإيماني على السخرية: عندما تواجه البنت تنمرًا بسبب التزامها حجابها أو حيائها أو تمسكها بالقيم:

فخر الانتماء: علمها أن من يسخر منها اليوم، سيمنى أن يكون في مكانها غداً. حوّل شعورها بالغرابة إلى شعور بالتميز، وإن المجتمع قد يكون قاسياً أحياناً، ولكن الأب يجب أن يكون ليناً دائماً. البنت التي تجد في عين أبيها الفخر وفي كلماته الأمان، لن يكسرها قول قائل ولا تنمر حاسد. كن أنت المرأة الصافية التي ترى فيها ابتك عظمتها وجمالها، واجعل من بيتك قلعةً تتحطم على أسوارها

كل ترهات العادات الجاهلية. فالبنت المعززة في بيتها، هي ملكة أينما حلت.

✽ المبحث السابع: سند الأرملة، والوفاء لما بعد الرحيل:

الاحتواء الكامل، وكفالة اليتامى، والأب القلعة بعد فقدان، ففي هذا المبحث، نتناول محطة من أصعب محطات الحياة؛ وهي الترمّل. عندما تكتسي ابنتك ثوب الحزن بفقد زوجها، وتجد نفسها فجأة مسؤولة عن أيتام في زمن لا يرحم، هنا يتجلى دور الأب القائد، الذي لا يفتح لابنته باباً للمسكن فحسب، بل يفتح لها آفاق الكرامة، ويجعل من رحيل زوجها بداية لرعاية إلهية تمر عبر قلبه ويده.

أولاً: الساعي على الأرملة، والمقام الجهادي للأب: لقد رفع النبي ﷺ مسن شأن من يقوم بشؤون الأرملة إلى درجة مذهلة: كالمجاهد في سبيل الله: قال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»^(١).

الاحتساب العظيم: أن نفقة الأب على ابنته الأرملة وأطفالها، ووقوفه لقضاء حوائجهم، يجعله في عبادة مستمرة لا تنقطع؛ صيام لا يفطر وقيام لا يفتّر. هذا الفهم يحول العبء إلى غنيمة يتسابق إليها الأب.

ثانياً: الأب وطن لا مهجر: أخطر ما يواجه الأرملة هو شعورها بأنها أصبحت ضيفة ثقيلة في بيت أهلها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «كتاب النفقات» (٧ / ٦٢).

حق الانتماء: يجب أن يشعر الأب ابنته بأن عودتها لبيتها هي عودة الروح للجسد. لا تسمح لأحد في العائلة أن يشعرها بأنها تضيق عليهم المكان أو الرزق. **الأمان النفسي لأحفادك:** كفالة أيتام ابنتك هي الصدقة الجارية الأقرب إليك. عندما يجد اليتيم في جده رائحة أبيه وقوة سنده، ينشأ سوياً لا يشعر بالنقص، وتكون أنت الجابر لكسرهم.

ثالثاً: حماية إرث الأرملة وكرامتها: في بعض الأحيان، تتعرض الأرملة لضغوط من أهل زوجها أو طمع في ميراثها.

المطالبة بحقوقها: دور الأب هنا هو أن يكون المحامي والمطالب بحقوق ابنته وأيتامها، لا يتركها وحيدة في المحاكم أو في مواجهة الصراعات المالية. حمايتك لمالها هي حماية لمستقبل أحفادك.

العفة عن مالها: الأب العظيم هو من يترفع عن مال ابنته الأرملة، بل يزيدها من فضله، لكي تظل مرفوعة الرأس أمام الجميع.

رابعاً: إعادة الحياة بين البقاء والزواج الثاني: موقف الأب المربي من مستقبل ابنته الأرملة يحتاج لحكمة نبوية.

المشورة الصادقة: لا تضغط عليها لتتزوج لتتخلص من مسؤوليتها، ولا تمنعها من الزواج عضلاً بحجة تربية الأبناء. وكن معها حيث تكون مصلحةها النفسية والدينية، واجعل القرار لها مع دعمك الكامل لكل خيارٍ تتخذه.

إن البنت الأرملة هي اختبار النبل في الأب. فعندما يغلق العالم أبوابه في

وجهها، يجب أن تجد بابك مشرعاً بلا قيد ولا شرط. كن أنت القلعة التي تتحطم عليها أحزانها، والسند الذي تتكئ عليه في تربية أيتامها. تذكر أن إحسانك لها هو بوابة الفردوس، وأن دموع يتيمة التي تمسحها بيدك هي أمان لك من النار. الأب الذي يُكرم ابنته الأرملة، يُكرمه الله بالولاية في الدنيا والآخرة.

❖ المبحث الثامن: فقه الخلافات الزوجية، دور الأب كمصلح لا كمشعل:

السياسة النبوية في حل الأزمات، وحماية الكرامة للزوجين دون تدمير البيوت، وفي هذا المبحث، نتناول دور الأب عندما تضطرب سفينة ابنته الزوجية. وإن الأب المرئي ليس خصماً لزوج ابنته، وليس متفرجاً سلبياً، بل هو حكم وحكيم للتحدي الأكبر، وكيف ينصر الأب ابنته إذا ظلمت، وكيف يردّها للحق إذا أخطأت، دون أن تتحول المشكلة الصغيرة إلى هدم كلي للأسرة. وإنها مدرسة الستر والرشد التي تضمن للبنات كرامتها وللبيت استقراره.

أولاً: فابعثوا حكماً من أهله ومقام الأب الرباني: عندما يشتد الخلاف، جعل الله الأب هو رجل الإطفاء الأول.

إرادة الإصلاح: يقول الله تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾. فالأب الذي يدخل بيت ابنته وبنيتها الإصلاح لا الانتصار لذاته أو لابنته بالباطل، يضع الله في كلامه البركة والقبول.

التؤدة وعدم العجلة: الأب الحكيم لا يشعل الفتنة بنقل الكلام أو التحريض، بل يمتص الغضب، ويسمع من الطرفين بإنصاف، ليكون ميزاناً للعدل لا صوتاً للعاطفة المجردة.

ثانياً: النصر النبوية متى نغضب للبنات؟: لقد غضب النبي ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام، ولكن كيف كان غضبه؟

حمية المشاعر: عندما بلغه أن علياً عليه السلام أراد الزواج عليها، لم يذهب ليعنفه في بيته، بل وقف على المنبر وقال بوضوح: «فاطمة بضعة مني، يريني ما راها، ويؤذيني ما آذاها»^(١).

الدرس للأب: نصره البنت تكون بحفظ كرامتها ومنع أذيتها النفسية والمادية، ولكن بخلق النبوة؛ فكلية الأب الحازمة والمحترمة تفعل في زوج البنت ما لا تفعله المشاحنات والقطيعة.

ثالثاً: الستر زينة البيوت والأب ليس مخبراً: من الأخطاء الكبرى أن يتدخل الأب في كل صغيرة وكبيرة في حياة ابنته:

مملكة البنت الخاصة: علم ابنتك أن أسرار بيتها أمانة، وأنه لا يجب أن تنقل إليك كل خلاف بسيط، فالأب المربي هو من يقول لابنته: اصبري في بيتك، واستعيني بالله، ما لم يصل الأمر لظلم بين.

إغلاق المنافذ: لا تكن أذنًا لكل شكوى تافهة، بل كن عقلاً يزن الأمور؛ فالبنات قد تغضب ثم ترضى، ويرضيها زوجها في لحظة ما، وقد لا يدوم الخصام طويلاً بينهما، ولكن الأب إذا غضب قد لا ينسى، وبذلك تبقى المشاحنة في العلاقة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف» (٧ / ٣٧).

رابعاً: جدار الصد في حالات الظلم البين: إذا تعرضت البنت لظلم حقيقي، مثل أذى جسدي أو هجر أو منع حقوق.

القوة في الحق: هنا ينتهي دور المصلح الهادئ ويبدأ دور الحامي الصلب. الأب هنا يجب أن يشعر زوج ابنته بأن خلفها رجلاً لا يقبل الضيم، وبأن بيتك مفتوح لها في كل وقت إذا سُدَّت في وجهها الأبواب، فهذه الهيبة هي التي تمنع المعتدي من التمادي.

إن الأب في خلافات ابنته الزوجية هو المهندس الذي يرمم البنيان، فلا تكن ممن يهدمون البيوت بكلمة طائشة أو غيرة عمياء. كن لابنتك ناصحاً أميناً، ولزوجها أباً رحيماً، وليبتهما جدار أمان. تذكر أن أفضل الصدقة إصلاح ذات البين، وأقرب القربات أن تبقى ريحانتك في بيتها مستورة، عزيزة، بفضل حكمتك ورجاحة عقلك.

وأكد لابنتك أن بيتك ليس محطة عبور بل هو أصل ومقر، وأن كرامتها عندك أعلى من استمرار زواج يُهدر إنسانيتها. إن الأمان الذي تمنحه لابنتك بقولك: إن ضاقت بك السبل فصُدري أوسع لك من الدنيا، هو الذي يجعلها تختار شريك حياتها بقوة، وتعيش معه بعزة، ولا ترضى بالضيم؛ لأنها تعلم أن خلفها ظهراً لا ينحني.

❖ المبحث التاسع: أزمة المرض والابتلاء الجسدي، والرضا بأقدار الله:

فقه الابتلاء، وصناعة الأمل الإيماني، والجمال الذي لا تذبله الأوجاع، ففي

هذا المبحث، نتناول دور الأب كطبيب للروح وسند للجسد. عندما تبتلى البنت بمرض مزمن أو عاهة مفاجئة أو فقد لجمال كان يشار إليه بالبنان، فإنها تدخل في نفق مظلم من كراهية الذات أو اليأس من الحياة. هنا يتجلى دور الأب ليضيء لها قنديل الرضا، ويوصل لها فقه الابتلاء الذي يرفع الدرجات ويمحو السيئات، يجعل من أنين وجعها تسيحاً يفتح لها أبواب الجنان.

أولاً: الجسد فناء والروح بقاء، وتغيير زاوية النظر: لقد علمنا الوحي أن قيمة الإنسان ليست في قالب الجسد، بل في قلب العبد.

بشارة الجنة بالصبر: نتأمل قصة المرأة التي كانت تصرع وتتكشف، فجاءت للنبي ﷺ تطلب الدعاء بالشفاء، فخيرها بين الشفاء وبين الصبر والجنة، فاختارت الجنة وقالت: «أصبر، ولكن ادعُ الله لي ألا أتكشف»^(١).

الدرس للأب: علم ابنتك أن المرض هو اصطفاء وليس عقوبة، وأن الله إذا أحب عبداً ابتلاه، فالأب المربي هو من يجعل ابنته ترى أجر المرض قبل أن تشعر بألم المرض، ليرتفع سقف طموحها من عافية الدنيا إلى نعيم الآخرة.

ثانياً: بناء الروح المتصلة بالأمل في وسط الألم: البنت المريضة قد تشعر أنها أصبحت عبئاً أو أن قطار الحياة قد فاتها.

بث اليقين: كن أنت رسول الأمل في حياتها. ذكرها بأن الأنبياء هم أشد الناس بلاءً، وأن الله لم يبتلها ليعذبها بل ليهذبها ويقربها إليه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب فضل من يصرع من الريح» (١١٦ / ٧).

الرضا بالمقدور: ازرع في قلبها أن الله حكيمٌ رحيم، وأن وراء هذا المرض أطفاً خفية قد لا تدركها الآن، ولكنها سترها يقيناً في ميزانها يوم القيامة.

ثالثاً: الجمال المعنوي في مواجهة الذبول الجسدي: إذا أثر المرض على ملامح البنت أو قدرتها الجسدية.

أنت جميلة دائماً: كرر على مسامعها أنها في عينك هي تلك الريحانة التي لا تذبل، فالأب الذي يمدح صبر ابنته ورضاها وابتسامتها رغم الوجع، يمنحها ثقة تجعلها تواجه المجتمع برأس مرفوعة رغم الإعاقة أو المرض.

تخطيئ معايير الكمال: علمها أن الكمال لله وحده، وأن النقص الجسدي هو اختبار للناس في إنسانيتهم واختبار لها في يقينها.

رابعاً: الأب الخادم لذة الرعاية والاحتساب: رعاية البنت المريضة هي بابٌ للجنة يفتح للأب في بيته.

الصبر على الخدمة: لا تظهر تبرماً من مرضها أو حاجة علاجها، وإن وقوفك على رأسها بالدواء، وحملك لها عند التعب، ومسحك لدموع ألمها، هي أعمالٌ قد تفوق في ميزانك صلاة الليل وصيام النهار. كن أنت الحُضن الذي يستوعب أنينها في هدوء الليل.

إن البنت المبتلاة في جسدها هي بوابتك الخاصة لرفقة النبي ﷺ في الجنة.

الأب الذي يحول أنين ابنته إلى رضا ويأسها إلى رجاء، هو أبٌ استوعب حقيقة الدنيا بأنها دار ممر لا دار مقر. كن لها العين التي تبصر بها الأمل، واليد التي تستند

عليها في الضعف، والقلب الذي يطمئنها بأن الله معها. فالبنت الصابرة في بيتك هي بركة الدار، وإحسانك لها في محنتها هو ذخرك الذي لا ينفد.

✽ المبحث العاشر: البنت أمانة الله إلى يوم اللقاء:

الشهادة الكبرى، وصية الفراش الأخير، والطريق إلى رفقة النبي ﷺ، إن كل ما سطرناه في ما سبق ليس مجرد نصائح تربوية، بل هو برنامج نجاه للأب يوم القيامة. هنا نذكر الأب بأن هذه الريحانة التي تعب في سقيها وحمايتها في عواصف الدنيا، ستكون هي حجاب من النار وشهيدته بين يدي الله، وإنه ميثاق الوفاء الذي لا ينتهي بموت الأب، بل يبدأ بخلوده في الجنة بفضل إحسانه لبناته.

أولاً: استوصوا بالنساء خيراً الوصية الخالدة: تأمل في جلال الموقف؛ النبي ﷺ في حجة الوداع، وعلى فراش الموت، لم ينس القوارير.

آخر العهد: كانت وصيته الأخيرة: «استوصوا بالنساء خيراً»^(١). هذه الكلمة ليست مجرد نصيحة، بل هي أمانة غليظة وضعها في عنق كل أب، والأب الذي يختم حياته وهو بار بيناته، هو الذي أدى الأمانة كما أرادها رسول الله ﷺ.

مقام الصحبة: تذكر الوعد النبوي المذهل: «من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه»^(٢). هل هناك رتبة في الوجود أعلى من أن تكون جار المصطفى ﷺ بسبب ابتك؟

ثانياً: البنت شهيدة الإحسان والشفاعة الكبرى: يوم القيامة، عندما يُسأل

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الأب عن رعيته، ستقف البنات شهود عدل.

كلام الوفاء: إذا أحسن الأب للبنات في أزماها: طلاقها، مرضها، ضيق عيشها، فإنها ستكون أول من يدافع عنه أمام الله، وإن إحسانك لها في عواصف الحياة التي ذكرناها في هذا الباب، هو الذي سيجعلها تقول: يا رب، إن أبي كان لي جدار أمان، فأكرم نذله.

الحجاب من النار: الصبر على تربيتهن والقيام بحقوقهن هو الدرع الذي يقي وجه الأب من لوافح النيران.

ثالثاً: ميثاق الاستمرارية ماذا نترك لهن؟: الأب المربي في ختام موسوعته يدرك أن أعظم ما يتركه لابنته ليس المال، بل القيم.

ميراث العزة: اترك لابنتك ذاكرةً مليئةً بالحب والعدل والاحتواء، لكي تكون هي بدورها أمّاً مربية تنقل هذا النور للأجيال القادمة.

الأمانة المستردة: عندما يشعر الأب بدنو أجله، يسلم الأمانة لخالقها وهو مطمئن، قائلاً: اللهم إني قد أحسنتُ إليهنّ كما أمرت، فاحفظهنّ برحمتك التي وسعت كل شيء.

رابعاً: اللقاء عند الحوض نهاية الرحلة: إن هذه الموسوعة تنتهي هنا في الدنيا، لكن أثرها يمتد إلى الحوض المورود.

الفرح الأكبر: فرحة الأب وهو يرى بناته يدخلن الجنة بسببه، وهو يدخل الجنة بسببهن. هناك، حيث لا أزومات، ولا طلاق، ولا مرض، ولا فقر. هناك

حيث القُطوف دانية والنعيم المقيم.

خامساً: رسالة إلى كل أب:

المحاسبة والرجاء: راجع ما قدمت لبناتك، واستغفر عما قصرت، وافتح صفحة جديدة من الإحسان المطلق.

الدعاء المستمر: اجعل ختام كل صلاة دعوة صادقة: اللهم أصلح لي ذريتي، واجعل بناقي قرة عين لي في الدنيا والآخرة.

الثبات على المنهج: ابق جدار أمان حتى آخر نبض في عروقك، ليكون ختام عملك في الدنيا هو أرقى أنواع العبادة.

لقد رأينا فيه كيف يكون الأب هو البطل في حياة ابنته عند كل عاصفة، والآن، ونحن نلقي نظرة الوداع على هذا الباب، نستشعر جلال المسؤولية وعظمة الأجر. إن ربحانة الوحي التي بين يديك هي طريقك المختصر للجنان. فاحفظ الميثاق، وصن الأمانة، واستبشر باللقاء.





الباب السابع

ميثاق التيسير، وكسر أغلال العادات، وجاهلية
الجهاز والأفراح



الباب السابع

ميثاق التيسير، وكسر أغلال العادات، وجاهلية الجهاز والأفراح

بيان الحق المر، ومحاربة المنكرات الاجتماعية التي عطلت البيوت، وإن هذا الباب هو صرخة في وادي الصمت، وحجة نرفعها في وجه عادات صارت كالأصنام تُعبد من دون الله، أهلك الأموال، وقصمت الظهر، وحبست البنات في بيوت آبائهن خلف قضبان المظاهر الزائفة. وإننا في زمن صار فيه الجهاز وقصر الأفراح والمظاهر الكاذبة أهم من بناء الإنسان، حتى غدا الأب - وخاصة من أكرمه الله بفيض من البنات - يزرع تحت وطأة الديون والهموم ليُرضي عيون الناس، بينما تذبل زهور بناته أمام عينيه بسبب شروط قاسية ما أنزل الله بها من سلطان.

❖ المبحث الأول: ميزان التكليف الشرعي، ومن يجهز بيت الزوجية؟

إن الحق الذي تضافرت عليه أدلة الشريعة وأقوال الفقهاء هو أن تجهيز مسكن الزوجية واجب محتّم على الزوج وحده، بصفته القوّام والمكلف بالنفقة والسكنى.

والأصل القرآني: قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦].

فوجه الأمر للرجل أن يهيئ السكن بما يصلح له من أثاث ومتاع.

براءة ذمة الأب: لم يكلف الله أبا البنت أن يشتري مطبخاً ولا أجهزة كهربائية

ولا مفروشات. وما يقدمه الأب اليوم في مجتمعاتنا - خاصة في مصر - من إلزام

نفسه بنصف الجهاز أو الأجهزة الثقيلة هو بدعة اجتماعية وظلم فادح للأب.
المهر حق لا مغرم: المهر شرع ليكون إكراماً للمرأة لا لتشتري به ثلاجة وغسالة وغرفة أطفال. فإجبار الأب على إنفاق المهر وزيادة عليه في الجهاز هو قلب لمقاصد النكاح.

✽ المبحث الثاني: مقبرة الأموال، قصور الأفراح والمباهاة بالولائم:

لقد تحولت قصور الأفراح من مكان للاجتماع إلى منصات للمفاخرة وتبذير الأموال التي هي أولى بها حياة الزوجين الجديدة.
فوضى الدعوات: إرسال دعوات لمئات البشر، ومنهم من لا تربطه بالزوجين صلة، هو تكلف ممقوت.

إرهاق الناس: استئجار السيارات وقطع المسافات الطويلة للوصول لقصور الأفراح النائية هو إشغال للناس وإضاعة لأوقاتهم وأموالهم بلا طائل.

البركة في التيسير: قال النبي ﷺ: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة». فأين البركة في حفل يُنفق فيه مئات الآلاف، ويخرج منه الأب مديناً، والزوج مثقلاً؟

✽ المبحث الثالث: ليل المنكرات، والسهر المذموم والفرق الغنائية والدي جي.

إن الفرح في الإسلام شعيرة تُظهر السرور، لكنها انحرفت لتصبح ليلة تُستهلك فيها المحرمات وتُضيع فيها الصلوات.

إضاعة الصلوات: السهر في القاعات والبيوت إلى الفجر يؤدي قطعاً إلى ضياع صلاة الفجر، فهل نستهل حياة زوجية بترك الركن الثاني من أركان الإسلام؟

الباب السابع: ميثاق التيسير، وكسر أغلال العادات، وجاهلية الجهاز والأفراح

الصخب والضجيج: استئجار الفرق الغنائية ومكبرات الصوت مثل: الذي جى التي تملأ القرى والمناطق العامة بالضجيج هي أذية للمسلمين، وفيها ترويع للمريض، وإزعاج للمصلي، وإشغال للناس عن راحتهم.

إغلاق السكنينة العامة: إغلاق الشوارع وإشغال الأماكن العامة بمكبرات الصوت هو منكر شرعي، قال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

❖ **المبحث الرابع: طوفان الزينة المصنعة، بدعة الكوفيات والمغلاذ في التجميل:**

أصبحت البنت في ليلة عرسها كأنها كائن آخر بفعل الكوفيات وأدوات الزينة المبالغ فيها، والتي تستهلك مبالغ طائلة في ساعات معدودة.

التزييف لا التزين: المبالغة في الزينة المصنعة التي تغير الملامح وتكلف الآلاف هي من قبيل الإسراف والتبذير.

الإسراف في القشور: إنفاق مبالغ خيالية في تصفيف الشعر والمكياج، بينما قد تكون الأسرة في حاجة لهذا المال، هو ضعف في العقل والتدبير.

❖ **المبحث الخامس: نداء إلى الضمير الجماعي، ورسالة إلى الأقارب والمجتمع:**

هذه الرسالة أوجهها لكل من يضغط على الآباء، وخاصة الأقارب والأخوات:

كفوا ألسنتكم: إن كلماتكم مثل: بنت فلان جابت كذا ولازم تعمل فرح في المكان الفلاني هي سهام مسمومة في صدر الأب الصالح.

اتقوا الله في الآباء: لا تجعلوا الأب يبيع دينه وعرضه أو يستدين بالربا ليُرضي غروركم الاجتماعي.

كونوا عوناً لا عبئاً: التيسير هو منهج الصحابة والتابعين. وإن سيدة نساء أهل الجنة فاطمة عليها السلام كان جهازها وسادة من آدم حشوها ليف وقربة ماء، فهل نحن أكرم منها؟

✽ المبحث السادس: صرخة أب، والأمانة التي ضاعت بين الشروط والعادات:

لكل من يدخل بيتاً من بيوت المسلمين ويشترط شروطاً قاسية: اتق الله في القوارير. لقد حبستم البنات بيدع قائمة المنقولات وتكاليف القاعات. بنات المسلمين ليست سلعة تُباع، ولا هي صفقة تجارية تُقايس بالأجهزة. وإن عزة البنات في دين الخاطب، وكرامة الآباء في ستر بناته وتيسير أمرها.

✽ المبحث السابع: بدعة النيش وتكديس المتاع، وعبادة الأصنام الزجاجية:

لقد ابتلي المجتمع ببدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وهي شراء مئات الأطقم من الزجاج والصحون ما يسمى بالنيش، والتي تُحبس خلف الزجاج لسنوات دون استخدام، بينما تُقيد رقاب الآباء بالديون لأجلها.

الاستنزاف المالي: إنفاق مبالغ طائلة في أوإن لا تُستخدم هو إضاعة صريحة للمال الذي نهى عنه النبي ﷺ.

ضيق البيوت: تكديس هذه الأصنام الزجاجية يضيق مساحة السكن ويحول البيت إلى معرض للمباهات لا مكاناً للراحة والسكينة.

الهدى النبوي: كان بيت النبوة يقوم على البلغة^(١) من المتاع، ما يُستخدم يُقتنى، وما لا يُستخدم فليس من شأن المسلم التكلف فيه.

✽ المبحث الثامن: جناية قائمة المنقولات، صكوك الحبس والنزاع:

تحولت القائمة من وسيلة لحفظ الحقوق إلى سيف مُصلت على رقبة الزوج، ودافع للتنافس في تسويد الورق بأصناف المتاع التي لا قيمة لها.

[إضاءة تاريخية وفقهية للمربي]: ومما أحدثه الناس في الأعصار المتأخرة وعسّروا به النكاح ما يُسمى بقائمة المنقولات الزوجية؛ وحقيقة الأمر في التاريخ والتوثيق أن كتابة هذه القائمة وتفصيل ممتلكات العروس بدقة لم يكن له أصل في السنة النبوية ولا في عمل الصحابة، بل يرجع أصله التاريخي في منطقتنا العربية إلى أعراف وثائق اليهود القديمة في مصر (المعروفة بوثائق الجنيزا)، حيث كانوا يوثقون أموال بناتهم ومتاعهن بدقة لحفظ حقوقهن المادية عند النزاع أو عند التزوج من غير ملتهم - الزواج من مسلم-.

ثم تلقف الناس هذا العرف وتوسعوا فيه في أزمنة ضعف الذمم؛ والمقصود التربوي هنا: أن الأب المربي لا ينبغي أن يجعل من هذه الوثائق العرفية المادية حجر عثرة يعوق عفاف ابنته أو وسيلة لتعجيز الشاب الكفاء والنفور منه بالمغالاة والاشتراطات التي تحقق بركة البيوت. فالضمان الحقيقي للبنات هو دين الرجل وخلقه لا قائمة خشب ومتاع؛ فمن رضيينا دينه أودعناه مهج قلوبنا مستأمنين له بالله، ومن غاب دينه لم تغن عنه كل وثائق الأرض وقوائمها.

(١) البلغة من المتاع: ما يكفي لسد الحاجة ولا يزيد عن ذلك.

تحويل الزواج إلى تجارة: المبالغة في كتابة تفاصيل تافهة في القائمة يحول العقد الغليظ وهو الميثاق إلى عقد بيع وشراء، مما ينزع المودة من القلوب قبل الدخول. **زرع سوء الظن:** البدء بالتشدد في كتابة القائمة هو إعلان مبكر عن عدم الثقة، والبيوت التي تُبنى على التوجس لا تستقر.

العزة في التقوى: إن الذي لا يحفظ ابنتك بتقواه، لن تحبسيه بقائمة تُصرف في المحاكم، فاستوثقوا من دين الخاطب لا من ديون القائمة.

❖ المبحث التاسع: صرخة ضد السيشن^(١) والمجاهرة بالخلو المصورة؛

بدعة جلسات التصوير - السيشن - التي تتم قبل العرس أو فيه، وما فيها من تبرج ومجاهرة واختلاط مع المصورين.

هتك الستر: إنفاق الأموال لتصوير أدق تفاصيل الزينة ونشرها في الفضاء الرقمي هو هدم لمفهوم الحياء الذي هو شعبة من شعب الإيمان.

المباهاة الكاذبة: الانشغال بالتصوير يسرق فرحة اللحظة الحقيقية ويحول العرس إلى مشهد تمثيلي يفتقر للإخلاص والبركة.

❖ المبحث العاشر: محاربة الفشخرة الكاذبة على حساب الضرورات؛

الاستدانة بالربا القروض أو بالتقسيط المرهق لتجهيز البنت بما يفوق قدرة الأب المالية، مجرد ألا يقال فلان قصر في جهاز ابنته.

إذلال النفس: قال ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه»^(٢). والاستدانة للمظاهر هي قمة الإذلال.

(١) السيشن: جلسة تصوير.

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه، «باب» (٤ / ٣٠٨).

الباب السابع: ميثاق التيسير، وكسر أغلال العادات، وجاهلية الجهاز والأفراح

البركة في الكفاف: الله لا يبارك في زواج بُني على سحت أو ربا أو إرهاب لوالدٍ ضحى بصحته وعمره.

❖ **المبحث الحادي عشر: رسالة إلى أهل العريس، وكفى طمعاً وجوراً:**
أهل الزوج الذين يشترطون أن تحضر العروس معها الفرش الفلاني أو الجهاز العلاني.

خوارم الرجولة: إن الرجل الذي ينتظر من مخطوبته أن تجهز له بيته هو رجل ناقص القوامة، قد رضي أن تقتات رجولته من عرق أبيها المكدود.

حُذوها بعلمها ودينها لا بجهازها: نادوا في الناس أن عزة ابنتكم في علمها، وأدبها، وحفظها للقرآن، فمن أراد هذا الكنز فليتحمل هو تكاليف السكن.

❖ **المبحث الثاني عشر: المبادرة التيسيرية، نحو وثيقة تيسير في كل قرية:**
الدعوة إلى اتخاذ مواقف جماعية لكسر هذه العادات.

القدوة الصالحة: يجب على الوجهاء والعلماء أن يكونوا أول من يطبق التيسير في زواج بناتهم.

اتفاقات الستر: الدعوة لكتابة وثائق تيسير في القرى والمساجد تمنع المغالاة وتحدد سقفاً معقولة للمهور والجهاز، وتحارب إقامة الأفراح في القصور المكلفة.

❖ **المبحث الثالث عشر: كلام الناس وعقد النقص الاجتماعي:**
يتناول هذا المبحث الداء النفسي الذي يدفع الآباء للمغالاة، وهو الخوف من النقد الاجتماعي.

العبودية للمظاهر: كيف تحول كلام الناس إلى إله يُعبد من دون الله، يُقدم رضاه على رضا الله وعلى مصلحة البنات.

الاستعلاء بالإيمان: تربية الأب على أن عزة عائلته في طاعة الله، وأن من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس.

محاربة المقارنات: الوقوف في وجه مقارنة البنت بغيرها من القريبات، كبنت خالتها جابت كذا، وتأصيل أن لكل بيت رزقه وقدره.

❖ **المبحث الرابع عشر: فقه الأولويات في بناء الأسرة الناشئة:**

تعليم المجتمع أن المال المنفق في الشكليات هو حق ضائع من حقوق الضروريات.

تبديد الأصول: استنزاف مدخرات العمر في ليلة واحدة قليلة العرس بدلاً من أن تكون سنداً للزوجين في شراء مسكن أو بدء مشروع.

إرهاق البدايات: كيف يدخل الزوجان حياتهما محملين بالديون والهجوم بسبب قصر الأفراح، مما يسبب الطلاق المبكر نتيجة الضغوط المالية.

❖ **المبحث الخامس عشر: التوليمة بين الهدى النبوي وسرف الجاهلية:**

تفكيك بدعة الموائد التي يُرمى أغلبها في النفايات.

طعام الأغنياء: محاربة ظاهرة استبعاد الفقراء ودعوة الوجهاء فقط للمباهاة.

الإطعام الميسر: العودة لحديث «أولم ولو بشاة»^(١)، وأن الهدف هو إشهار

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب الصفرة للمتزوج» (٢١ / ٧).

الباب السابع: ميثاق التيسير، وكسر أغلال العادات، وجاهلية الجهاز والأفراح

النكاح وإطعام الطعام بنية الشكر، لا بنية العلو في الأرض.

❖ المبحث السادس عشر: جنائية التصوير الفوتوغرافي والفيديو والاختلاط؛

محاربة ظاهرة المبالغة في توثيق العرس وتواجد الرجال الأجانب المصورين بين النساء.

حرمة البيوت: التحذير من تسرب صور البنات في ليلة زفافهن إلى الهواتف ومواقع التواصل.

تكلفة الوهم: إنفاق آلاف الجنيهات على ألبوم صور لا يُفتح إلا نادراً، بينما يعيش الأب في ضنك.

❖ المبحث السابع عشر: دور المسجد والعائلة الكبيرة في حماية الآباء؛

وضع حلول جماعية لحماية الأب المنفرد بقراره.

المقاطعة الإيجابية: دعوة العقلاء لعدم حضور الأفراح التي تقام في قصور مكلفة أو بها منكرات، لتشجيع التيسير.

البيان المشترك: حث العائلات الكبيرة على كتابة ميثاق عائلي يلزم الجميع بحدود معينة في الجهاز والأفراح لرفع الحرج عن الفقير والمتوسط.

❖ المبحث الثامن عشر: رسالة إلى الخاطب الرجل الذي نريد؛

تحديد معايير اختيار الرجل الذي يقبل بهذا المنهج.

البحث عن الرجل: الذي يشتري البنت لدينها ولا يسأل عن جهازها.

رفض الطامعين: التحذير من أشباه الرجال الذين يجعلون عيونهم على ما سيحضره الأب من أجهزة ومفروشات.

❖ المبحث التاسع عشر: فوضى تعدد الحفلات، استنزاف الأعمار والأموال:

لقد أصبح الزواج سلسلة من المهرجانات المنهكة في بعض المجتمعات، بدءاً من قراءة الفاتحة بتكاليدها، ثم الشبكة، ثم يوم الحنة، ثم ليلة الزفاف.

إضاعة البركة: كلما كثرت هذه الحفلات، زاد الرياء، وقلّ الإخلاص، ونُزعت البركة.

إرهاق الأبدان: العروسان يرقصان ويحتفلان حتى الفجر، ثم يغطان في نوم عميق لضيق صلاة الفجر والظهر والعصر، فأى بداية حياة جديدة هذه التي تُبنى على الإنهاك وتضييع الفرائض؟

❖ المبحث العشرون: رقص أشباه الرجال واختلاط المفاهيم:

ما نراه اليوم من رقص العريس مع عروسه أمام الناس، أو رقص زملاء العريس مع العروس، هو انحدار في المروءة وهدم للحياء.

ديانة اجتماعية: كيف يرضى رجل ذو غيرة أن تتمايل زوجته أمام زملائه أو أصدقائه؟ وكيف يرضى الأصدقاء أن يرقصوا مع امرأة غريبة عنهم؟

سقوط الهيبة: رقص العريس يذهب بهيئته أمام زوجته وأهلها؛ فالرجل خُلِق للرزانة والوقار، لا للتمايل والرقص تحت الأضواء.

الباب السابع: ميثاق التيسير، وكسر أغلال العادات، وجاهلية الجهاز والأفراح

❖ المبحث الحادي والعشرون: رقص النساء ومفاتن الكاميرات الخفية:

رقص النساء في مجتمعاتهن وإن كان في الأصل جائزاً بشروطه، إلا أنه في عصرنا صار محفوفاً بالمخاطر.

خطر الهواتف: في كل عرس توجد مئات الهواتف، ورقص النساء وتمايلهن يُعرضهن لتسريب الصور والفيديوهات، مما يسبب فضائح وهدم لبيوت قائمة. **الزينة المحرمة:** رقص النساء أمام بعضهن بملابس تظهر العورات، مما يسمى بفساتين السهرة العارية هو منكر يجب التحذير منه.

❖ المبحث الثاني والعشرون: قصور الأفراح وقصور العقول جنائية المال الضائع:

أسعار الصالات صارت خيالية، وهي أموال تُدفع مقابل وهم ومنظرة لساعات معدودة.

فلسفة التبذير: إن إنفاق مبالغ طائلة في قاعة، بينما صاحب المال قد يكون عليه حقوق للناس أو شركاء، هو سفه شرعي.

حقوق العباد أولى: إن الذي يستأجر قصوراً بمبالغ خيالية ويماطل في رد ديون الناس وحقوق شركائه، هو آثم ومجاهر بالمعصية، وماله الذي أنفقه في الفرح لا بركة فيه، وهو خصيم لصاحب الحق يوم القيامة.

❖ المبحث الثالث والعشرون: الزواج عبادة لا استعراض:

محاربة تحويل ليلة العرس إلى فيلم سينمائي يخرج العروسان والمصورون.

الاستعراض المقيت: الانشغال بالتمثيل أمام الكاميرات يذهب بخشوع القلوب

وفرحة الأرواح الحقيقية.

العودة للهدوء: الفرح الحقيقي هو طمأنينة النفس بالستر، لا ضجيج الذي جي ولا صخب الرقص.

❁ **المبحث الرابع والعشرون: أقنعة الخطبة وفجور الخصومة، ومأساة النسب الضائع:**

إن من أقسى ما تبلى به البيوت اليوم هو حالة التمثيل الاجتماعي التي تسبق العقد، حيث يرتدي الجميع أقنعة المثالية والكرم واللين، فإذا ما تم الزواج واستقر الطرفان في معترك الحياة، سقطت الأقنعة وظهرت النفوس على حقيقتها، فتتحول المودة إلى حرب، والنسب إلى عدا.

أولاً: فتنة الأقنعة، والمثالية الزائفة: تجد أهل الخاطب وأهل البنت في البدايات في أفضل حال؛ كلمات منتقاة، ووعود بالتيشير، وتظاهر بالتيدين. ولكن، بمجرد الموافقة أو البدء في ترتيبات الجهاز والماديات، تبدأ المشاكل على أتفه الأمور الدنياوية، مما يدل على أن البناء لم يكن على التقوى منذ البداية، بل على المصلحة والمنظرة.

ثانياً: إذا خاصم فجر، ودمار ما بعد الطلاق: المأساة الكبرى تظهر حين يحصل الشقاق؛ فتتحول تلك العلاقة التي كانت ميثاقاً غليظاً إلى حرب كبرى. فيُهتك السر، وتُنشر الخصوصيات التي كانت في غرف مغلقة، ويُسعى في تشويه السمعة في القرى والمجالس وعند الأقارب، وكأن القوم لم يكن بينهم نسب ولا صهر ولا أكل ولا شرب.

ثالثاً: جناية البيوت المفتوحة، ونشر الأسرار: لقد حذر النبي ﷺ من إفشاء أسرار البيوت، واعتبر الرجل الذي يفضي إلى زوجته وتفضي إليه ثم ينشر سرها من «أشر الناس منزلة يوم القيامة». وإن من يشوه سمعة صهره أو ابنة صهره بعد الخلاف هو إنسان نزع الله من قلبه المروءة، وسقطت عدالته بين الناس.

رابعاً: النسب صهر لا ينقطع أثره: يجب تعليم الأجيال أن المصاهرة هي قسيمة النسب في القرآن: ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]. فإذا قُدر للفراق أن يقع، فليقع بإحسان لا بانتقام، ولتبقى الأسرار مدفونة، ولتحفظ الأعراض والسمعة؛ فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

✽ المبحث الخامس والعشرون: نارُ الوشاة، وجناية الأقارب في هدم صروح البيوت:

إن من أعظم الآفات التي تفتك باستقرار البيوت الناشئة هي التدخلات الخارجية من الدوائر القريبة مثل: الأخوات، الخالات، والعلمات، الذين ينصبون أنفسهم أوصياء على الزوجين، فينفخون في رماد الخلافات حتى تصير ناراً تأكل الأخضر واليابس.

أولاً: النصيحة المسمومة وبدعة المقارنات: تأتي المشكلة غالباً حين تتدخل أخت الزوج أو خالة البنت بعبارات ظاهرها نصيحة وباطنها تخريب، مثل: لماذا لم يحضر لك كذا؟

وبنت فلان زوجها فعل لها كذا وكذا. وهذه المقارنات تزرع القلق في قلب البنت، وتوغر صدر الزوج، وتحول الرضا بالكفاف إلى سخطٍ ومطالبات لا تنتهي.

ثانياً: التخييب، كبيرة مغلظة في ثوب قرابة: إن من يفسد امرأة على زوجها أو زوجاً على زوجته يقع في إثم التخييب، وقد قال ﷺ: «ليس منا من خيب امرأة على زوجها»^(١). فكيف إذا كان هذا المخرب هو القريب الذي يُفترض فيه أن يكون جسر مودة؟

إن تدخل الأقارب في تفاصيل الجهاز والمصروف والخلافات الصغيرة هو تجاوز للحدود الشرعية واعتداء على خصوصية الميثاق الغليظ.

ثالثاً: سد الذرائع، ومسؤولية الأب والأم:

يجب على الأب المربي أن يكون صمام أمان؛ فلا يسمح لأخواته أو قريباته بالتدخل في شؤون بناته المخطوبات أو المتزوجات. إن سيادة البيت يجب أن تكون للزوجين فقط، وعلى الأهل أن يكونوا مصلحين صامتين لا محققين ومحرضين.

رابعاً: إفساد النيات قبل العقد وبعده: في البداية يظهر الود، ثم يبدأون في تأليب الأطراف على بعضها لأسباب دنيوية تافهة، وهذا من خوارم المروءة، ومن قطع الأرحام التي أمر الله بها أن توصل؛ فمن أفسد بين صهرين فقد قطع رحماً وبغى كذباً.

❖ المبحث السادس والعشرون: غلو الاستعلاء، وأم الزوج وظلم التملك؛

إن من الآفات المتوارثة في بعض البيوت أن تنظر أم الزوج لزوجة ابنها لا كأبنة أو شريكة حياة لولدها، بل كشيء مملوك أو خادمة أتي بها لتمثل الأوامر

(١) أخرجه أبو داود في سننه، «باب: في الرجل يدخل بامرأته قبل أن ينقدها شيئاً» (٢/ ٢٠٦ ط مع عون المعبود).

والنواهي دون مراجعة.

جناية التسلط: إن استبداد أم الزوج وتدخلها في أدق تفاصيل حياة الكنة^(١)، وإمطارها بالأوامر والتفريع، هو لون من ألوان الظلم الذي نهى الله عنه. فالزوجة إنسانة حرة لها كرامتها وخصوصيتها، وليست أمة اشتراها الابن بماله.

إفساد البيوت: إن ضغط الأم على ابنها ليعامل زوجته بجفاء أو محاولة كسر شخصيتها، هو تخريب للميثاق الغليظ، وكثيراً ما يكون سبباً في الشتات والطلاق، والظلم ظلّمات يوم القيامة.

❖ **المبحث السابع والعشرون: جفاف الحقوق، الزوجة بين اللزوم الشرعي وسمو المرأة؛**

في مقابل تسلط بعض الأمهات، ظهرت نزعة الجفاف الجاف عند بعض الزوجات، اللواتي يرفعن شعار أنا مش ملزمة إلا بزوجي، ويفضن مد يد العون لأم الزوج ولو بكلمة طيبة أو مساعدة يسيرة.

بين الحق والفضل: نعم، شرعاً الزوجة ليست مجبرة على خدمة أم زوجها، ولكنّ البيوت لا تُبنى بالمسطرة والقانون وحدهما، بل تُبنى بالفضل والإحسان. إن المرأة ذات المروءة ترى في أم زوجها أمّاً ثانية لها، فتبرها بطيب خاطر، وتعينها في كبرها، التماساً لمرضاة الله وإكراماً لزوجها.

البر سلف ودين: على الزوجة أن تدرك أن البر دين، فكما تعامل أم زوجها

(١) الكنة: هي امرأة الابن أو امرأة الأخ، وسميت بذلك لأنها تكن تستر زوجها أو لأنها مستورة بكنف أسرة زوجها.

اليوم، ستجد غداً من زوجات أبنائها من يعاملها بالمثل. إن مساعدة الحماة ليست استعباداً، بل هي زكاة المروءة وطهارة النفس، وهي من أعظم أسباب استقرار الود بين الزوجين.

✽ المبحث الثامن والعشرون: حق الأب الميسر على صهره، الوفاء لا الجحود:

عندما ييسر الأب الزواج، ويتنازل عن الأعراف الثقيلة إكراماً للخاطب وطلباً للستر، فإن هذا يضع ديناً أخلاقياً في عنق الزوج لا يسقط أبداً.

إكرام المنعم: إن الزوج الذي يجد حماه ميسراً، لا يطالبه بجهاز ولا يُرهقه بالديون، يجب عليه أن يحمل لهذا الأب جميلاً فوق الرأس. فلا يصح أبداً أن يقابل هذا الإحسان بالجحود، أو بأن يستقوي على ابنة هذا الرجل لأنه لم يدفع فيها الثمن الغالي بالمفهوم المادي.

القوامة الشاكرة: إن تيسير الأب هو اختبار لرجولة الزوج؛ فهل سيصون هذه الأمانة التي استلمها بيسر، أم سيستهين بها؟ إن الوفاء للأب الميسر يكون بمضاعفة الإحسان لابنته، وبأن يكون له ابناً باراً وسنداً في نوائب الدهر.

✽ المبحث التاسع والعشرون: هدايا الأعياد والمناسبات، بين العطاء الطوعي والإكراه الاجتماعي

محاربة بدعة إجبار الأب على إرسال موسم أو هدايا مكلفة في كل مناسبة ما يسمى بالموارد أو المواسم في بعض القرى.

إرهاق كاهل الأب: بعض الأسر تنظر للأب كأنه صراف آلي لا ينقطع

الباب السابع: ميثاق التيسير، وكسر أغلال العادات، وجاهلية الجهاز والأفراح

عطاؤه بعد الزواج، فيطالبونه في كل عيد بمبالغ وهدايا تكسر ظهره، وهذا من الجور.

الإهداء عن طيب نفس: إن أراد الأب أن يهدي لابنته فذلك فضل منه، أما أن يصبح فرضاً يُعاير به الأب أو تُهان بسببه البنت إذا قصر أبوها، فهذا منكر يجب محاربته.

✽ المبحث الثلاثون: الخصوصية الرقمية، وهدم البيوت عبر الشاشات:

التنبية على خطر نشر تفاصيل الحياة الزوجية أو الخلافات على منصات التواصل الاجتماعي مثل: فيسبوك وواتساب وغيرهم.

نشر الغسيل: إن لجوء الزوجة أو الزوج لنشر تلقيحات وكلام مبطن عند الخلاف ليراه الأقارب والأغيار هو قمة الفشل التربوي وهتك لستر البيوت.

البيوت أمانات: يجب أن يلتزم الطرفان بأن ما يحدث خلف الباب المغلق يظل خلفه، وأن الشاشات لا تحل المشاكل بل تزيدها اشتعالاً بتدخل الفضوليين والشامتين.

✽ المبحث الحادي والثلاثون: فقه الخلاف المسموع، لا تُسمعوا الجيران

عوراتكم:

الستر في الغضب: تربية البنات والأزواج على أن الخلاف يجب أن يبقى هامساً. فرفع الأصوات الذي يملأ الشوارع والبيوت المجاورة يذهب بهيبة الرجل وقار المرأة، ويجعل البيوت مشاعاً للفرجة، وهو ما ينافي القوامة والحياء.

❖ المبحث الثاني والثلاثون: إتاوات المواسم، بدعة الإطعام القسري واذلال الأولياء:

إن من أقبح العادات التي أصلت للجور والتبذير في مجتمعنا هي ما يُعرف بالمواسم؛ حيث يُلزم العرف الاجتماعي الأب بأن يرسل لابنته في كل مناسبة وهي قد تصل لـ ١٢ موسماً في السنة، تشمل الأعياد، وعاشوراء، والمولد، وشعبان، ورجب، وغيرها أحياناً من الأطعمة تشمل: اللحوم، والطيور، والأرز، والمكرونة، والسكر، والزيت.

أولاً: تفتيش الحماة وجناية الرياء: المأساة لا تقف عند حد العطاء، بل في المراقبة؛ حيث تترقب أم الزوج وصول هذا الموسم لتتطلع عليه وتتفحصه اللحم كم كيلو؟ والطيور كم عددها؟)، فإذا رآته كثيراً رضيت عن زوجة ابنها، وإذا رآته قليلاً أو على قدر حال الأب، أسمعت البنت ما يؤذيها، وعابرتها بفقر أهلها، وهذا والله من الفجور في العادات، وقلة المروءة في الأخلاق.

ثانياً: قلب موازين النفقة: لقد أوجب الله النفقة على الزوج لزوجته، ولم يوجبها على الأب لابنته بعد خروجها من بيته. فالزوج الذي ينتظر شنط الطعام وأحمال اللحوم من صهره ليأكل منها هو وأهله، هو رجل قد تخدشت قوامته، ورضي أن يشاركه صهره في كفاية بيته بغير حق.

ثالثاً: المواسم سياط على ظهر الأب: كثير من الآباء يضطر للاقتراض أو بيع ما لا يملك حتى لا تُهان ابنته في بيت زوجها، أو حتى لا يقال فلان لم يرسل مواسم لأبنته. وإن هذا الإنفاق الذي يخرج بغير طيب نفس وإنما بخوف من الناس هو

إنفاق لا بركة فيه، وصاحبه مأجور على صبره، والأمر به والمنتظر له آثم بجوره.

رابعاً: الهدى النبوي في صلة البنات: كان النبي ﷺ يزور فاطمة ويصلها بالدعاء والكلمة الطيبة والمتاع اليسير إن وُجد، ولم نسمع أبداً أنه كُلف أو كلف صهره علياً ﷺ بأحمال من الطعام في مناسبات مخترة. إن صلة الأب لابنته يجب أن تكون حباً وتطوعاً لا واجباً وعرفاً مظلماً.

أطعموا بناتكم الحلال والمودة، ولا تطعموا أصهارهن من لحم الآباء المكدودين. إن هذه العادة جعلت البنت عبئاً على أبيها حتى بعد زواجها، وهو ما يدفع بعض الناس لكرهية إنجاب البنات، وهذا من أخلاق الجاهلية التي جاء الإسلام ليمحوها.

بناي وأخواتي: إنني لم أحرمكن من المظاهر الزائفة شحاً مني، ولا تقصيراً في حقكن، بل أردت لكنّ زواجاً يُبنى على البركة لا على الديون، وعلى الستر لا على الاستعراض. لقد اخترت لكنّ الرجال ولم اختر لكنّ الأثاث. فكونوا خير سفيرات لهذا النهج، وأثبتوا للعالم أن سعادة المرأة في تقوى زوجها وفي رضا ربها، لا في قاعة أفراح تضيع فيها الصلوات، ولا في جهاز بيت يكسر ظهر الآباء.

إننا نعد بناتنا اليوم وهن أحياء!

ننذهن بجدران المادة، وأغلال المظاهر. وإن البنت التي تظل في بيت أبيها لأن الأب لا يملك ثمن النيش أو القاعة هي وصمة عار في جبين مجتمع يدعي الاتباع للنبي ﷺ. فلتنقي الله في بناتنا وبنات المسلمين، ولتنقي الله في شباب الأمة،

واعلموا أن من يسر يسر الله عليه، ومن عسر عسر الله عليه في الدنيا والآخرة.

❖ المبحث الثالث والثلاثون: وثيقة التيسير لزواج القوارير:

١- **جهاز البيت:** هو واجب الزوج شرعاً وقانوناً ومروءة، ولا نلزم أنفسنا ولا الخاطب بما لم يوجبه الله، والبيت يُبنى على قدر سعة الزوج.

٢- **إلغاء النيش:** وما يتبعه من تبذير في أطقم الصيني والزجاج، والاكتفاء بما يُستخدم فعلياً.

٣- **المهر:** يُسلم للبننت كاملاً لتجهيز نفسها من ثياب وزينة خاصة، ولا يُنفق منه قرش واحد على خشب أو حديد للبيت أو فرش للبيت أو مطبخ.

٤- **مكان العقد:** المسجد هو مكان البركة وإشهار النكاح، والبيت هو مكان الفرح والسرور.

٥- **قصر الأفراح:** نعلن مقاطعة استئجار القاعات المكلفة، ونستبدلها بلقاءات عائلية ميسرة تحفظ الأموال وتحمي الأعراس.

٦- **الدي جي والصخب:** محرم في عهدنا؛ فلا نُؤذي الجيران، ولا نروع المرضى، ولا نضيع صلاة الفجر.

٧- **السيشن والكوفيرات:** نعتمد جمال الفطرة والحياء، ونرفض هدر الأموال في صالونات التجميل والمصورين الأجانب.

٩- **الوليمة:** تكون على قدر الاستطاعة، ويُدعى إليها الفقير قبل الغني، وتخلو من الإسراف والتبذير.

الباب السابع: ميثاق التيسير، وكسر أغلال العادات، وجاهلية الجهاز والأفراح

- ١٠- **قائمة المنقولات:** لا نكتب إلا ما اشتراه الزوج بماله حفظاً لحقه، ولا نكتب ديوناً وهمية على أوراق صماء، فثقتنا في دين الرجل لا في ورقة المحكمة.
- ١١- **إلغاء تعدد الحفلات:** نكتفي بقاء عائلي واحد لإعلان النكاح، ونلغي حفلات الشبكة والحنة وما يتبعهما من إسراف.
- ١٢- **صيانة الحياء:** يُمنع منعاً باتاً رقص العريس مع العروس أمام الناس، كما يُمنع رقص الأصدقاء والزملاء مع العروسين، فالمرءة والغيرة خط أحمر لا يقبل المساومة.
- ١٣- **حقوق العباد قبل الأفراح:** لا يجوز شرعاً لمن عليه دين أو حقوق للناس أن ينفق أمواله في المباحاة بالأفراح وقصور الزفاف؛ فأداء الحقوق أوجب من إقامة السنن والمباحات.
- ١٤- **ميثاق الشرف والأسرار:** نعاهد الله أن تظل بيوتنا وسيرنا أمانة لا تُنشر، وأن نحترم قدسية النسب في الرضا والغضب. ونعلن أن من يفجر في الخصومة أو يسعى في تشويه سمعة الطرف الآخر عند الخلاف، فقد خان العهد وسقطت مروءته، ولن يكون له منا إلا الحق والعدل، مع كف الأذى صيانةً للدين والعرض.
- ١٥- **استقلال القرار وحرمة الخصوصية:** نلتزم ونلزم أقاربنا بأن البيوت لها أسرارها، وأن التدخل في تفاصيل حياة الزوجين أو شروط الجهاز من قبل الأطراف الخارجية مهما كانت قرابتهم، فهو تدخل غير مقبول. ونعاهد الله أن نكون أبواباً مغلقة أمام الواشين والمخربين، وأن تكون مرجعيتنا في الخلاف هي الإصلاح

المباشر بعيداً عن ضجيج المقارنات وكلام الناس.

١٦- **ميثاق الفضل والكرامة:** نعاهد الله أن تقوم علاقة البيوت على الكرامة المتبادلة؛ فلا تظلم الحماة زوجة ابنها ولا تعتبرها خادمة، بل ابنةً مكربة. وفي المقابل، تلتزم الزوجة بالمروءة وحسن الخلق مع أم زوجها، فتعينها وتبرها إكراماً لزوجها وطلباً للبر، فالحقوق تؤدي بالشرع، والصلات تُحفظ بالفضل والإحسان.

١٧- **ميثاق الوفاء للولي الميسر:** نعاهد الله أن تيسر الأب في المهر والجهاز هو تاج كرامة يضعه الزوج على رأسه، ويلتزم بمقابلة هذا الإحسان بالوفاء المطلق لصهره، وبالإعظام لقدر زوجته. ونبراً إلى الله من كل زوج يستغل تيسير ولي أمره ليمتهن كرامة زوجته أو يقلل من شأنها، فالمعدن الأصيل يظهر عند التيسير لا عند التعسير.

١٨- **إبطال بدعة المواسم القسرية:** نعلن براءة ذمة الأب من أي موسم أو هدايا طعام مفروضة عرفاً. صلة الأب لابنته تكون بالزيارة والمودة، وما جاد به من غير شرط ولا إلزام. ونرفض تماماً خضوع هذه العطايا لرقابة أهل الزوج أو تفتيشهم، ونعتبر معايرة الزوجة بما يحضره أهلها سقطة أخلاقية تمنع المودة وتفسد العشرة.





الباب الثامن

حصن المستقبل، حراسة الفطرة وصناعة
القدوة القائده



الباب الثامن

حصن المستقبل، حراسة الفطرة وصناعة القدوة القائد

المواجهة الرقمية، والاستقلال الفكري، وميثاق الأمانة الخالد، نقف اليوم على أعتاب ختام هذا البناء التربوي، في بابٍ هو أشبه بسور الحماية الأخير بعد أن بُنيت المعاني، ورُسخت الحقوق، وتشكّلت ملامح التربية الواعية.

إننا نتنقل هنا من مرحلة الحماية الداخلية إلى حماية الفطرة في مواجهة العالم، في زمنٍ لم تعد فيه التحديات داخل البيت فقط، بل أصبحت تأتي من: شاشةٍ لا تنام، ومحتوى لا يُفلتر، وأفكار تُصدّر بلا استئذان، وصور تُعيد تشكيل الوعي دون إذن الأب أو الأم.

وهنا تتجلى الحاجة إلى الأب الحارس لا بمعنى الرقابة، بل بمعنى البناء الواعي الذي يصنع ذاتاً لا تُستباح بسهولة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]

وهذه الآية ليست حماية من نار الآخرة فقط، بل هي أيضاً حماية من نيران الفتنة في الدنيا، وعلى رأسها فتنة الفكر والشهوة والهوى، وفي هذا الباب نؤسس لمعنى جديد: ليس الهدف أن نمنع البنت من العالم... بل أن نجعلها تدخل العالم وهي محمية بالفهم لا بالمنع فقط.

❖ المبحث الأول: حماية الفطرة في زمن الذوبان الرقمي:

إن أخطر ما يواجه الفتاة اليوم ليس الخطأ المباشر، بل تشكل الهوية عبر الشاشة، حتى تصبح الذات مرهونة بنظرة الآخرين. قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء»^(١).

لكن هذه الفطرة اليوم تُستهدف بصور متعددة: مقارنة مستمرة، وبحث عن القبول، وضغط التزند، وتسليع الجسد والمعنى

أولاً: من القيمة إلى الإعجاب: البنت قد تُغريها فكرة أن قيمتها في عدد المتابعين، بينما الحقيقة أن القيمة في ثبات الهوية لا تقلب المزاج الرقمي. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]. فمن ضيّع مرجعيته ضاعت نفسه ولو كثرت حوله الأضواء.

ثانياً: صناعة الوازع الداخلي: لن يستطيع الأب أن يرافق ابنته في كل لحظة، لكن يمكنه أن يصنع رقابة داخلية حية. قال النبي ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(٢). وهذا هو جوهر التربية: أن تتحول الرقابة من عين الأب إلى مراقبة الله.

ثالثاً: الهاتف أداة بناء لا بوابة سقوط: الهاتف ليس خطراً بذاته، بل هو مرآة الداخل.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب ما قيل في أولاد المشركين» (٢/ ١٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب ما جاء في معاشره الناس» (٤/ ٣٥٥).

فإن صلح الداخل صار الهاتف: علمًا، ووعيًا، وبناءً.

وإن فسد الداخل صار: تشتتًا، وانكشافًا، وذوبانًا في الآخرين.

✽ المبحث الثاني: اعتزاز الأنثى بفطرتها، والرد على دعوات التشويه والتمرد:

في هذا العصر تُخاطَب الفتاة أحيانًا لتشعر أن فطرتها نقص، وأن التزامها قيد. ولكن الإسلام جاء ليعيد تعريف الكرامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

أولاً: ليس صراعًا بين الرجل والمرأة، بل هو تكامل: الرجل مسؤولية، والمرأة عملها رعاية وبناء. قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١).
ثانيًا: الحجاب ليس نقصًا بل صيانة، والحجاب في حقيقته: إعلان كرامة لا إخفاء شخصية، وحماية لا عزلة. قال تعالى: ﴿يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

ثالثًا: الأب هو المرجع لا الضجيج الخارجي، حين تكون صورة الأب في عقل ابنته: رحمة، وعدل، واحترام، سيسقط تلقائيًا أي خطاب يحاول تشويه الدين أو الهوية.

✽ المبحث الثالث: بناء الشخصية القيادية، والبنات صانعة القرار لا تابعته:

الفتاة في الإسلام ليست مفعولًا به، بل شخصية فاعلة.

(١) سبق تخريجه.

أولاً: الشورى أصل في البناء: حتى في بيت النبوة، كانت المرأة صاحبة رأي مؤثر. وفي صلح الحديبية، كانت مشورة أم سلمة رضي الله عنها سبباً في حل أزمة كبرى. ثانياً: الأمومة قيادة: الأم ليست وظيفة هامشية، بل هي: صانعة وعي، وتشكيل لسلوك أجيال، وبناء مستقبل أمة. قال النبي ﷺ: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»^(١).

ثالثاً: القيادة ليست صوتاً مرتفعاً، بل: حكمة، وتوازن، وقدرة على اتخاذ القرار.

✽ المبحث الرابع: ميثاق الأمانة، والبنث في بيت الزوجية:

الزواج ليس نهاية علاقة الأب بابنته، بل انتقال دور لا انقطاعه.

أولاً: الولاية باقية، والأب يظل: سنداً، ومرجعاً، وملاذاً.

ثانياً: لا تدخل يفسد البيوت. قال النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً»^(٢). ولكن الاستيلاء لا يعني: التدخل المفسد أو التحريض أو كسر البيوت، بل الإصلاح الهادئ.

ثالثاً: العدل عند الخلاف، فإن حصل خلاف: يُسمع للطرفان، ويُحفظ البيت، وتُصان الكرامة.

قال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥].

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

❖ المبحث الخامس: الصدقة الجارية، والبنت ميراث الأب إلى الآخرة:

هنا نصل إلى ذروة المعنى: أن الأب لا ينتهي دوره بالموت. قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١).

أولاً: البنت الصالحة دعاء ممتد لأبويها: فكل: سجدة، ودعوة، وصلاح، هو نور يعود للأب في قبره.

ثانياً: الأب يكون رفيق النبي في الجنة: قال النبي ﷺ: «من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى^(٢).

ثالثاً: أعظم لقاء، هو لقاء: الأب والبنت في جنات النعيم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ [الطور: ٢١].



(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته» (٥/ ٧٣).

(٢) سبق تخريجه.



الباب التاسع

صياغة الروح القيادية، والمنهج النبوي في
بناء عقل البنات وإعدادها للميثاق الخليظ



الباب التاسع

صياغة الروح القيادية، والمنهج النبوي في بناء عقل البنات وإعدادها للميثاق الغليظ

هذا الباب يركز على المهارات الذهنية التي تصحبها من بيت أبيها إلى بيت زوجها، وإعداد القوارير لعظمة الأمانة وثقل الميثاق.

إلى ابنتي الخريجة.. يا من طويت صفحات الدراسة الجامعية لتبدئي كتابة فصول الحياة الحقيقية، يا من تخرجت من أروقة العلم لتدخل محراب بناء الأجيال. إن التربية النبوية للبنات لم تكن يوماً قائمة على التهميش أو الحبس المعرفي، بل كانت صناعةً هندسية لروح قيادية، وعقلٍ راجح، وشخصية قوية تُعدُّ لليوم الذي تحمل فيه لقب الزوجة والأم.

إن هذا الباب ليس مجرد سردٍ لفضائل، بل هو حقبة تدريبية سماوية، صاغها المعلم الأول ﷺ لتصحبها البنت من بيت أبيها - حيث الدلال والستر - إلى بيت زوجها، حيث المسؤولية والبناء وتحمل حياة جديدة بكل ما فيها.

يا ابنتي، إننا نعيش في زمنٍ اختلطت فيه المفاهيم، وصار الاستقلال يُفهم على أنه تمرد، والأنوثة تُفهم على أنها ضعف. لكننا في مدرسة النبوة، نتعلم أن

الروح القيادية للبنات هي أن تملك بوصلة اليقين في عقلها قبل أن تملك مفاتيح بيتها. إن إعدادك للميثاق الغليظ يبدأ من هندسة وعيك؛ لتعرفي أنك لست مجرد رقم في معادلة زوجية، بل أنت الركن الشديد الذي يأوي إليه الزوج، والمدرسة الأولى التي يتشكل فيها وجدان الأمة.

لقد أراد النبي ﷺ لابنته أن تكون عالمةً بمقاصد الشريعة، ذكيةً في استنباط الحلول، مترفعةً عن سفساف الأمور. وإن العقل الذي تخرج من جامعة الحياة النبوية هو عقلٌ لا تخدعه المظاهر الزائفة، ولا تكسره الأزمات المادية، ولا تذوبه صيحات المؤوضة الفكرية الدخيلة. وإنما نعدك لتكويني مثل: ذات النطاقين في حزمك، وعائشة في علمك، وفاطمة في حيائك، وخديجة في احتضانك لزوجك عند الشدائد رضي الله عنهن جميعاً.

هنا في هذا الباب، نضع بين يديك المهارات الذهنية والقلبية التي تجعلك تدخلين بيت الزوجية بشخصيةٍ مهيبة لا مستلبة، وبروحٍ معطاءة لا متسولة عاطفياً. وإنما نصوغ فيك عقلية المصلحة التي تدرك أن نجاح البيت هو أعظم مشروع قيادي يمكن لامرأة أن تديره في الوجود. فتأملني يا رعاك الله هذا المنهج، واعلمي أن مسك الختام في تربيتك هو أن نراك ملكةً في بيتك، قائدةً في فكرك، مخلصاً لربك.

✽ المبحث الأول: فقه الثبات والاعتزاز بالهوية :

إن أول ما يُستهدف في البنات اليوم هو هويتها، لتكون نسخة مشوهة تابعة لثقافات لا ترعى فيها إلا ولا ذمة. والمنهج النبوي جاء ليُجعل من البنات

كياناً مستقلاً يعتز بربه ودينه، لا يذوب في الآخرين ولا يستوحش من الحق لقلّة السالكين.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. هذه العزة ليست حكراً على الرجال، بل هي تاج فوق رأس كل بنت آمنت بالله رباً. وانظر إلى ثبات أسماء بنت عميس رضي الله عنها، حين قدمت من الحبشة، قال أبو موسى: «ودخلت أسماء بنت عميس، وهي ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه، البحريةية هذه، قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وإيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه.

فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال: كذا وكذا؟ قال: فما قلت له؟ قالت: قلت له: كذا وكذا، قال: ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان^(١). فلم تنكسر ولم تشعر بالنقص، بل ذهبت تطلب حقها المعنوي من القمة النبوية حتى أنصفها ﷺ.

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري في صحيحه، «باب غزوة خيبر» (٥ / ١٣٠).

❖ المبحث الثاني: البنت وعلوم الاستنباط وتدريب العقل:

لم يرد النبي ﷺ لبناته ولا لبنات المسلمين أن يكنَّ أوعية حفظ فقط، بل أراد لهن نور البصيرة وقوة الاستدلال. فالاستنباط هو الذي يجعل البنت تدرك مقاصد الأوامر وتفرق بين الحق والباطل بذكاء وقاد.

كان ﷺ يلقي المسائل على أصحابه ومن بينهم النساء ليختبر ذكاءهم. وانظر إلى السيدة عائشة رضي الله عنها، فقد كانت مدرسة الاستنباط الأولى. فعن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: «من حوسب عذب. قالت عائشة: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قالت فقال: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك»^(١).

وهذه خولة بنت ثعلبة، نزل فيها قرآن يتلى بسبب مجادلتها لرسول الله ﷺ في شأن زوجها، لم تكن مجادلة جهل، بل كانت استنباطاً لرحمة الله في قضيتها، فسمع الله قولها من فوق سبع سماوات.

فعن خويلة بنت مالك بن ثعلبة قالت: «ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه، ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: اتقي الله فإنه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى الفرض فقال: يعتق رقبة قالت: لا يجد قال: فيصوم شهرين متتابعين قالت: يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام قال: فليطعم ستين مسكيناً قالت: ما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه» (١ / ٣٢).

عنده من شيء يتصدق به قالت: فأتي ساعئذ بعرق^(١) من تمر قلت: يا رسول الله فإني أعينه بعرق آخر قال: قد أحسنت، اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكينا، وارجعي إلى ابن عمك^(٢). قال أبو داود: في هذا إنما كفرت عنه من غير أن تستأمره.

✽ المبحث الثالث: رجاحة العقل قبل زينة الجسد:

إن الحياة ليست دائما أبيض وأسود، بل هي مواقف تتطلب تقديراً دقيقاً للمصالح والمفاسد. والتربية النبوية صاغت عقل البنت لتكون حكيمة تختار أهون الأمرين لتحصيل أعظم المصلحتين.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. والحكمة في البنت هي وضع الأمر في موضعه الصحيح بذكاء وفطنة.

تأمل موقف أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها في الهجرة؛ حين لم تجد ما تربط به زاد النبي ﷺ وأبيها، شقت نطاقها -حزامها- نصفين لتفي بالغرض. لقد وازنت بذكاء بين الحفاظ على ثيابها وبين تأمين وصول الزاد لأعظم رحلة في التاريخ، فأثرت المصلحة العليا، فلقت بذات النطاقين وبُدلت بهما نطاقين في الجنة. فعن أسماء رضي الله عنها قالت: «صنعت سفرة رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به فقلت لأبي

(١) والعرق: ستون صاعاً.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، «باب: في الظهار» (٢/ ٢٣٣ ط مع عون المعبود).

بكر: والله ما أجد شيئاً أربط به إلا نطاقي قال: فشقيه باثنين فاربطيه: بواحد السقاء وبالأخر السفرة ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين»^(١).

✽ المبحث الرابع: مصفاة النقد، وكيف تميز البنت بين الغث والسمين؟

في زمن الانفجار المعرفي والمنصات الرقمية، أصبحت البنت عُرضة لكل ناعق. والمنهج النبوي يحمي عقل البنات بمصفاة النقد الشرعي، فلا تقبل كل ما يُقال، ولا تنبهر بكل ما يُعرض.

فعن الربيع بنت معوذ قالت: «دخل علي النبي ﷺ غداة بني علي، فجلس على فراشي كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف، يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي ﷺ: لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين»^(٢). لقد علمنا ﷺ أن نقد المحتوى وتصحيحه واجب، حتى في لحظات الفرح، ليبقى التوحيد والعقل خالصاً.

✽ المبحث الخامس: البنتُ وذكاءُ المسافة.. وفقه الخصوصية في زمن الانفتاح:

إن من أعظم المهارات الذهنية التي يجب أن تتسلح بها البنت قبل انتقالها لبيت الزوجية، هي مهارة: حفظ الغيب، وفهم حدود الخصوصية. ففي عصر صار فيه نشر الخصوصيات مرادفاً للتواصل، يأتي الهدى النبوي ليصون حرمة البيت بذكاءٍ فطري وعقلي.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب حمل الزاد في الغزو» (٥٤ / ٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب ضرب الدف في النكاح والوليمة» (١٩ / ٧).

الأصل الشرعي: قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. وحفظ الغيب هنا هو ذكاء المسافة؛ أي إدراك ما يُقال وما لا يُقال، وما يُنشر وما يُستر.

الهدى النبوي: تأمل موقف السيدة عائشة رضي الله عنها حين كانت تُسأل عن أدق تفاصيل عبادة النبي ﷺ في بيته، فكانت تجيب بما ينفع الأمة علماً، وتصمت عما هو خصوصية محضة بين الزوجين. لقد ربى النبي ﷺ بناته وأزواجه على أن البيت أمانة، وأن إفشاء سر الزوج هو سقطة في المروءة قبل أن يكون إثماً في الدين.

القصة والأثر: يُروى في الأثر أن أسماء بنت خارجة الفزاري لما زفت ابنتها قالت لها وصية ذهبية تعتمد على الذكاء العاطفي والخصوصية: «يا بنية.. كوني له أرضاً يكن لك سماء.. ولا تدني منه فيمَلِّك، ولا تباعدي عنه فينسأك»^(١). إنها فلسفة المسافة التي تجعل المرأة متجددة دائماً في عين زوجها.

التطبيق التربوي: علم ابنتك أن شاشتها هاتفها ليست مكاناً لغسيل ثيابها الزوجية، وأن أسرار بيتها هي أغلى ما تملك. وإن البنت القيادية هي التي تملك القدرة على الصمت الحكيم، فلا تخبر صديقاتها ولا حتى أهلها بما يقع بينها وبين زوجها من تفاصيل يومية، صيانةً للهيبة واستدامةً للمودة.



(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، «إحياء علوم الدين»، «كتاب آداب النكاح» (٢/ ٢١).



الباب العاشر

فقه العشرة وجمال الروح، ودستور البنت
في بيت الزوجية



الباب العاشر

فقه العشرة وجمال الروح، ودستور البنت في بيت الزوجية

في هذا الباب، نفتح مشكاة السكن والمودة لنصوغ للفتاة دستوراً حياتياً ينبض بفقه العشرة وفيض جمال الروح، مستمد من معالمه من جلال الوحي وهدي النبوة. إنها رحلة الانتقال الواعي من كنف الآباء إلى مملكة الأزواج، حيث تبنى البيوت على أصيل الصبر والتغافل، وتزهر القلوب بحسن التبعل والرعاية. نوقف فيه الناشئة على أسرار الاستقرار الأسري، ونسلح أفكارهن ضد عواصف المادية والأنانية، لتدخل ابنتك بيتها المعمور ملكة بأخلاقها، وقادرة على صناعة أمة من رحم أسرة، فتكون قرة عين في الدنيا، وذخراً يمتد أثره إلى الآخرة.

ولأن بيت الزوجية هو المحضن الأول لغرس القيم وبناء الأجيال، فإننا نسلط الضوء هنا على فقه الواجبات والحقوق بروح المودة لا بنظام الندية والمشاحنة، لتعلم الفتاة كيف تدير مركب حياتها بحكمة بالغة مستعينة بعفة لسانها وطهارة قلبها وسعة حلمها. إن هذا الدستور لا يقيد طموحها، بل يرتب أولوياتها ليجعل من استقرار بيتها منطلقاً لعزها، وصيانة لثغورها، وبناء لمستقبل يرضاه الله ورسوله.

❖ المبحث الأول: الذكاء الاجتماعي وفن إدارة المشاعر:

إن رقة البنت لا تعني ضعفها، وحيائها لا يعني انطوائها. والذكاء الاجتماعي

في الهدي النبوي هو أن تعرف البنت كيف تتعامل مع كل صنف من البشر بما يليق، مع الحفاظ على الهيبة الوقورة.

يا ابنتي.. لقد عبرت الآن عتبة الميثاق الغليظ، وانتقلت من كنف الأب ورعايته إلى ولاية الزوج وعشرته، وهنا تبدأ العبادة الكبرى، ويظهر الأثر الحقيقي لتلك السنوات التي قضيتها في رحاب التربية النبوية. وإن بيت الزوجية ليس مجرد جدران وأثاث، بل هو دولة صغيرة أنت ملكتها، ومحراب يُعبد الله فيه بحسن التبعّل، وجميل الصبر، ورجاحة العقل، والتيسير على الزوج، وأن لا يرى منك إلا خيراً.

وفي هذا الباب، نضع بين يديك دستور السعادة الذي خطته أنامل الوحي، وطبقته أمهات المؤمنين والصحابيات في بيوتهن. وإننا لا نعلمك هنا كيف تكونين تابعة، بل كيف تكونين صانعةً للود، ومدبرةً للأزمات، ومجددةً لروح البيت كلما ذبلت. وإن الجمال الذي نتحدث عنه هنا ليس جمال الوجوه الذي تفنيه الأيام، بل هو جمال الروح وذكاء المشاعر الذي يجعل من المرأة في عين زوجها وطناً لا يمل، وملاًذاً لا يُستبدل.

ستتعلمين في هذا الباب كيف تديرين عواصف الغيرة بحكمة، وكيف تحولين ضيق الحال إلى رضاً وسكينة، وكيف تمزجين بين هيبة الوقار وبين مودة المزاح والترويح. وإننا نريدك أن تكوني كأم سليم في رباطة جأشها، وكعائشة في دلالها وذكائها، وكأسماء في كفاحها وصبرها رضي الله عنهن. وإن فقه العشرة هو الفن الذي يحول البيت من فندق للنوم والأكل، إلى جنة تُستجلب فيها البركات، ويُرى

فيها العظماء. فتأمل في هذا الدستور النبوي، واجعليه نبزاً يضئ لك زوايا بيتك الجديد.

✽ المبحث الثاني: فقه الاحتواء والذكاء الأنثوي عند الأزمت:

كانت أم سليم رضي الله عنها مضرب المثل في الذكاء الاجتماعي؛ حين مات ولدها، هيات لزوجه الطعام والزينة ولم تخبره بوفاة ابنه حتى قضى وطره، ثم تدرجت معه في الخبر بذكاء وحكمة عجيبة. فدعا لها النبي ﷺ وبارك الله في نسلها. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان ابن لأبي طلحة يشتكي، فخرج أبو طلحة فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: وار الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: أعرستم الليلة؟ قال: نعم، قال: اللهم بارك لهما. فولدت غلاماً، قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ، فأتى به النبي ﷺ وأرسلت معه بتمرات، فأخذه النبي ﷺ، فقال: أمعه شيء؟ قالوا: نعم، تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذ من فيه فجعلها في في الصبي وحنكه به، وسماه عبد الله»^(١).

✽ المبحث الثالث: فقه الرضا وعلاج الغيرة المقيتة، وقصة الصفحة المكسورة:

الغيرة غريزة، لكن المنهج النبوي هذبها لتكون ملحاً للحياة لا ناراً تحرقها. وتعامل النبي ﷺ مع غيرة أمهات المؤمنين برفق وعقل؛ حين كسرت إحداهن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب قول الرجل لصاحبه: هل أعرستم الليلة» (٧/ ٤٠).

القصعة، فلم يعنفها، بل علّمها جبر الكسر. فعن أنس قال: «كان النبي ﷺ عند بعض نساءه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحيفة، فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحيفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحيفة، ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحيفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت»^(١).

✽ المبحث الرابع: فقه الأزمة والصبر الجميل عند ضيق الحال، وقصة أسماء مع الزبير:

بما أننا حاربنا الإسراف، يجب أن نبني الصلابة النفسية للبنات لتحمل تقلبات الزمان مع زوجها.

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، التي كانت تخدم فرس الزبير، وتنقل النوى على رأسها من أرضه البعيدة، صابرة محتسبة، حتى فتح الله عليهما. فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء، غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء، وأخرز غربه وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوما والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب الغيرة» (٧/ ٣٥).

من الأنصار، فدعاني، ثم قال: إخ إخ. ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أنني قد استحييت، فمضى فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه»، قالت: حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني^(١).

✽ المبحث الخامس: الترويح المباح وتجديد روح الود، وقصة مسابقة عائشة ومزاح سودة؛

البيوت التي تخلو من الدعابة والترويح تصاب بالجفاف، والهدي النبوي كان فيه مساحة للمرح والسرور. فعن عائشة «أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: هذه بتلك السبقة»^(٢). فشجع ابتك أن تكون لزوجها مصدراً للسرور، تمازحه وتحدد طاقة البيت بالابتسام والكلمة العذبة، فالجمال ليس فقط في المكياج، بل في الروح المرحية التي تطرد الهموم.

قالت سودة لرسول الله ﷺ: «صليت خلفك البارحة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم. قال: فضحك. وكانت تضحكه الأحيان بالشيء»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق» (٧ / ١١).
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، «باب: في السبق على الرجل» (٢ / ٣٣٤ ط مع عون المعبود).
(٣) ذكره ابن سعد في الطبقات «الطبقات الكبرى - ط العلمية» «سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس» (٨ / ٤٢).

وعن أبي سلمة قال: قالت عائشة: زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها إحدى رجله في حجري، والأخرى في حجرها، فعملت لها حريرة، أو قال: «خزيرة» فقلت: كلي، فأبت فقلت: لتأكلي، أو لألطخن وجهك، فأبت، فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهها، فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها تستقيد مني، فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك، فإذا عمر يقول: يا عبد الله بن عمر، يا عبد الله بن عمر فقال لنا رسول الله ﷺ: «قوما فاغسلا وجوهكما، فلا أحسب عمر إلا داخلا»^(١).

✽ المبحث السادس: الثقافة المالية وحسن التدبير، وقصة زينب بنت جحش وأسماء رضي الله عنهن:

بما أننا حاربنا الإسراف في أبواب سابقة، وجب هنا بناء العقلية المالية للبنات، لتكون مدبرة لا مبذرة، ومعطية لا طامعة. فعن أسماء: أن رسول الله ﷺ قال: «أنفقي، ولا تحصي فيحصى الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك»^(٢). لقد ربي النبي ﷺ في بناته وعائلته سخاء النفس مع حسن التدبير.

وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها، أم المؤمنين تعمل بيدها وتدبغ الجلود لتصدق بها. كانت تملك مهارة الإنتاج وثقافة العطاء. فعن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا. قالت: فكن يتناولن أيتهن أطول يدا. قالت: فكانت أطولنا يدا زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق»^(٣).

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى - ط الرسالة» (٨ / ١٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب هبة المرأة لغير زوجها» (٣ / ١٥٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب: من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها» (٧ / ١٤٤).

❖ المبحث السابع: أدب الاختلاف وتدابير النزاع وعقلية الإصلاح لا المغالبة:

من أصعب ما يواجه البنت في حياتها هو وقوع الخلاف، سواء مع صديقاتها أو مستقبلاً في بيتها. والمنهج النبوي يربي البنت على أن الاختلاف لا يعني القطيعة، وأن العقل الراجح هو الذي يسعى للإصلاح بكرامة.

قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. والخيرية هنا تشمل سلامة الصدر وبقاء الود.

وانظر إلى أدب السيدة عائشة رضي الله عنها في التعامل مع الغيرة أو الخلاف؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال لي رسول الله ﷺ: إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبي. قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم. قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك»^(١). فقالت بذلك الأثنى العاقلة وأدب المحبة: «أجل والله يا رسول الله، ما أهجرُ إلا اسمك»^(٢). إنها تربية على هجر الاسم لا هجر المودة، وعلى إبقاء شعرة الاتصال حتى في لحظات الغضب.

❖ المبحث الثامن: أنوثة البنت في لينها لا في عنادها، وفقه القوامة

والسكينة:

الرجل حين يأوي إلى بيته، يبحث عن سكن، والسكينة لا توجد في لسانٍ سليط أو نديّةٍ مقبّنة. إن القوامة التي أعطاها الله للرجل تقتضي من المرأة ذكاء الانحناء للعاصفة، لا النطاح الذي يكسر المودة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب غيرة النساء ووجدهن» (٣٦ / ٧).

(٢) متفق عليه.

قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ [النساء: ٣٤]، والقنوت هو دوام الطاعة بخشوع ومحبة، وليس بمغالبة.

وقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة الودود، الولود، العؤود^(١) على زوجها، التي إذا آذت أو أوذيت، جاءت حتى تأخذ بيد زوجها، ثم تقول والله لا أذوق غمضا حتى ترضى^(٢)». وهذا ليس ضعفاً، بل هو قمة القوة والذكاء لأنها اشترت قلب زوجها بكلمة.

يا ابنتي، عند مناقشتك لزوجك اتركي الندية المقيتة أو المغالبة الذكورية أو المناطحة الكلامية، فإن الرجل لم يتزوج ذكر، بل تزوج زوجة تشبه القارورة التي تنكسر من الكلمة الجافية وتلين بالكلمة الطيبة. كوني له أرضاً باللين، يكن لك سماءً بالحماية.

❖ المبحث التاسع: فقه التبعل والجمال الداخلي، وزينة البيت أولى بالرعاية :

من التناقض العجيب أن تتجمل المرأة لساعات أمام المرأة إذا خرجت لزميلاتها أو لحضور حفل زفاف أو غيرها من الحفلات، وتبذل في بيتها، ولا تهتم أمام زوجها، وإن أهتمت مرة تركتها عشرات المرات، وهذا قلب للموازين وفهم مغلوط للزينة.

وقد سئل النبي ﷺ: أي النساء خير؟ قال: «التي تسره إذا نظر إليها، وتطيعه

(١) العؤود: هي الزوجة التي تعود بالخير والمودة على زوجها، وتتوود إليه وتصلحه حال الغضب.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى - ط الرسالة» «شكر المرأة لزوجها» (٨ / ٢٣٩).

إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها، ولا في ماله»^(١). والسرور عند النظر لا يأتي إلا بالاعتناء والجمال. وكان ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك ليطيب فمه لأهله، فكيف بالمرأة؟!

وكانت بعض نساء السلف توصي ابنتها: «والتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيّب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيّب الطيب المفقود»^(٢).

يا ابنتي، زوجك هو أحق الناس بجمالك، وعطرك، وهندامك. فلا تجعله يرى منك خادمة المنزل طول اليوم، بل اجعليه يرى ملكة الروح التي تتزين له محبة وإعزازاً.

❁ المبحث العاشر: صلة الأرحام بالتبعية، إكرام أهل الزوج مروءة وشيعة:

إن إكرام أهل الزوج، كإكرام والديه وإخوته، ليس تكليفاً قانونياً جافاً، بل هو من المروءة وعادات العرب الكريمة التي أقرها الإسلام، وهو أقصر طريق لقلب الزوج.

قَالَ تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾. وإحسانك لوالدي زوجك هو إحسان لزوجك في أعز الناس عليه.

(١) أخرجه أحمد في المسند، «حديث أبي رزمة رضى الله عنه» (١١ / ٦٧٣ ط الرسالة).

(٢) ذكره أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، «طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار»، «قولهم في المناكح» (ص ٢٧).

وكان النبي ﷺ يكرم صواحب خديجة بعد موتها وفاءً لها، فكيف بمن تبرأ
أحياء أهل زوجها وفاءً له؟!

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على
رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك، فقال: اللهم هالة قالت:
فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدين، هلكت في
الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها»^(١).

وعن عائشة، قالت: كان عجوز تأتي النبي ﷺ فيسر بها ويكرمها، فقلت:
بأبي أنت وأمي، إنك لتصنع بهذه العجوز شيئاً ما تصنعه بأحد؟، قال: «إنها
كانت تأتينا عند خديجة، أما علمت أن كرم الود من الإيمان»^(٢).

يا ابنتي، بيت العائلة هو ميدان اختبار لمعدنك الأصيل. وخدمتك لحمانتك
هي برّ تقدمينه لله، وكما تدينين تُدانين، فما تفعلينه اليوم مع أم زوجك، ستجنين
ثمرته غداً من زوجة أبنك. كوني في بيت عائلة زوجك عزيزة لا يرى منك إلا ما
يسره، وبادري بالشيم والمروءة تملكي زمام القلوب لزوجك وعائلته.

✽ المبحث الحادي عشر: فقه الجحود، ومن التذلل والمداهنة عند

الخطبة إلى التسلط بعد الدخول:

هذا المبحث يتناول التحول النفسي المصلحي لدى بعض الشباب الذين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها» (٣٨ / ٥).

(٢) ذكره القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي [ت ٤٥٤ هـ]. في «مسند الشهاب»، «إن حسن

العهد من الإيمان» (٢ / ١٠٢).

يظهرون في الخطبة بزي المساكين، ثم ينقلبون جبابرة بعد الزواج.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. هذا الأمر الإلهي ليس في الطلاق فحسب، بل هو دستور العشرة. وأي فضل أعظم من أن يسلمك الأب ثمرة فؤاده التي سهر عليها عشرين عاماً لتأخذها على الجاهز؟!

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيركم خيركم لنسائهم»^(١). والخيرية لا تكون بالتمثيل في فترة الخطبة، بل بالاستمرار في جميل القول بعد التملك.

إن الرجل الذي ينقلب جنياً أو متسلطاً بمجرد أن قضى وطره، هو رجل يعاني من دناءة النفس ونقص في المروءة. لقد كان بالأمس يتمنى نظرة، واليوم يمنع البنت من زيارة أهلها الذين أكرموه. وهذا نوع من الغدر بالعهد، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج»^(٢).

✽ المبحث الحادي عشر: الاستبداد الذكوري، وسجن القوارير خلف جدران الطاعة:

يتناول هذا المبحث تعسف الزوج في استخدام حق القوامة بمنع الزوجة من صلة رحمها أو إهانتها، ظناً منه أن عقد النكاح هو عقد رق.

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. ومن المعروف إكرام أهلها.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب ما جاء في حق المرأة على زوجها» (٤٥٨ / ٣).

(٢) متفق عليه، واللفظ عند البخاري في صحيحه، «باب الشروط في المهر عند عقدة النكاح» (١٩٠ / ٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

حينما جاءت هند بنت عتبة تشتكي شح زوجها، لم يقل لها النبي ﷺ، اسكتي فهو سيدك، بل أنصفها وأعطأها حقها. فعن عائشة قالت: «دخلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، إلا ما أخذت من ماله بغير علمه، فهل علي في ذلك من جناح؟ فقال رسول الله ﷺ: خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك»^(١).

وكان ﷺ يذهب لزيارة بناته فاطمة وزينب ويمارجهن ويطيب خاطرهن في بيوت أزواجهن، فكيف يجرو زوج على قطع هذا الوصل؟!

يا من أخذت بنت الناس عزيزةً مكربة، اتق الله في كسر قلب أبيها. وإن القوامة تكليف بالحماية والرعاية، وليست تفويضاً بالإذلال أو السيطرة القهرية. والمرأة لم تخرج من بيت أبيها لتنتقل إلى سجن مؤبد، بل لتكون شريكة حياة.

✽ المبحث الثاني عشر: التفضيلات الزوجية، وجشع الشباب في مال والد

العروس:

هذا المبحث يضرب بقوة على كل من تسول له نفسه من هؤلاء الشباب الذين ينتظرون من حمأهم والد العروس أن ينفق عليهم أو يطمعون في ماله بعد أن كفأهم مؤنة التجهيز.

(١) متفق عليه، واللفظ عند مسلم في صحيحه، «باب: قضية هند» (٥ / ١٢٩).

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾. فإذا أنفق الأب سقطت قوامة الزوج أديباً ومروءةً.

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله»^(١). والشاب الذي يمد عينه لمال صهره هو شاب سقطت هيئته.

❖ المبحث الثالث عشر: الوفاء للأصل، كرامة الأب من كرامة البنت:

مبحث يربط بين حسن معاملة الزوجة وبين الوفاء لوالدها الذي تعب في تربيتها. كان ﷺ يحفظ ود خديجة في صديقاتها، فكيف بمن سهر الليالي ليُخرج لك زوجةً صالحة، متعلمة، عفيفة؟ إن إكرام الزوجة هو في الحقيقة رسالة شكر صامته للأب الذي أحسن التربية.

إن الرجل الأصيل هو من يقول لوالد زوجته بلسان حاله: لقد استلمت منك أمانة، وسأرعاهما كما رعيتهما وأكثر. أما الانقلاب بعد الزواج فهو سمة المنافقين الذين (إذا عاهدوا غدروا).

❖ المبحث الرابع عشر: فقه الكرم وبشاشة الوجه، وإكرام الزوجة

لضيوف زوجها:

إن من أرفع صفات المرأة الصالحة، وعناوين نضجها التربوي والاجتماعي، أن تكون عوناً لزوجها على أداء الحقوق، وسنداً له في إظهار المروءة، وعلى رأسها مكرمة إكرام الضيف. والواقع المعاصر يشهد نفوراً ظاهراً وضيقاً خفياً لدى كثير

(١) رواه الشيخان، واللفظ عند البخاري في صحيحه، «باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى» (١١٢ / ٢).

من الزوجات إذا ما أعلمها زوجها بقدوم ضيوف لبيته، فتتقلب البشاشة عبوساً، ويتحول البيت إلى ساحة من الخصام والممل، تضيق بسببه نفس الرجل، ويخرج أمام صحبه.

بينما فقه الوحي يقرر أن إكرام الضيف طاعة وقربة يشترك فيها أهل البيت جميعاً، قال الله تعالى ممتدحاً نبيه إبراهيم عليه السلام وأهل بيته في سرعة إكرام ضيفهم: ﴿هَلْ أُنْذِرُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٦]. وتأمل لفظة ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾؛ أي ذهب في خفية وسرعة إلى زوجته سارة، فلم يجد منها تبرماً ولا ضيقاً، بل وجد بيتاً مهياً للكرم، فجاءت معه النتيجة فوراً بصناعة طعام متميز ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

وفي السنة النبوية، برزت الصورة المشرقة للمرأة التي تبيض وجه زوجها وتصنع مجده أمام ضيوفه؛ فعن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: من يضيف هذا الليلة رحمه الله. فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفيئي، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: قد عجب

الله من صنعكما بضيفكما الليلة»^(١). وانظر كيف صنعت هذه الزوجة العظيمة بتعاونها وبشاشتها وحسن تديرها منقبةً خلّدها الوحي وعجب لها رب العزة من فوق سبع سموات.

وعلم ابنتك أن بشاشتها في بيتها، وحسن إعدادها لضيافة زوجها، هو حيازة لشرف مروءة زوجها؛ فالرجل يرى كرم زوجته تاجاً على رأسه أمام الرجال، والبيت الذي يتسع للضيوف تفتحه الملائكة بالرحمة والبركة. وعلمها أن جهد ساعة في المطبخ بإخلاص واحتساب، يورث رفعة في الدرجات، ووداً راسخاً في قلب زوجها لا ينساه لها أبد العمر.

✽ المبحث الخامس عشر: ريحانة المحبرة، وصبر البنت على زوجها طالب العلم؛

من أصعب البيئات التي قد تدخلها الفتاة الناشئة، أن تنتقل من بيت مادي أو عامي بعيد عن معارف الشريعة، لتدخل بستان: طالب علم. وهنا تصطدم الفتاة بشريك يتقاسم عقله الكتب والمحابر، فتظن لجهلها بطبيعة العلم أنه يتربص بها إهمالاً، أو تراه جالساً بين دفات الكتب فتطالبه بأن يتغنى لها طول يومه، ويترك العلم والدراسة، رغبةً في استهلاك الوقت في مشاعر لا تنقضي.

إن من أعظم ما تسلّح به ابنتك في هذا الباب، غرس فقه الصبر على طالب العلم، وتفهمها أن ساعات جلوس زوجها بين الكتب هي ساعات عبادة لا تقل عن قيام الليل وصيام النهار، بل هي أفضل. قال الله تعالى مبيناً منزلة أهل العلم:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب إكرام الضيف وفضل إثارة» (٦ / ١٢٧).

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. فكيف لا تصبر

الفتاة على رجل يتبوأ درجات الرفعة عند الله؟

وإذا رأت البنت زوجها مشغولاً بمراجعة مسألة أو تحرير حديث، فلتذكر هذا الحديث: فعن كثير بن قيس ، قال: «كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل، فقال: يا أبا الدرداء، إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، ما جئت لحاجة، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سلك طريقا يطلب فيه علما، سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»^(١). فزوجها يسير في طريق الجنة، والواجب على الزوجة الحكيمة أن تقود معه الركاب، لا أن تكون عقبة تقطع عليه طريق الطلب بكثرة اللوم والمطالبة بالخروج والترويح اللامتناهي.

وقد ضربت لنا نساء السلف أروع الأمثلة في فقه الصبر على كتب العلم؛ فهذا الإمام مالك بن أنس رحمه الله، كانت امرأته وأهله يهيئون له أسباب السكون ليجلس لحديث رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه أبو داود في صحيحه، «أول كتاب العلم. باب في فضل العلم» (٣/ ٣٥٤ ط مع عون المعبود).

وعن الزبير بن بكار، قال: قالت ابنة أخي لزوجتي: خالي خير رجل لأهله لا يتخذ ضرة، ولا يشتري جارية، قال: تقول المرأة: والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر! ^(١). ومع ذلك كانت تصبر وتحفظ له وقته.

وحين خطب الإمام أحمد بن حنبل عباسة بنت الفضل، صممت على صيانتها وخدمته وإعانتته على الفتنة ومحنة العلم، فحفظ لها ذلك وقال بعد موتها: «أقامت معي أم صالح ثلاثين سنة، فما اختلفت أنا وهي في كلمة» ^(٢).

يا أيها الأب، علم ابنتك أن تكون «ريحانة المحبرة»، وأن تتأقلم مع بيت العلم؛ فتقرأ إذا قرأ، وترتب له كتبه، وتهيئ له ركنًا هادئًا، وتشعره بأنها تفخر بكونه يحمل ميراث النبوة في صدره. علمها أن طالب العلم إذا وجد زوجةً تصبر على انشغاله بالعلم، وتوفر له أمان روحه، وتستشعر بركة المحابر في بيتها، فإنه سيملاً قلبها حباً وعاطفةً إذا فرغ، وسيرى لها في عنقه جميلاً وفضلاً لا ينقطع، فتكون شريكته في صحف الأجر، وسنده في بث الهدى في الأمة.

❖ المبحث السادس عشر: مملكة النقاء، واهتمام الفتاة بنظافة بيتها وترتيبه:

إن من أولى دلائل وعي الفتاة ونضجها التربوي، استشعارها أن بيتها هو مملكتها الخاصة، ومحراب طهرها ونقائها، وأن نظافة هذا البيت وترتيبه يعكسان

(١) ذكره أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، «ذكر ما يجب على طالب الحديث» (١/ ٩٧).

(٢) أبو عبد الله أحمد بن حنبل «الجامع لعلوم الإمام أحمد»، «عباسة بنت الفضل، أم صالح بن الإمام أحمد» (١٩/ ٦٣٨).

بالضرورة صفاء روحه وطهارة قلب أهله. والواقع يشهد أن بعض الفتيات يغفلن عن هذا الثغر العظيم، فيدخل الزوج بيته فلا يجد إلا بعثرة وفوضى يضيق بها صدره، وينفر منها قلبه، بينما جمال المرأة الحقيقي يبدأ من حُسن تدبيرها لمملكتها. وقد جعل الإسلام الطهارة والنظافة شرطاً من الإيمان، قال الله تعالى ممتدحاً أهل الطهر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّيْنِ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وفي السنة النبوية، كان بيت النبي ﷺ نموذجاً للطهر والترتيب، وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تولي هذا الأمر عناية بالغة، بل كانت تطيب بيتها وتغسل ثياب رسول الله ﷺ مستشعرة بركة النقاء.

وعلم ابنتك أن نظافة بيتها ليست مجرد جهد بدني مستهلك، بل هي عبادة وقرية تتقرب بها إلى الله، وباب عظيم لكسب قلب زوجها واستقرار نفسها؛ فالبيت المرتب يورث السكينة، ويعين على الطاعة، ويشرح الصدور. وعليها أن تجعل من بيتها بستاناً تفوح منه روائح الطيب، وترتاح فيه العيون، فالمؤمنة نقية الظاهر والباطن، وبيتها هو عنوان كمالها ومروءتها.

❖ المبحث السابع عشر: ريحانة المحاريب، واهتمام الفتاة بحلقات تحفيظ القرآن والانتساب إليها :

في زمن تلاطمت فيه أمواج الفتن، وتعددت الملهيات الرقمية التي تستنزف عمر الفتاة وتخدش حيائها، يبرز الحصن الحصين والملجأ الأمين في: حلقات تحفيظ القرآن الكريم؛ فهي محضن التربية، وميزان الاستقامة، ومستودع السكينة التي تحتاجها المرأة لتثبيت فؤادها وبناء عقلها.

ولقد رفع الله شرف أهل القرآن وجعلهم أهل خيرية الأمة، فعن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١). والانتساب إلى هذه الحلقات ليس مجرد حفظ للحروف، بل هو عيش في رحاب التدبر، وتزكية للنفوس، وصحبة للمؤمنات الصالحات اللواتي يذكرن الفتاة إذا غفلت، ويعنّنها إذا ضعفت. وقد ضربت نساء السلف أروع الأمثلة في التعلق بالقرآن الكريم؛ فكانت المرأة منهن تقرأ القرآن في بيتها، ويُسمع لبيوتهن دوي كدوي النحل من قراءة القرآن، كنساء الأشعرين. ويُروى عن حفصة بنت سيرين أنها حفظت القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة، وكانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة.

يا أيها الزوج، شجع زوجتك وحثها على الانتساب لحلقات القرآن، وعلمها أن وقتها في الحلقة هو استثمار لآخرتها، وصيانة لشبابها؛ فالقرآن إذا دخل قلب الفتاة هدّب لسانها، وحمى حياءها، وجعلها زوجة صالحة وأماً مربية تصنع جيلاً قرآنياً فريداً.

❖ المبحث الثامن عشر: فقه الجوار وبسط المعروف، واهتمام الفتاة

بحسن عشرة جيرانها:

لا تكتمل صيانة المرأة لبيتها وزوجها حتى يمتد إحسانها إلى محيطها الخارجي، وأولى الناس بهذا الإحسان هم الجيران. وإن من العادات الدخيلة في المجتمعات المعاصرة انكفاء البيوت على ذاتها، أو وقوع بعض النساء في آفات تتبع عورات الجيران أو أذيتهم بالقليل والقال وكثرة الصخب، مما يوغر الصدور ويمحق بركة الجوار.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (٦/ ١٩٢).

وقد عظم الإسلام حق الجار تعظيماً بليغاً، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦].

وفي السنة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(١).

عن أبي هريرة قال: قال رجل: «يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها! قال: «هي في النار». قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وإنها تصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها! قال: هي في الجنة»^(٢).

وعلم زوجتك أن إحسانها لجاراتها ببسط الوجه، والتهادي ولو بشيء يسير، وكف الأذى، وحفظ الأسرار، هو من أرفع أبواب العبادة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يا نساء المسلمين، لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن^(٣) شاة»^(٤). فلتكن زوجتك غيثاً أينما حلت، تُعرف بين جاراتها بطهر اللسان، وسلامة الصدر، وإغاثة الملهوف، لتبيض وجه زوجها وعائلتها، وتترك أثراً صالحاً يذكر فيشكر.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب الوصاة بالجار» (٨ / ١٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند «حديث أبي رمثة رضي الله عنه عن النبي ﷺ» (١١ / ٦٧٣ ط الرسالة). وحسن إسناده بعض أهل العلم.

(٣) فرسن: هو عظم قليل اللحم، وهو خف البعير، كالحافر للدابة، وقد يستعار للشاة فيقال: فرسن شاة، والذي للشاة هو الظلف.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، «كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها» (٣ / ١٥٣).

❖ المبحث التاسع عشر: أمانة الرحم، وإعداد الزوجة لدور الأمومة وصناعة الأجيال:

حين تنتقل الفتاة من بيت أبيها إلى بيت زوجها، فإن أكبر تحول ينتظرها ليس مجرد تغير عنوان سكنها أو اسمها، بل هو تهيئتها لأعظم وظيفة في الحياة؛ وظيفة «الأمومة». والأمومة ليست حادثاً بيولوجياً عابراً، ولا هي مجرد حمل ووضع، بل هي عملية صناعة حقيقية للإنسان، ومهمة رسالية تبنى بها العقول، وتصان بها الفطر. والواقع يفرض علينا اليوم أن نعلم بناتنا فقه هذا الدور بوعي وعمق؛ خاصة في زمن زُهدت فيه الفتيات في قيمة الأمومة، وصوّرت لهن -عبر أفكار وافدة- وكأنها عائق أمام نجاحهن أو سجن لطموحهن، بينما هي في حقيقتها أعظم ميدان لرفعة المرأة وأعلى درجات الاستثمار في حياتها وآخرتها.

ولقيمة هذه الرابطة وحجم المشقة فيها، نزل القرآن الكريم آيات تتلوها الألسن إلى يوم القيامة، تسجل عاطفة الأم وجهدها، لا لتقرره فقط، بل لتجعله باباً يوجب البر والرفعة. قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]. فتأمل كيف وصف الله الحمل بأنه «وهن» على وهن؛ أي ضعف يتلوه ضعف، وتعب يتبعه تعب، لتعلم كل زوجة أن هذا السهر وتلك الآلام ليست ضائعة، بل هي مدفوعة الأجر عند الله تعالى. وقال سبحانه في سورة الأحقاف: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ ليكون التكريم على قدر المشقة.

وفي سنة النبي ﷺ، نجد توجيهاً صريحاً يحدد للمرأة مركز ثغرها الأعظم الذي تسأل عنه بين يدي الله؛ قال رسول الله ﷺ: «**والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها**»^(١). وجعل النبي ﷺ العمل البسيط الداخلي الذي تقدمه الأم لوليدها بدافع الرحمة والمحبة سبباً موجباً لدخول الجنة؛ فقد دخلت امرأة مسكينة على عائشة رضي الله عنها ومعها ابنتان، فأعطتها عائشة ثلاث تمرات، فأعطت المرأة كل بنت تمرة، ورفعت التمرة الثالثة لتأكلها، فاستطعمها ابنتها، فشقت التمرة بينهما ولم تأكل منها شيئاً. فلما علم النبي ﷺ بذلك قال: «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار**»^(٢).

فإذا كانت شقة تمرة قدمتها أم برحمة قد أوجبت لها الجنة، فكيف بمن تفني سنوات عمرها في سهر الليالي، والتربية، والتوجيه، والتعليم؟
وقد أدرك شعراؤنا وعظمائنا هذه الحقيقة، فأنشدوا في الأمومة أروع الكلمات.
قال الشيخ: معروف الرصافي شاعر العراق الاجتماعي لنفسه ببيروت في المحرم سنة ١٣٢٧هـ^(٣):

ولم أر للخلائق من محل	يهذبها كحضن الأمهات
فحضن الأم مدرسة تسامت	بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسناً	بأخلاق النساء الوالدات

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «مجلة المنار»، «التربية والأمهات» (١٢ / ١٣٣ بتقييم الشاملة آليا).

ويقول: أحمد شوقي في بيته الشهير الذي صار مثلاً يتردد على كل لسان^(١):

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روضٌ تعهده الحيا بالريّ، أورك إيمًا إبراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق

وحتى تصبح ابنتك أمّاً ناجحة بكل ما تعنيه الكلمة، يجب أن تتربى في بيتك على أربعة معان أساسية:

١- أن تفهم أن الأمومة عبادة: فالطفل ليس مجرد عبء ومصاريف وسهر، بل هو عمل صالح ممتد بعد موتها، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

٢- التربية بالقُدوة: فالطفل يقلد أمه بعينه قبل أن يستمع لأذنه؛ فإذا رآها تصلي وتصبر وتحفظ لسانها وتلزم الحجاب، نشأ على ذلك دون كثرة أوامر.

٣- التوازن بين العاطفة والانضباط: فالأمومة ليست تدليلاً يفسد الطفل ويجعله اتكالياً، ولا قسوة تجفف قلبه وتجعله هرباً، بل هي رحمة حكيمة تحمي وتوجه.

٤- العناية بالروح والعقل: أن تدرك أن أمانتها لا تقف عند حدود تنظيف الجسد وإطعامه، بل تمتد إلى ملء عقل طفلها بالعلم، وروحه بالقرآن.

(١) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، «جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب»، «إسماعيل صبري باشا» (٢/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته» (٥/ ٧٣).

يا أيها الأب، علّم ابنتك أن شرفها الحقيقي لا يقاس بوظيفة أو شهادة دنيوية فقط، بل يكتمل يوم أن تكون أمّاً صالحة. علّمها أن الأمة لا تنتظر منها أن تكون نسخة مكررة في المكاتب والميادين، بقدر ما تنتظر منها أن تهب لها رجلاً صالحاً أو امرأة قاتنة. إنهما حين تجلس مع طفلها في هدوء الليل لتعلمه آية أو تغرس فيه خلقاً، فإنها تصنع مستقبل أمة كاملة وهي لا تشعر.

✽ المبحث العشرين: الأثر الخالد، والدور المباشر للأم في تشكيل عقيدة الجيل وسلوكه :

إذا كانت الأمومة هي الشرف والأمانة، فإن «التربية» هي الميدان العملي لهذه الأمانة؛ إذ لا يكفي أن تحب الأم أطفالها بعاطفتها، بل يجب أن تملك الفقه والقدرة على غرس القيم وبناء الشخصية. والواقع يشهد أن كثيراً من البيوت إنما تُبنى أو تُهدم من جهة الأم؛ فهي القرية من طفلها في سنه الأولى، وهي التي تتلقى أسئلة عقله الغض، وتصوغ مشاعره وتصرفاته قبل أن يخرج إلى معترك الحياة. فإذا كانت الأم واعية ومربية بحق، أخرجت للمجتمع جبلاً ثابته، وإذا غفلت أو تفاهت، خرج الأبناء على غير هدى ولو كان الأب صالحاً.

وقد أبرز القرآن الكريم هذا الدور المباشر للأم في بناء الروح والعقيدة، وعرض لنا نموذجاً فريداً للأم جعلت ولدها مشروعاً إيمانياً من قبل أن يولد؛ وهي امرأة عمران. قال الله تعالى عنها: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥]. فتأمل كيف صاغت أمنيته بكلمة «محراً»؛ أي خالصاً لخدمتك وطاعتك، فلما وضعتها أنثى لم تتراجع، بل حرصت

على صيانتها والدعاء لها ولذريتها: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فكانت النتيجة أن أنجبت مريم الصديقة التي اصطفاها الله على نساء العالمين.

وفي السنة النبوية، نرى النبي ﷺ يقرر أن أصل الفطرة وتوجيهها الأولي ينبع من محضن الوالدين وأخصهما الأم لقرمها؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعوها - قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين.»^(١). فالطفل يولد ورقة بيضاء، والأم هي أول من يخط عليها بلسانها، وسلوكها، ونبرة صوتها، ومشاعرها.

ولقد أدرك سلفنا الصالح من العلماء والفقهاء أن أثر الأم في التربية هو المحرك الأساسي لنجاح عظمائنا؛ فهذا الإمام الشافعي رحمه الله مات أبوه وهو صغير نشأ يتيمًا في كنف أمه، فقامت على تربيته بنفسها، وحرصت على دفعه إلى مجالس العلم وحفظ القرآن حتى صار إمام الدنيا. وهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يحكي عن أمه بوفاء شديد فيقول: توفي أبي وأنا ابن ثلاث سنين، فكفلني أمي، وكانت توقظني قبل الفجر لنصلي، وتلبسني ثيابي، وتذهب معي إلى المسجد في الظلمة حتى أسمع الحديث. فهؤلاء العظماء ما كانوا ليكونوا لولا توفيق الله ثم صبر أمهاتهم ورؤيتهن الثاقبة في التربية. وفي تاريخنا الإسلامي الكثير من الأمثلة

(١) متفق عليه، واللفظ عند البخاري في صحيحه، «باب: الله أعلم بما كانوا عاملين» (٨/ ١٢٢).

المشرفة والمشرقة الدالة على تحمّل المرأة مسؤولياتها التربوية، ونحوضها بواجباتها تجاه أبنائها وأسرتها الكثير والكثير.

وحقّي تمارس ابنتك هذا الدور المباشر بنجاح وتكون أماً معلّمة، يجب أن تعيها المبادئ التربوية الأربعة التالية:

١- **غرس العقيدة والتوحيد في الصغر:** أن تعلم طفلها مراقبة الله قبل أن تعلمه الخوف من الناس؛ فتغرس في قلبه أن الله يراه، وأن الصلاة هي أصل الفلاح، وأن الحياء والصدق من أركان الإيمان، متأسية بأم سليم رضي الله عنها التي كانت تلقن ولدها أنس بن مالك كلمة التوحيد وهو صغير.

٢- **صناعة الحصانة الأخلاقية:** الأم هي الحارس الأول لأخلاق طفلها؛ تعود لسانه على الكلمة الطيبة، وتمنعه من الفحش في القول، وتزرع فيه العفة والمروءة، وتجنّب مشاهدة المنكرات أو صحبة السوء.

٣- **الحوار وحسن الإصغاء:** الطفل لا يحتاج فقط إلى طعام ولباس، بل يحتاج إلى أم تسمع همومه الصغيرة، وتحيب عن أسئلته الحائرة بهدوء وحكمة، حتى لا يبحث عن الإجابات والأمان خارج أسرته.

٤- **الدعاء الصادق بالصالح:** أن تستشعر الأم أن الدعاء هو سلاحها العظيم الذي لا يفشل؛ فتنتهز أوقات الإجابة للدعاء لأبنائها بالهداية والتوفيق، وتحذر كل الحذر من الدعاء عليهم في لحظات الغضب، امتثالاً لقوله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا

من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»^(١).

يا أيها الأب المربي، إنك حين تدرب ابنتك على فقه التربية وأساليبها، فإنك تنقلها من مجرد «أم بالاسم» إلى «أم رسالية» تترك أثراً لا يمحي. علمها أن تعبها في مسح دمة طفلها، أو صبرها على تعليم آية أو توجيه خُلُق، هي غراس طيبة ستمتد بركتها إلى قبرها وبعد موتها. إن الأمة اليوم لا تعاني من قلة النسل، ولكنها تعاني من قلة «الأمهات المربيات» اللاتي يصنعن الرجال والحرائر، فكن لابنتك معلماً، تكن هي لأولادها مدرسة وبصيرة.



(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر» (٨ / ٢٣١).



الباب الحادي عشر
البنّت المصلحة، والدور الاجتماعي
والقيادي لها في الهدي النبوي



الباب الحادي عشر

البنات المصلحة، والدور الاجتماعي والقيادي لها في الهدي النبوي

إن التربية النبوية لم تصنع نساءً للمنازل فحسب، بل صنعت أمةً في نساء. في هذا الباب، نبحر مع نماذج لصحابيات جليلات كنَّ رقماً صعباً في معادلة المجتمع، وعالمات يُشد إليهن الرجال، ومصلحات غيَّرن مسار التاريخ بصبرهن وحكمتهن.

❖ المبحث الأول: البنت وصناعة الأمن النفسي للمجتمع:

إن البنت في الإسلام هي صمام أمان لأسرتها ومجتمعها عند وقوع الأزمات، وثباتها هو الذي يشد أزر الرجال.

ففي موقف السيدة صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها يوم الخندق؛ حين كان النساء والصبيان في حصن، فحاول يهودي التسلل إليهم، فما كان منها إلا أن حزمت أمرها وقتلته بنفسها لتحمي نساء المسلمين. لقد علمتنا صفية أن الأنوثة لا تعني العجز، وأن البنت هي الحارس الأمين لبيتها ومجتمعها وقت الشدة. فعن صفية بنت عبد المطلب - قال عروة: وسمعتها تقول: «أنا أول امرأة قتلت رجلاً كنت في فارع حصن حسان بن ثابت، وكان حسان معنا في النساء والصبيان حين خندق النبي ﷺ»، قالت صفية: «فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن، فقلت لحسان: إن هذا اليهودي بالحصن كما ترى ولا آمنه أن يدل على

عوراتنا، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه فقم إليه فاقتله، فقال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا «». قالت صفيّة: « فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئا احتجرت وأخذت عمودا من الحصن، ثم نزلت من الحصن إليه فضربتة بالعمود حتى قتلتها، ثم رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان، انزل فاستلبه، فإنه لم يمنعني أن أسلبه إلا أنه رجل، فقال: ما لي بسلبه من حاجة^(١)».

✽ المبحث الثاني: البنت كمرجع علمي وتصحيح مفاهيم الرجال:

وصلت البنت في ظل النبوة إلى أن تكون أستاذة للرجال ومصححة لمسارات الفكر.

عائشة رضي الله عنها؛ التي كانت المرجع الأول للصحابة في أدق المسائل الفقهية والطبية والشعرية. قال أبو موسى الأشعري: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما»^(٢).

وعن موسى بن طلحة، قال: «ما رأيت أحدا أفصح من عائشة»^(٣).

وعن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٤).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، «ذكر بنات عبد المطلب عمات رسول الله ﷺ» (٤ / ٥٥). وقال: «هذا

حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي: عروة لم يسمع من صفيّة.

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب من فضل عائشة رضي الله عنها» (٥ / ٧٠٣).

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

❖ المبحث الثالث: البنت حارسُ القيم في الفتن:

كيف تكون البنت مصلحةً لمجتمعها من خلال ثباتها على المبادئ حين تنهار القيم من حولها.

ثبات ماشطة ابنة فرعون؛ التي ضحت بنفسها وأولادها لأجل كلمة التوحيد. لقد فاحت رائحة صدقها في السماء قبل الأرض.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت على رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟»، فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟، قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي!، قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟، قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك ربا غيري؟، قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة: من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟، قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدا واحدا، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت»^(١). قال: قال ابن عباس: تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون.

(١) أخرجه أحمد في المسند، «ما هذه الرائحة الطيبة؟» (٣/ ٢٥٣ ت أحمد شاكر).

والبنت المصلحة هي التي لا تنجرف مع موجات التحلل، بل تكون بتمسكها بسترها ودينها قدوة صامته تعيد المجتمع إلى رشده.

✽ المبحث الرابع: حصن العفاف، وتفكيك الشبهات النسوية ووهم التحرر الزائف:

إن من أشد التحديات الساخنة والمعارك الفكرية الضارية التي تواجه الفتاة الناشئة في هذا العصر، هو: هجوم الأطروحات النسوية المعاصرة، التي تغلغت عبر المنصات الرقمية والشاشات، لتبث سمومها في عقول الزوجات والشابات تحت شعارات براقعة ومخادعة مثل: التمكين، والتحرر، والاستقلال المادي، والمساواة المطلقة. وحقيقة هذا الفكر الوافد أنه يسعى لانتزاع الحياء من قلب الفتاة، وزرع روح النديّة والمشاحنة في بيتها، وتهوين أمر الطلاق والخلع والاستغناء عن الرجل، حتى غدت البيوت تتصدع لآتفه الأسباب بسبب هذه المفاهيم الدخيلة التي تحول السكن والمودة إلى صراع سياسي داخل الأسرة.

وقد حمى الوحي المنزل الفطرة السوية، وقسم الأدوار بين الرجل والمرأة بقمة العدل والرحمة لا النديّة؛ فالمرأة لها شرفها ومكانتها، والرجل له حق القوامة والرعايية، قال الله تعالى مبيناً هذا التمايز الفطري: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ [النساء: ٣٢]. فالجري وراء مساواة تامة تصادم الفطرة هو مهلكة للمرأة ومستنزف لربيع أنوثتها.

ولقد حذر النبي ﷺ تحذيراً شديداً من المفسدين والمفسدات الذين يخبيون

النساء على أزواجهن ويزينون لمن التمرد والفرقة؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من خيب امرأة على زوجها»^(١).

والفكر النسوي المعاصر هو أكبر ممارس لهذا التخييب الممنهج. كما قطع التشريع غلو النساء في طلب الفراق والاستغناء المادي دون بأس أو موجب شرعي قاهر، فعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «أما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»^(٢). وعقد الخلع لم يُشرع ليكون العوبة بيد الفتاة متى ما تبرمت من مسؤوليات الحياة، بل هو رخصة نادرة عند استحالة العشرة تماماً، وليس بوابة للتمرد والتحرر الأعمى.

وقد سطر التاريخ الإسلامي مواقف حاسمة في مواجهة الفتن الفكرية ففي الحديث: «أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال، فقال: ﴿بِئْسَ الْبِلَالُ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: أنتن على ذلك، وقالت امرأة واحدة، لم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله، لا يدري الحسن من هي. قال: فتصدقن، وبسط بلال ثوبه، فجعلن يلقيان الفتح والخواتيم في ثوب بلال»^(٣). وهنا نبعت الفطرة النقية لتبين أن الأصل في الحرة الاستقامة والحفاظ على بيتها. وكانت أمهات المؤمنين والتابعيات يظهرن الطاعة الواعية لرجالهم شرفاً وقربة، «قالت امرأة سعيد بن المسيب ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلموا

(١) أخرجه أبو داود في سننه، «أول كتاب الطلاق، تفريع أبواب الطلاق» (٢/ ٢٢٠ ط مع عون المعبود).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، «باب: في الخلع» (٢/ ٢٣٥ ط مع عون المعبود).

(٣) رواه الشيخان، واللفظ عند البخاري في صحيحه، «﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ﴾» (٦/ ١٥٠).

أمرأكم، أصلحك الله، عافاك الله»^(١)، ليس ذلاً ولا هواناً، بل لمعرفة أن طاعة الزوج في غير معصية الله هي مفتاح الجنة، فعن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»^(٢).

يا أيها الأب المربي، إن حماية ابنتك أو زوجتك من هذا المستنقع الفكري تقتضي تفكيك هذه الشبهات أمامها منذ نشأتها، وتعليمها أن الاستقلال الحقيقي هو استقلالها عن الشهوات والأفكار المادية الجافة، وأن عزها وتمكينها يكون في ظلال شريعته التي أكرمته بنتاً، وزوجة، وأماً. علمها أن البيت المسلم يقوم على التراحم والتكامل، لا على النديّة وحسابات الأرباح والخسائر والمطالبة بالانفصال عند أول عقبة تربوية. إن الفتاة إذا تشربت فقه الإسلام وعرفت شرف التبعل ورعاية القوارير، صمدت أمام أعاصير النسوية، وكانت صمام أمان لبيتها، وبانية لجيل مستقر نفسياً وفكرياً، تترفع به عن سفاهات المتمرعات.

❖ المبحث الخامس: إدارة الأزمات العائلية، فالبنت وسيط السلام:

دائماً ما تقع خلافات بين الأسر، وهنا يبرز دور البنت العاقلة في تقريب وجهات النظر لا في إشعال الفتنة.

دور أم كلثوم بنت عقبة في الهجرة والصلح، وكيف أن الإسلام رخص في الكذب المصلح للإصلاح بين الناس.

(١) ذكره أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط السعادة» «عطاء بن ميسرة» (١٩٣ / ٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، «حديث عبد الرحمن بن عوف الزهري ﷺ» (٣٠٠ / ٢) ت أحمد شاكر.

عن أم كلثوم ابنة عقبة وكانت من المهاجرات الأول، قالت: أن النبي ﷺ قال: «لم يكذب من نمت بين اثنين ليصلح وقال أحمد بن محمد ومسدّد: ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيرا أو نمت خيرا»^(١).

البنات المصلحة هي التي تنقل الكلمة الطيبة بين الخصوم، وتستتر القبيح وتظهر الجميل، فتكون مباركة أينما حلت، وتملأ صفحات كتابك بالحلول العملية لتمزيق الأرحام الذي يعاني منه المجتمع.

✽ المبحث السادس: دبلوماسية القوارير وفن الوساطة في الإصلاح:

إن البنات المصلحة تملك سلاح اللين الذي يفكك أعقد الخصومات العائلية، والمنهج النبوي وظف هذه القوة لترميم التصدعات الاجتماعية.

قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّبْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمْرٌ بَصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

موقف أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية؛ حين بلغت القلوب الحناجر وكاد الصحابة يهلكون بمخالفة أمر النبي ﷺ من شدة الحزن، فكان عقل المرأة هو المخرج. أشارت عليه برأيها الحكيم الذي أنقذ الأمة من فتنة عظيمة، فكانت وساطتها دبلوماسية إنقاذ لا يتقنها إلا النساء الرزينات.

علم ابنتك أن دورها في بيت عائلتها أو بيت زوجها هو أن تكون سفيرة سلام، لا تنقل القبيح، وتنمي الجميل، وتستخدم ذكاءها العاطفي في تقريب القلوب المتنافرة، فتكون هي الغيث الذي يطفئ نيران الخلافات.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، «باب في إصلاح ذات البين» (٤/ ٤٣٢ ط مع عون المعبود).

الباب الحادي عشر: البنت المصلحة، والدور الاجتماعي والقيادي لها في الهدى النبوي

✽ المبحث السابع: البنات وصناعة الوعي التاريخي وحفظ ميراث النبوة:

لولا البنات والصحابيات لضاع شطر كبير من ميراث النبوة العملي البيتي، فالبنت هي الوعاء الأمين لذاكرة الأمة.

أمر النبي ﷺ أزواجه وبناته بنشر ما يُتلى في بيوتهن، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

لولا الله ثم جهود عائشة رضي الله عنها، وبنات الصحابة مثل: عمرة بنت عبد الرحمن، لما عرفنا تفاصيل العبادة والتعامل الأخلاقي داخل الحجرة النبوية. لقد كنّ مدرسةً متنقلة تصحح المفاهيم وتحفظ الإرث من الاندثار.

ربي ابتك على أن تكون مؤرخة لأسرتها، تحفظ قيم أبيها وأجدادها، وتنقلها للأجيال القادمة. البنت المصلحة هي التي لا تسمح بضیاع هوية البيت، بل تجعل من بيتها الصغير امتداداً لقيم الأمة الكبيرة عبر القراءة والتوثيق والتعليم.

✽ المبحث الثامن: السمات الصامتة، وهيبة الوقار في التأثير الاجتماعي:

كيف تكون البنت مصلحةً لمجتمعها بمجرد حالها قبل مقالها، وبوقارها الذي يفرض الاحترام على القلوب قبل الألسن.

قال تعالى عن ابنة الرجل الصالح: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥].

لقد وصف الله المشية لأنها رسالة إصلاحية صامتة تعلن عن طهارة المجتمع.

إن البنت التي تخرج للمجتمع جامعة، عمل، زيارة، بسمت نبوي ووقارٍ مهيب، هي في الحقيقة داعية صامته تذكر الناس بالله وبأخلاق الإسلام. هذا الحياء القيادي هو الذي يربي الرجال على غض البصر، ويربي البنات على الاقتداء، فتكون البنت بوقارها حارساً للفضيلة في زمن الانفتاح، وتثبت أن الجمال الحقيقي هو الذي يجمع بين عزة النفس وهدوء الروح.





الباب الثاني عشر
فقهُ البيوت، وساعات ممتعة
في رحاب الحجرات النبوية
دراسة تحليلية للواقع التطبيقي



الباب الثاني عشر

فقه البيوت، وساعات ممتعة في رحاب الحجرات النبوية

دراسة تحليلية للواقع التطبيقي

البيان العملي لروح الشريعة في واقع العشرة، وبعد أن أبحرت معنا في طيات هذا الكتاب، وتسلمت بالأصول الفكرية، والمهارات الذهنية، وصغنا سوياً عقلية البنات القائدة المعتزة بهويتها.. ها نحن نصل بك إلى اللحظة الحاسمة، لحظة العبور من عالم التنظير إلى واقع التطبيق.

إن الفقه لا يفهم حق الفهم إلا إذا رأينا أثره في تجارب الأحياء، ولا توجد تجربة على وجه الأرض أحق بالدراسة والتمعن من حياة أهل البيت النبوي. في هذا الباب، لن نكتفي بسرد المواعظ، بل سنصحبك في رحلة عبر الزمان، لنطرق معاً أبواب الحجرات الطاهرة، وندخل ساعةً بساعةً إلى تفاصيل حياة النبي ﷺ مع أمهات المؤمنين.

إننا ندعوك هنا لتشاهدي المنهج النبوي وهو يتحرك وسط الزحام؛ ستبين كيف كان يُدار الغضب، وكيف تُعالج الغيرة، وكيف يُواجه ضيق العيش، وكيف تُبنى جسور الوفاء. ستكتشفين أن تلك البيوت لم تكن خالية من التحديات

البشرية، بل كانت مختبراً إلهياً لتعليمنا كيف نرتقي بإنسانيتنا في أوقات الشدة والرخاء.

يا ابنتي، إن هذه الساعات التي سنقضيها في رحاب غرف النبوة هي القاموس الحي الذي ستحتاجينه في بيتك الجديد. ستتعلمين منها أن الأنوثة قوة، وأن الحلم سيادة، وأن البيت الذي يُبنى على الصدق مع الله لا تهزه عواصف الأيام. فادخلي هذه الحجرات بقلبك قبل عينك، واستلهمي من كل مشهدٍ درةً تزينين بها تاج حياتك القادمة.

❖ المبحث الأول: ساعة المكاشفة والوساطة، حين يغيب الرضا ويحضر الأب؛

هذا المشهد ليس مجرد خلافٍ عابر، بل هو منهجٌ نبوي في كيفية إدارة الأزمات الكبرى التي تصل إلى طريقٍ مسدود.

وقع خلافٌ بين النبي ﷺ، وعائشة رضي الله عنها، فأراد ﷺ أن ينهي الخلاف بحكم يرتضيانه، فقال لها: «هل ترضين بأبي بكر بيني وبينك؟» قالت: نعم. فلما حضر الصديق، قال النبي ﷺ: «تكلمين أم أتكلم؟» فقالت عائشة -بجراحة المحبة وغضب الدلال-: «بل تكلم أنت، ولا تقل إلا حقاً!»^(١).

هنا ثارت ثائرة الصديق؛ غيرَةً على مقام النبوة، فلطمها وقال: «أو يقول غير الحق يا عدوة نفسها؟!»، فاستترت عائشة بظهر النبي ﷺ.

(١) رواه ابن أبي الدنيا مرسلاً في «النفقة على العيال لابن أبي الدنيا»، «باب ملاعبة الرجل أهله» (٧٥١/٢).

استخراج الدرر والفوائد:

بشرية أمهات المؤمنين: البنت التي تقرأ هذا الموقف تدرك أن الغضب والخطأ في القول قد يقع من خير النساء، وهذا يعطيها توازناً نفسياً فلا تجبط إذا وقع منها زلل، بل تتعلم كيف تعود.

رُقي الاحتواء النبوي: فالنبي ﷺ هو صاحب الحق، وهو الموحى إليه، ومع ذلك لم يقابل كلمتها الجافية بمثلهما، بل قام بدور الحامي لها حتى من أبيها، وقال لأبي بكر: «ما لهذا دعوناك، ولا لهذا أردناك»^(١).

فقه الاستناد لظهر الزوج: رغم غضب عائشة من النبي ﷺ، إلا أنها عندما خافت لم تجد ملجأ ولا ظهراً تحتمي به إلا هو. وهذا درس للبنت: مهما اختلفنا، يبقى زوجك هو حصنك الذي تفرين إليه لا منه.

✽ المبحث الثاني: ساعة تخيير القوارير، أزمة النفقة وضريبة الوفاء:

هذا المبحث كبير جداً، لأنه يمسّ عصباً حساساً في عصرنا: المطالب المادية والغيرة من معيشة الآخرين.

عن جابر بن عبد الله قال: «دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر، فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا، قال: فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه»، «باب أزواج النبي ﷺ» (١٠ / ٤٤١ ط التأصيل الثانية).

خارجة سألتني النفقة، فقممت إليها، فوجأت عنقها^(١)، فضحك رسول الله ﷺ وقال: هن حولي كما ترى يسألني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟! فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده. ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُوحَ لَهَا﴾ حتى بلغ: ﴿لِّلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ قال فبدأ بعائشة، فقال: يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشير أبيك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله، ورسوله، والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً^(٢).

استخراج الدرر والفوائد:

صبرُ القائد على مطالب البيت: المبحث يوضح كيف يواجه الرجل الضغوط المادية داخل بيته بالحزم الرحيم، وكيف أن النبي ﷺ لم يداهن في ثوابته لأجل إرضاء المطالب المادية.

سمو الاختيار: كيف بدأت عائشة بالاختيار وقالت: «أفيك أستشير أبوي؟»

(١) فوجأت عنقها: أي ضربها على عنقها ضربة خفيفة بغرض التأديب أو اللوم.

(٢) رواه الشيخان، واللفظ لمسلم في صحيحه، «باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية»

(١٨٥/٤).

بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة»^(١)، فتبعها بقية النساء.

رسالة للبنات: يا ابنتي، البيت الصالح يُبنى على الرسالة لا على الأثاث. إن وقوفك مع زوجك في ضيق عيشه هو الذي يصنع مكانتك في قلبه وفي التاريخ، تماماً كما خلد التاريخ ذكر أمهات المؤمنين لاختيارهن العسرة مع النبي ﷺ على السعة مع غيره.

✽ المبحث الثالث: ساعة جبر الخواطر، وعندما تنكسر الصفحة وتثور الغيرة:

مبحث يعالج غيرة الضرائر وكيفية تعامل الزوج القاضي العادل معها. عن أنس قال: «كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصفحة فيها طعام فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصفحة، فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصفحة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصفحة، ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتى بصفحة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصفحة الصحيحة إلى التي كسرت صفحتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت»^(٢).

استخراج الدرر والفوائد:

فقه التعامل مع غيرة المرأة: النبي ﷺ لم يجعل من كسر الصفحة قضية كبرى ولا إهانةً لكرامته أمام أصحابه، بل عذرهما بالغيرة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية» (٤ / ١٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب الغيرة» (٧ / ٣٥).

العدل المادي والمعنوي: لم يكتف بالكلمة، بل أمر عائشة أن تعطي صحتها الصحيحة لضررها بدلاً من المكسورة. وهذا جبر الضرر المادي.

رسالة للبت: تعلمي من هذا الموقف أن الغيرة إذا وقعت، يجب أن يعقبها اعتذار وتصحيح. وتعلمي كيف يكون الزوج عاقلاً لا يشعل النار بصب الزيت عليها.

✽ المبحث الرابع: ساعة التدشير الأول، وخديجة رحمها الله، وبناء ميناء الأمان:

البيان العملي لدور الزوجة في اللحظات المصيرية التي تهمز فيها ثقة الرجل بنفسه. عن عائشة في حديث بدأ الوحي، قالت «فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، قال لخديجة: أي خديجة، ما لي، لقد خشيت على نفسي، فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها،...»^(١).

استخراج الدرر والفوائد:

الزوجة مستشار نفسي: خديجة لم تسأل عن التفاصيل أولاً، بل قدمت السكينة والتدشير المادي والمعنوي.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «حدثنا يحيى، حدثنا الليث» (٦ / ١٧٣).

قوة المنطق الأنثوي: استدلالها بأخلاقه ﷺ على سلامة عاقبته هو قمة الذكاء القيادي.

رسالة للبنات: كوني خديجة في لحظات انكسار زوجك؛ كوني أنت من يذكره بنقاط قوته حين يرى هو نقاط ضعفه.

✽ المبحث الخامس: ساعة مهنة الأهل، والقائد في مطبخ النبوة:

هذا المبحث مخصصٌ لهدم الأصنام الذكورية التي تأنف من مساعدة المرأة في بيتها، وبيان أن الرجولة هي أن تكون سنداً لزوجتك في أدق تفاصيل يومها.

عن الأسود قال: «سألت عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، تعني خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»^(١).

هذا السؤال الذي وجه لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فلم تقل كان يخطط للمعارك أو يستقبل الوفود، وهو يفعل ذلك خارجاً، بل قالت بعبارة جامعة: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة». وفي رواية أخرى: «كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم»^(٢).

استخراج الدرر والفوائد للبنات وللزوج:

كسر كبرياء النفس: حين ترى البنت أباه أو زوجها يقتدي بالنبي ﷺ في غسل إنائه أو ترتيب مكانه، ينشأ في قلبها إجلالٌ لهذا الرجل لا حدود له. إن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج» (١/ ١٣٦).

(٢) رواه البيهقي في «الآداب للبيهقي» «باب ما يصنع الرجل في بيته» (ص ٢٧٤).

مشاركة الزوج لزوجته في أعباء المنزل ليست انتقاصاً، بل هي أعلى درجات المروءة. **فقهُ الوقت المشترك:** لم يكن النبي ﷺ يدخل البيت ليغلق على نفسه باباً، بل كان مخالطاً لأهله، يرى تعبهن فيشاركهن. وهذا درسٌ للبنات: قدرى لزوجك مبادرته، واجعليه يشعر بأن البيت هو مملكتكما المشتركة.

التربية بالقدوة: عندما يرى الأبناء أباهما يساعد أمهما، ينشأ جيلٌ سويٍّ يعرف معنى المودة والرحمة عملاً لا قولاً.

التوازن بين العبادة والخدمة: فإذا حضرت الصلاة خرج يعلمنا أن خدمة الأهل هي عبادة بحد ذاتها، لا يقطعها إلا النداء لرب الأرض والسماء.

✽ المبحث السادس: ساعةُ الوفاء الممتد، الخالدُ التي لم ترحل!

هذا المبحث يعالج أعظم قضية عاطفية في حياة المرأة: الغيرة من الماضي، وكيف أدار النبي ﷺ مشاعر الوفاء لزوجته المتوفاة مع مشاعر زوجته الحاضرة. عن عائشة قالت: «ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة، وإني لم أدركها. قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة! قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: إني قد رزقت حبها»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك، فقال: اللهم هالة قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدين، هلكت في

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها» (١٣٢ / ٧).

الدهر، قد أبدلك الله خيرا منها»^(١).

قال: «ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»^(٢).

استخراج الدرر والفوائد:

فقه الوفاء للذكرى: يعلمنا ﷺ أن عقد الزواج لا ينتهي بالموت، وأن الرجل الأصيل هو من يحفظ حق من ساندته في البدايات. وهذا يطمئن البنت أن المعدن الطيب لا ينسى المعروف.

حق التعبير عن الغيرة: النبي ﷺ لم يعاقب عائشة على مشاعر الغيرة كعاطفة إنسانية، لكنه صحح لها المفهوم؛ فالحب لا يُلغي الحب، والوفاء للأولى لا ينتقص من قدر الثانية.

تعدد فضائل المرأة في حياة الرجل: في وصفه لخديجة (آمنت، صدقت، واست، ولدت)، يعطي النبي ﷺ المنهج لما يجب أن تكون عليه البنت: أن تكون سنداً فكرياً، ودعماءً مالياً، ومحضناً عاطفياً.

درس الإنصاف للبنت: يا ابنتي، كوني عاقلة كعائشة حين قالت بعد ذلك: «والله لا أذكرها بسوء أبداً»^(٣). تعلمي أن احترام ماضي زوجك وما فيه من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ﷺ» (٥ / ٣٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، «مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ﷺ» (٤٠ / ٩ ط الرسالة).

(٣) ذكره محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشَّيباني، أبو بكر الجوزقي (٣٠٦ - ٣٨٨ هـ)، «الصحيح

من الأخبار المجتمع على صحته - مخطوط» «ما غرت على خديجة» (ص ٢٢٢ بتقييم الشاملة آليا).

ذكريات وفاء، هو دليل على نضج عقلك وطهارة قلبك.

✽ **المبحث السابع: ساعة المؤانسة والسمر، وحديث: أم زرع وليل الحكايات:**

هذا المبحث يوضح كيف كان النبي ﷺ، مستمعاً بارعاً لزوجته، يعطيها أذنه وقلبه لساعات طوال.

جلست عائشة تقص على النبي ﷺ حديث إحدى عشرة امرأة في الجاهلية تعاھدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً، وظلت تفيض في تفاصيل قصة: أبو زرع وأم زرع. والنبي ﷺ صامتٌ، مُصغٍ، متفاعل، لا يمل ولا يقاطع، حتى إذا انتهت، لم يقل لها أطلتِ الكلام أو هذا لغو، بل قال لها بأجمل تلطف: «**كنتُ لك كأي زرعٍ لأم زرع، غير أنني لا أطلق**»^(١).

استخراج الدرر والفوائد:

المرأة كائن يحب الحديث: النبي ﷺ أدرك أن البنت تحتاج لمن يسمعها، فوهبها أغلى ما يملك وهو وقته. وهذا درسٌ للأب وللزوج: أعطِ ابنتك وزوجتك أذنك، تُعطك قلبها.

المشاركة الوجدانية: النبي ﷺ لم يستمع ببدنه فقط، بل ختم الحديث بتعليقٍ عاطفي طمأنها به، فكانت النتيجة أن عائشة قالت: «**يا رسول الله، بل أنت خيرٌ لي من أبي زرع**»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب حسن المعاشرة مع الأهل» (٢٧/٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير للطبراني»، «طرق حديث أم زرع وحسن عشرة النبي ح عائشة» (٢٣/١٦٣).

رسالة للبنات: تعلمي فن الحديث مع زوجك؛ اختاري القصص الجميلة، والأسلوب الجذاب، وكوني أنيسة له في ليله، فالرجل يبحث عن تملأ وقته بالبهجة لا بالشكوى والنكد.

❖ المبحث الثامن: ساعة الرقي في الخصام، إني لأعرف غضبك من رضاك؛

هذا المبحث يعلم البنت أدب الاختلاف وكيف يقرأ الزوج الذكي مشاعر زوجته من وراء الكلمات، وكيف تظل المودة حبلاً لا ينقطع حتى في لحظة الغضب.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال لي رسول الله ﷺ: إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبي. قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم. قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك»^(١).

استخراج الدرر والفوائد:

الفراسة الزوجية: النبي ﷺ لم يكن غافلاً عن تقلبات زوجته النفسية، بل كان مراقباً محباً. الدرس هنا للزوج: لا تتجاهل صمت زوجته أو تغير لهجتها، بل أشعرها أنك فاهم لما يمر بها.

أدب الهجر عند النساء: انظري إلى رقي عائشة؛ حتى وهي غضبي، لم ترفع صوتها، لم تسب، لم تخرج أسرار بيتها، بل كل ما فعلته أنها غيرت الاسم في القسم. هذا هو الخصام الراقي الذي يجب أن تتربي عليه البنت.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب غيرة النساء ووجدهن» (٧ / ٣٦).

الاحتواء بالابتسامة: النبي ﷺ واجه غضبها بابتسامة المكشف، لا بغضب المنتقم لكرامته. وهذا يربي في البنت روح الدلال المصون الذي يقابله الزوج بالاستيعاب الحنون.

بقاء المودة في القلب: قولها «ما أهرج إلا اسمك» قاعدة ذهبية؛ اختلفي مع زوجك كما تشائين، لكن لا تهجري وده، ولا تهجري مكانه في قلبك.

✽ المبحث التاسع: ساعة المؤازرة تحت الإشاعة، وأزمة الإفك وصبر الحجرة الطاهرة؛

هذا مبحث ضخم يتناول كيف تدار الأزمات الاجتماعية الكبرى التي تمس السمعة، وكيف يكون البيت حصناً في وجه الإشاعات.

عندما شاعت قالة السوء في المدينة، دخل النبي ﷺ على عائشة وهي تبكي عند أبيها، فجلس وتشهد ثم قال: «يا عائشة، إنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه...». فجف دمعها، ونظرت لأبويها ليحييا، فلم يجيبا، فقالت كلمتها التي هزت التاريخ: «والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف: يعقوب، حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾»^(١).

استخراج الدرر والفوائد:

المواجهة الصريحة لا الغموض المدمر: النبي ﷺ علمنا أن البيوت تُحمى بالمكاشفة. دخل وسأل بوضوح، ولم يترك الشك يأكل قلبه وقلبها.

(١) متفق عليه، وعند البخاري في صحيحه، «باب تعديل النساء بعضهن بعضاً» (٣/ ١٧٣).

عزة البنت المؤمنة: عائشة رغم ضعفها وموقفها، لم تتذلل، بل استعصمت بالوحي وبالصبر الجميل. وهذا يعلم البنت أن الكرامة لا تسقط حتى في أحلك الظروف.

دور الأبوين أبو بكر وأم رومان: صمتها في البداية ثم ثباتهما، فهذا يعلم الأب كيف يكون سنداً لابنته في أزمتها، وكيف يزن الأمور بميزان العقل لا العاطفة المحضة. **اليقين بالبراءة:** المبحث يوضح أن البيت الذي يتقي الله لا يخذله الله أبداً، وأن السمعة هي رأس مال البنت، وحمايتها فريضة شرعية.

✽ المبحث العاشر: ساعة اللطف في التفاصيل، صفية رضي الله عنها ودرجة الركوب:

مبحث يبرز الفروسية النبوية في التعامل مع المرأة، وكيف تُبنى الهيبة بالحب لا بالتسلط.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قدم النبي ﷺ خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن، ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها وكانت عروساً، فاصطفاه رسول الله ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الروحاء حلت، فبنى بها، ثم صنع حيساً في نطع صغير، ثم قال رسول الله ﷺ: آذن من حولك، فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ على صفية ثم خرجنا إلى المدينة، قال: فرأيت رسول الله ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيه فيضع ركبته، فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب»^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها» (٣ / ٨٣).

استخراج الدرر والفوائد:

التواضع النبوي: هذا المشهد ينسف فكرة أن مساعدة المرأة أو التذلل لها بالحب ينقص من قدر الرجل. بل هو قمة الرجولة.

إشعار المرأة بمكانتها: صفية كانت حديثة عهد بإسلام وأهلها قُتلوا، فكان هذا الاحتفاء العملي منها ﷺ تطبيقاً لخاطرها وإشعاراً لها بأنها ملكة في بيته.

رسالة للبنات: يا ابنتي، الرجل الذي يكرمك في صغائر الأمور هو الذي سيحفظك في عظائمها. وتعلمي كيف تقابلين هذا الكرم بالامتنان والتقدير لا بالاستعلاء.

✽ المبحث الحادي عشر: ساعة العتاب الرقيق، وحادثة العسل:

هذا المبحث يعالج كيف يمكن لغيرة النساء أن توقع حتى الكبار في ضيق، وكيف يتدخل الوحي لتصحيح المسار العاطفي في البيت.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ «كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ، فلتقل إني أجد منك ريح مغاير، أكلت مغاير، فدخل على إحدهما فقالت له ذلك، فقال: لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له. فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿إِنْ نُبَا إِلَى اللَّهِ﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ لقوله: بل شربت عسلاً»^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾» (٧ / ٤٤).

استخراج الدرر والفوائد:

حساسية القائد لرضا أهله: كيف كان النبي ﷺ يحسب حساباً لمشاعر أزواجه، حتى إنه حرّم على نفسه ما يجب العسل لئلا يتأذين بريجه. هذا يعلم الزوج أن التنازل عن بعض الرغبات الشخصية لأجل استقرار البيت هو شيمة الكبار.

الغيرة تقع من الصالحات: المبحث يوضح للبنات أن كيد النساء قد يقع حتى من أمهات المؤمنين بسبب شدة الحب، فإذا وقع منك شيء من ذلك، فتداركيه بالاستغفار والرجوع للحق، ولا تجعلي الغيرة تقودك لظلم غيرك.

تصحيح المسار بالصدق: الدرس الأكبر هو الصدق؛ فالبيوت لا تُبنى على الحيل، والوحي جاء ليؤكد أن القوامه تقتضي العدل والترفع عن التحريم لمجرد الإرضاء العاطفي.

✽ **المبحث الثاني عشر: ساعة المشورة الذهبية، أم سلمة في الحديبية، العقل الذي أنقذ الأمة:**

هذا المبحث هو الرد العملي على من يقول: شاوروهن وخالفوهن، ليبين أن عقل المرأة المصلحة قد يسبق عقول الرجال في أحلك الظروف.

بعد صلح الحديبية، أمر النبي ﷺ أصحابه أن ينحروا ويحلّقوا، فلم يقم منهم أحد. «فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق

منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة، يا نبي الله، أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما»^(١).

استخراج الدرر والفوائد:

الزوجة مستودع السر: النبي ﷺ في قمة أزمته السياسية والشرعية، لم يجد صداراً يتسع لهما إلا صدر زوجته. وهذا يعلم البنت أن تكون لزوجها مستشاراً مؤتمناً لا مجرد متفرجة.

عبقريّة الحل العملي: أم سلمة لم تعطه نصيحة قولية بل أعطته خطة عمل بالقدوة الصامتة. وهذا يدل على نضج عقل الزوجة الذي تربى في مدرسة النبوة.

تقدير الرجل لعقل المرأة: النبي ﷺ لم يقل لها أنت امرأة لا تفهمين في السياسة والجيش، بل أخذ برأيها فوراً ونفذه. وهذا يربي في البنت عزة النفس والثقة في رأيها المبني على الحكمة.

✽ المبحث الثالث عشر: ساعة العقد الضائع، وابتلاء الأهل، وبركة للأمة :

هذا المشهد يصور كيف يواجه الزوج خطأ زوجته غير المقصود الذي تسبب في تعطيل جيش كامل، وكيف تحول هذا الضيق إلى منحة ربانية.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب الشروط في الجهاد» (٣/ ١٩٣).

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ، والناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال: أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فأصبنا العقد تحته»^(١).

استخراج الدرر والفوائد:

رفق الزوج بمشاعر زوجته: النبي ﷺ لم يعنف عائشة على ضياع العقد ولم يقل لها أخرجت الجيش، بل وقف بنفسه يبحث عنه. الدرس هنا: لا تجعل من ضياع الأشياء المادية سبباً لكسر القلوب، فالقارورة أغلى من العقد.

أدبُ البنت مع زوجها: عائشة تحملت وخز أبيها الصديق ولم تتحرك إجلالاً لنوم النبي ﷺ على فخذه. وهذا يربي في البنت فقه السكن؛ أن تكون راحته مقدمة على ألمها الشخصي.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب التيمم» (١/ ٧٣).

بركة المرأة الصالحة: أحياناً يقع من الزوجة قدرٌ يظنه الناس شراً، فيجعل الله فيه خيراً كثيراً، كآية التيمم. فكن أيها الزوج صابراً على هفوات أهلك، فربما خلفها بركة لا تحتسبها.

✽ المبحث الرابع عشر: ساعة اللعب والمؤانسة، والحبشة في المسجد وظل النبوة:

هذا المبحث يعالج حاجة المرأة للترويح والفرجة، وكيف كان النبي ﷺ يمنح عائشة حق الاستمتاع بالجمال والفن المباح بأسلوب عاطفي فريد.

عن عائشة: «والله! لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي. والحبشة يلعبون بحراهم. في مسجد رسول الله ﷺ، يسترني بردائه. لكي أنظر إلى لعبهم. ثم يقوم من أجلي. حتى أكون أنا التي أنصرف. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، حريصة على اللهو»^(١).

استخراج الدرر والفوائد:

الزواج سترٌ وسند: لم يقل لها اذهبي فانظري، بل جعل من جسده الشريف ستراً لها لتنظر وهي في قمة الحياء والراحة. وهذا يعلم الزوج أن يكون هو النافذة التي تطل منها زوجته على المباحات بأمان.

تدليل القوارير: استخدام اسم التدليل في وقت المرح يكسر الجمود. والبنت تتعلم هنا أن الدلال حق لها، لكن بذكاء الموازنة بين الحياء وبين الاستمتاع بظلال زوجها.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد» (٣ / ٢١).

اختبار المودة: قولها لا وهي قد شبت من النظر، كان غرضه أن تعرف قدر صبره عليها. والنبي ﷺ لم يملّ، بل ظل واقفاً حتى كانت هي المنصرفة. وهذا درس في سعة الصدر وإعطاء المرأة وقتها الكافي للترويح.

✽ المبحث الخامس عشر: ساعة الغيرة العاقلة، وقصة صفية والكلمة التي تمزج البحر:

هذا المبحث يغوص في تفاصيل دقيقة حول خطر الكلمة التي تخرج في لحظة غيرة، وكيف ضبط النبي ﷺ لسان أهله بكلمات تربية بليغة.

عن عائشة قالت: «قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا قال غير مسدد: تعني قصيرة فقال: لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته، قالت: وحكيت له إنسانا، فقال: ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا»^(١).

استخراج الدرر والفوائد:

تطهير اللسان من الغيبة: النبي ﷺ علمنا أن الغيرة ليست عذراً لنهش الأعراض أو السخرية من خلقه الله. والدرس للبنات: كوني غيرة بقلبك، لكن لا تجعل لسانك يقع في المحرمات لأجل زوجك.

تصوير قبح الكلمة: وصف النبي ﷺ لأثر الكلمة في البحر يربي في البنت الرقابة الذاتية. الكلمة الصغيرة قد تلوث حياة كاملة، فالبنت المصلحة هي عفيفة اللسان حتى مع خصومها وضرائرها.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، «باب في الغيبة» (٤/ ٤٢٠ ط مع عون المعبود).

العدل بين الزوجات: النبي ﷺ لم يسكت لمحبة قلبه عائشة حين أخطأت في حق صفيه. وهذا يربي في البيت ميزان العدل الذي لا يحابي أحداً على حساب الحق.

✽ المبحث السادس عشر: ساعة الاعتذار، وأبو بكر يُسكت ابنته والنبي يبتسم:

هذا مشهد بديع يوضح كيف أن الخلافات قد تقع بسبب سوء فهم، وكيف تنتهي بضحكة صافية.

عن النعمان بن بشير قال: «استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ. فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟ قال: فمكث أبو بكر أياماً، ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما. فقال النبي ﷺ: قد فعلنا، قد فعلنا»^(١).

استخراج الدرر والفوائد:

سرعة الفياء والرجوع: الجميل في بيوت النبوة أن الحرب تنقلب سِلماً في دقائق. لا يوجد هجر لأيام أو نكد مستمر.

الدعابة بعد الخلاف: قوله ﷺ «أنقذتك من الرجل» يقصد أباها هو قمة الذكاء العاطفي لإذابة ما بقي من رواسب الزعل بضحكة ومزاح.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، «باب ما جاء في المزاح» (٤ / ٤٥٧ ط مع عون المعبود).

رسالة للبنت: لا تجعل صوتك يعلو على زوجك، وإذا وقع ذلك فليكن اعتذارك سريعاً، ولتقبلي مزاحه الذي يهدف لفتح صفحة جديدة.

✽ **المبحث السابع عشر: ساعة الأحزان المشتركة، وفاء إبراهيم ودموع الرحمة:**

مبحث إنساني عميق يصور كيف يتقاسم الزوجان ألم الفقد، وكيف يواسي كل منهما الآخر عند رحيل الأبناء.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف، إنها رحمة. ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»^(١).

استخراج الدرر والفوائد:

شرعية الدموع: المبحث يصحح مفهوماً خاطئاً وهو أن الصلابة لا تعني التحجر. النبي ﷺ بكى أمام أهله، وهذا يعلم الزوج أن يشارك زوجته أحزانها، ويعلم البنت أن بكاء الرجل في هذه اللحظات هو قمة الرحمة والوفاء.

الانضباط عند الصدمة: علّم النبي ﷺ أهله «ولا نقول إلا ما يرضي ربنا». فالبنت المصلحة هي التي تمسك لسانها عند الفجعة، وتكون هي من يُذكر

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون» (٢/ ٨٣).

زوجها بالرضا بالقدر.

المواساة الصامتة: في تلك الساعات، كان أزواج النبي ﷺ حوله، يواسينه بحالهن ووجودهن. الوجود الجسدي والروحي للزوجة بجانب زوجها في مأتمه هو أعظم مرهم لجراحه.

✽ المبحث الثامن عشر: ساعة اللحظات الأخيرة، بين سحري ونحري:

أعمق مشهد للوفاء، يصور كيف تمت القمة النبوية أن يودع الدنيا من بين أحضان زوجته.

في مرض وفاته ﷺ، كان يستأذن نساءه أن يُمرّض في بيت عائشة، فسمحن له وفاءً. فعن عائشة رضي الله عنها: «توفي النبي ﷺ في بيتي، وفي نوبتي، وبين سحري ونحري، وجمع الله بين ريقِي وريقه. قالت: دخل عبد الرحمن بسواك، فضعف النبي ﷺ عنه، فأخذته فمضغته، ثم سننته به»^(١).

استخراج الدرر والفوائد:

الزوجة هي الملائد الأخير: أعظم رجل في التاريخ يختار حضن زوجته ليكون محطة الوداع. هذا يعظم قيمة الزوجة في نظر كل زوج.

فقهُ الشركة الروحية: قصة السواك وكيف لينته بريقها ﷺ تعبير عن الاندماج التام بين الزوجين حتى في أنفاس الوداع.

الوفاء بين الضرائر: إذن زوجاته ﷺ له بالبقاء عند عائشة درس في سمو الأخلاق وتغليب مصلحة الزوج وراحته على الغيرة الشخصية.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، «باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ» (٤ / ٨١).



الباب الثالث عشر

وصايا الوداع والقاموس التربوي
حقيبةُ العمرِ ومَنارُهُ المستقيل



الباب الثالث عشر

وصايا الوداع والقاموس التربوي

حقيبةُ العمرِ ومنازلُ المستقبل

يا ابنتي.. ها نحن نضع بين يديكِ خلاصة السنين، وعصارة التجارب، ونور الوحي. إن هذا الباب ليس مجرد كلمات تُقرأ، بل هو عهدٌ وميثاق تأخذينه معك ليكون بوصلتك حين تشتد العواصف، ونورك حين تظلم الدروب. إننا نودعكِ بقلب الأب وحكمة المربي، سائلين الله أن يجعل منك خديجة زمانك وعائشة عصركِ.

✽ المبحث الأول: الوصايا العشر الذهبية للبنات القيادية

هذه الوصايا هي الخلاصة المركزية لكل ما سبق في الكتاب، تُحفظ وتُستحضر عند كل نازلة:

وصية التوحيد النفسي: اجعلي رضا الله غايتك، فإن من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم.

وصية الستر الجميل: بيتك قلعة حصينة، أسرارها أمانة، وخلافاتها لا تتجاوز عتبة بابها، والبنات الراقية لا تغسل ثياب بيتها أمام الغرباء.

وصية ذكاء المسافة: لا تذوي في زوجك حتى تفقدي هويتك، ولا تبتردي عنه حتى ينسى مودتك. كوني كالشمس؛ تُدْفئ من بعيد، ولا تحرق من قريب.

وصية اللسان العفيف: الكلمة الطيبة هي مفتاح القلوب، والكلمة الجافية قد تكسر ما لا يُجبر. وتذكري أن ريح البحر يتغير بكلمة، فليكن ريح بيتك طيباً دائماً.

وصية إكرام الأصل: وفاء زوجك لك يبدأ من وفائك لأهله، وكوني ابنة بارة لحماتك، تملكي قلب زوجك للأبد.

وصية فقه القناعة: لا تمدي عينيك إلى ما مُتعت به غيرك من زينة الدنيا. كوني ملكة بما تملكين، لا متسولة لما يملكه الآخرون.

وصية التجدد الدائم: كوني في بيتك كل يوم امرأة جديدة؛ في روحك، في مظهرك، وفي حديثك، فالمثل هو مقبرة الحب، والمبادرة هي إحياءه.

وصية الصبر عند الصدمة: الحياة ليست وردية دائماً. كوني صلبة في الأزمات، رقيقة في الرخاء، فالرجل يحتاج لمن يثبتته حين يترنح العالم من حوله.

وصية الحياء القيادي: حياؤك هو تاج وقارك، وهو الذي يفرض احترامك على الجميع، فلا تتنازلي عن هيبتك تحت مسمى الانفتاح.

وصية الاستمرار في التعلم: الكتاب الذي بين يديك هو البداية. لا يتوقف عقلك عن النمو، فالمرأة المثقفة هي التي تبني أمة، لا مجرد بيت.

✽ المبحث الثاني: القاموس التربوي، ومفاهيمُ الهدى النبوي:

في هذا المبحث، نضع أهم المصطلحات التي وردت في الكتاب مع شرح إجرائي مبسط لكل مفهوم، ليكون مرجعاً سريعاً:

الميثاق الغليظ: هو عقد الزواج الذي سماه الله غليظاً لقوته وعظمته، فلا يفككه عارضٌ تافه ولا ريحٌ عابرة.

القوارير: وصف نبوي رقيق يجمع بين الجمال والشفافية وسرعة الكسر، مما يوجب اللطف والحذر في التعامل.

التبعل: هو فن إظهار الحب والزينة والطاعة للزوج بروح محبة، وهو عبادة توازي الجهاد في سبيل الله.

حفظ الغيب: هو الأمانة المطلقة في غيبة الزوج؛ حفظ ماله، وعرضه، وأسراره، وصورته أمام الناس.

المغافير: رمزٌ لكل ما قد يؤذي الزوج من روائح أو أخلاق، والحرص على أن لا يشم منك إلا أطيب ريح.

سحري ونحري: رمزٌ لأعلى درجات القرب العاطفي والجسدي بين الزوجين، حيث السكن والأمان.

الهجر الجميل: هو الاختلاف الذي لا ترافقه إساءة ولا قطيعة، بل هجر الاسم مع بقاء الود في القلب.





الباب الرابع عشر
مشكلات معاصرة في تربية البنات
وسبل معالجتها في ضوء الوحي



الباب الرابع عشر

مشكلات معاصرة في تربية البنات وسبل معالجتها في ضوء الوحي

في مهب العاصفة.. وركوب سفينة النجاة، فإن تربية البنات في هذا العصر لم تعد مجرد القيام على النفقة، والكسوة، والتعليم التقليدي، بل غدت جهاداً تربوياً مريئاً، وثغراً من أعظم ثغور الإسلام. وإننا نعيش في زمن كثرت فيه المشتتات، وتلاطمت فيه أمواج الفتن كقطع الليل المظلم، ودخلت وسائل التأثير والتغيير إلى مخادع بناتنا وصوامع بيوتنا من غير استئذان ولا حياء.

لقد أصبحت الفتاة المسلمة مستهدفة في حياض عفتها، وفي نقاء فكرها، وفي ثبات عقيدتها. ولم يعد الأبوان هما المربين الوحيديين في الساحة؛ بل زاحمتها شاشات براقية، ومنصات رقمية، وأفكار وافدة عابرة للقارات، تصنع القناعات، وتصوغ السلوكيات، وتستل من قلب الفتاة حياءها وعزة دينها ببطء شديد ونعومة قاتلة، حتى صارت البنت تتلقى قيمها من وراء البحار أكثر مما تتلقاه من أبويها أو معلميها.

ومن هنا، كان لزاماً على كل مرءٍ يبتغي وجه الله والدار الآخرة، ويرجو أن تكون ابنته قرة عين له في الدنيا وذخراً في الآخرة.

من أسباب نجاح التربية:

١- فقه النصوص الشرعية: والاستمساك بهدي الوحيين وسيرة النبي ﷺ وسلف الأمة.

٢- فهم الواقع المعاصر: وفك شفرات تحدياته، والوقوف على ثغراته؛ لحماية الأمانة التي استرعاه الله إياها.

قال الله تعالى محذراً ومنبهاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته، قال: فسمعت هؤلاء من رسول الله ﷺ، وأحسب النبي ﷺ قال: والرجل في مال أبيه راع، وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١).

فالتربية مسؤولية عظيمة، وحسابها عند الله عسير، والتهاون فيها في زمن الفتن تفريط بالوديعه الغالية. وفي هذا الباب، نسلط الضوء على أبرز المشكلات المعاصرة التي تواجه بناتنا، ونرسم معالم العلاج والشفاء من مشكاة الوحي النبوي الشريف.

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري في صحيحه، «باب: العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه» (١٢٠/٣).

✽ المبحث الأول: الجوالات ووسائل التواصل الاجتماعي، المربي الخفي

والفضاء المفتوح:

أولاً: تشخيص الداء والواقع المعاصر:

لم يعد الهاتف المحمول في يد الفتاة مجرد آلة اتصال أو وسيلة ترفيه، بل تحول إلى «مربّ خفي» شريك للأسرة، يمتلك من الجاذبية والإغراء ما يفوق قدرة الوالدين على التأثير المباشر. إن هذا الفضاء الرقمي المفتوح يضع الفتاة الناشئة أمام سيل جارف من الصور، والمقاطع، والرسائل المبتوثة التي تبث في روعها -شعورياً أو لا شعورياً- مقارنات ظالمة بين واقعها المعيش وبين الحياة الزائفة التي يعرضها مشاهير المنصات.

ومن أبرز الآثار السلبية لهذا التدفق الرقمي:

تآكل الحياء الفطري: من خلال التعود على رؤية المناظر الفاضحة، أو التجرؤ على تصوير الذات ونشر الخصوصيات طلباً للإعجابات والمتابعات.

العزلة الاجتماعية والنفسية: حيث تنكفي الفتاة على شاشتها، وتنفصل عن محيطها الأسري، مما يورثها الاكتئاب والهشاشة النفسية.

تشتت العقل وضعف التركيز: بسبب نمط المقاطع القصيرة السريعة التي تضعف القدرة على القراءة العميقة والتأمل الشرعي.

ثانياً: التأصيل الشرعي من الكتاب والسنة:

إن حفظ الجوارح من السمع والبصر هو أصل صيانة العبد في دنياه وآخرته،

والشاشة المعاصرة هي مجمع السمع والبصر. قال الله تعالى مبيناً مسؤولية الإنسان عن حواسه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطأ، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»^(١).

فهذا الحديث النبوي العظيم هو أصل في باب «التربية البصرية والسمعية»، ويؤكد أن كثرة التعرض للمحرمات عبر الشاشات تمرض القلب وتفسد الفطرة وتدفع نحو الانحراف السلوكي.

ثالثاً: سبل المعالجة والخطوات التربوية والعملية:

إن مواجهة التحدي الرقمي لا تكون بالمنع المطلق والتعنت الجاف الذي يورث العناد والسرية، وإنما بالحكمة والترشيد والبناء المتين، ومن أهم الخطوات العملية:

١ - غرس مراقبة الله - الرقابة الذاتية -:

إن التربية الحقيقية هي التي تجعل الفتاة تستشعر رؤية الله لها وهي خالية بهاتفها في غرفتها. نعلمها: قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١٩) [غافر: ١٩]، ونذكرها بحديث النبي ﷺ في الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب: قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره» (٨ / ٥٢).

فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

٢- وضع ميثاق رقمي للأسرة: اتفاق واضح منذ الصغر يلتزم به الجميع

- الآباء والأبناء-، ومن بنوده:

منع الهواتف تماماً على مائدة الطعام.

إخراج الهواتف والأجهزة من غرف النوم قبل موعد النوم بساعة، ووضعها في مكان مشترك بالمنزل.

تحديد ساعات معينة للاستخدام لا تتجاوز حدود الحاجة والترويح المباح.

٣- المتابعة الواعية الذكية، ودون تجسس منفرد:

ينبغي للمربي أن يكون صديقاً لابنته في الفضاء الرقمي، يتابع ما تتابع، ويناقشها بالحسنى فيما تراه، مسترشداً بحديث النبي ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٢). وأما التجسس الدائم والتخوين فإنه يكسر الثقة ويدفع الفتاة لابتكار طرق للإخفاء والتحايل.

٤- توفير البدائل النافعة والأنشطة الحية:

الفراغ هو البيئة الخصبة لإدمان الهواتف، فيجب ملء وقت الفتاة ببرامج علمية، حفظ القرآن، والقراءة، وممارسة الرياضة المنزلية، والمهارات اليدوية والمنزلية،

(١) متفق عليه، واللفظ عند البخاري في صحيحه، «باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام» (١٩ / ١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب فضل الرفق» (٢٢ / ٨).

عمالاً بما قيل: «نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل»^(١).

٥ - إشباع العاطفة الأسرية:

عندما تجدد الفتاة في بيتها حضناً دافئاً، وكلمة طيبة، وثناءً حسناً من أبيها وأُمها، فإنها لن تبحث عن الأمان العاطفي الموهوم في غرف الدردشة ومواقع التواصل. إن الامتلاء العاطفي الداخلي هو الدرع الواقي ضد الاختراقات الخارجية.

٦ - ومن أخطر إفرازات هذا الفضاء المفتوح: سقوط الفتاة في شباك

العلاقات الإلكترونية المحرمة؛ حيث يستنزف الفراغ العاطفي طهر قلبها في محادثات مستترة تبدأ عابرة وتنتهي بكسر الحياء. وقد حمى القرآن أصل العفة بلفظ معجز في وصف المؤمنات فقال: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]، والأخدان هم أصدقاء الخفاء والدردشة المستترة.

ويترب على ذلك وقوع الفتاة في مقصلة الابتزاز العاطفي والرقمي؛ حين تفرط الفتاة الناشئة في خصوصيتها بصورة أو كلمة تحت وطأة الاندفاع، فيتحول المبتز إلى وحش يهدد سترها، وتعيش الفتاة رعباً نفسياً قد يقودها للانكسار. وهنا يجب على الأب بناء جدار الأمان المطلق في بيته، لتعلم ابنته أن اللجوء لأبيها عند الخطأ هو النجاة الصارمة، تذكيراً بالحديث: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»^(٢)، فالاحتواء الأبوي الواعي يقطع دابر الابتزاز ويحمي القارورة من التلف.

(١) ذكره شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، «مجموع الفتاوى»، «ما يتلى به من الذنوب» (٨/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، «باب ذكر التوبة» (٢/ ١٤١٨ ت عبد الباقي).

✽ المبحث الثاني: الصديقات والعلاقات المؤثرة، عدوى السلوك وضغط

الأقران:

أولاً: تشخيص الداء والواقع المعاصر:

تمر الفتاة في مرحلة المراهقة والشباب بمرحلة نفسية تجعلها شديدة التأثر بنظيراتها وصديقاتها. وفي هذا العصر، تضعف خطر الصداقة؛ فلم يعد مقتصرًا على زميلة المدرسة أو الجارة، بل تعداه إلى الصديقة الافتراضية عبر منصات التواصل أو ما يُعرف بجروبات الفتيات التي تُطرح فيها الأفكار والخصوصيات بلا رقيب.

إن خطورة الرفقة السيئة تكمن فيما يُسمى تربوياً بضغط الأقران، حيث تشعر الفتاة بالخرج والاضطرار لمجاراة صديقاتها في اللباس، أو طريقة الكلام أو التساهل في العلاقات، أو الخروج لبعض الأماكن، حتى لا تُنعت بينهن بأنها «معقدة» أو «رجعية». كم من فتاة كانت آية في الحياء والستر، فما هي إلا خُلطة لأشهر معدودات بصديقة سوء، حتى انقلب حالها، وخلعت جلباب حيائها!

ثانياً: التأصيل الشرعي من الكتاب والسنة:

لقد أولى الإسلام مسألة الصداقة والخلطة عناية فائقة، وحذر من مغبة صاحب السيئ تحذيراً يهز القلوب. قال الله تعالى في مشهد مهيب من مشاهد يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ (٢٧) يَوَلِّتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانَا حَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

ويقول سبحانه مبيناً أن كل صداقة لغير الله تنقلب عداوة: ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وفي السنة النبوية المطهرة، صاغ النبي ﷺ هذا المفهوم بأروع تمثيل وأبلغ عبارة، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المجلس الصالح والمجلس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك: إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد: يحرق بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحا خبيثة.»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل.»^(٢).

ثالثاً: سبل المعالجة والخطوات التربوية والعملية:

إن حماية الفتاة من رفقة السوء لا تتم بمحاصرتها وحبسها في البيت، بل بتنمية وعيها وتوجيه خياراتها.

الطرق التربوية لحماية البنات:

١ - بناء الشخصية المستقلة القوية: يجب أن نربي في الفتاة الاعتزاز بهويتها ودينها، وألا تكون «إمعة» تذوب في الآخرين. نعلّمها حديث النبي ﷺ: «لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا

(١) متفق عليه، واللفظ عند البخاري في صحيحه، «باب في العطار وبيع المسك» (٣ / ٦٣).

(٢) سبق تخريجه.

أنفسكم: إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا»^(١).

٢- فتح أبواب البيت لصديقاتها: من الذكاء التربوي أن ترحب الأم بصديقات ابنتها في المنزل، وتكرمهن، وتتعرف عليهن عن قرب. هذا يتيح للأم مراقبة سلوكهن، ومعرفة بيئاتهن، وتوجيه ابنتها بلطف دون صدام مباشر.

٣- الدفع نحو بيئات الصلاح الحاضرة: المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ويجب على الوالدين ربط الفتاة بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، والأنشطة الدعوية والتربوية الموثوقة، والمجالس العلمية. وإن وجود الفتاة وسط مجموعة من الفتيات الصالحات اللاتي يتنافسن في حفظ القرآن ولزوم الحجاب يمثل حماية اجتماعية ونفسية عظيمة لها.

٤- تفعيل دور القصص النبوي والتاريخي: نربط الفتاة بقدواتها الحقيقية: خديجة وعائشة عليهما السلام، وفاطمة بنت رسول الله، وآسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران. نقرأ معها سيرهن لتعلم كيف كانت المرأة المسلمة جبلاً أشمًا في وجه عواصف الفتن والمجتمعات المنحرفة.

✻ **المبحث الثالث: الدراسة والعمل وبناء الطموح، بين التمكين الشرعي والذوبان الفكري:**

أولاً: تشخيص الداء والواقع المعاصر: أصبحت الفتاة المعاصرة تقع تحت طائلة خطاب مادي إعلامي مكثف يربط قيمتها الإنسانية والاجتماعية بالشهادة الأكاديمية والوظيفة والراتب المالي والمكانة المهنية فحسب. ولكن هذا الخطاب

(١) سبق تخريجه.

المتطرف يعمد -في كثير من الأحيان- إلى التقليل من شأن الأمومة، والزهد في بناء الأسرة، وتصوير رعاية البيت وتربية الأطفال على أنها عبودية وتخلف أو تضيق لكيان المرأة وطموحها.

ونتيجة لذلك، نشأ لدى بعض الفتيات صراع داخلي، وتمزق بين فطرتها التي تدعوها للاستقرار وبناء الأسرة، وبين الضغط المجتمعي الذي يطالبها بالركض اللامتناهي في ميدان العمل والمنافسة المهنية، مما قد يؤدي في النهاية إلى تأخر الزواج، أو كثرة الطلاق بسبب ندية العلاقة مع الزوج أو إهمال تربية الجيل القادم وتفويض أمانة التربية للعاملات المنزليات.

ثانياً: التأصيل الشرعي من الكتاب والسنة: إن الإسلام لم يحرم المرأة العلم ولا العمل الذي يناسب فطرتها وطبيعتها، بل إن العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة. وقد حفلت بيوت المسلمين عبر التاريخ بعلماء وفقهات ومحدثات يرجع إليهن الفحول من العلماء.

ولكن الإسلام وضع كل شيء في موضعه الصحيح، وجعل لكل من الرجل والمرأة وظيفة فطرية تتكامل ولا تتقاطع. قال الله تعالى مبيناً هذا التمايز العادل: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

ويقول سبحانه وتعالى مرسخاً قرار المرأة ووظيفتها الأساسية في بيتها وصيانة مجتمعها: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها»^(١).

فهذا النص النبوي يحدد الثغر الأعظم والوظيفة الكبرى للمرأة، وهي رعاية الأسرة وبناء الجيل، وهي رسالة لا تقل أهمية - بل تفوق في أحوال كثيرة - أي وظيفة مكتبية أو مهنية خارج البيت.

ثالثاً: سبل المعالجة والخطوات التربوية والعملية:

على المربي اللبيب أن يقود طموح ابنته نحو التوازن والاعتدال، من خلال ترسيخ المفاهيم التالية:

١- **إعادة تعريف النجاح الحقيقي:** يجب غرس مفهوم أن النجاح في المنظور الإسلامي يبدأ بصلاح الدين والتقوى ونيل رضا الله سبحانه وتعالى. وإن أعلى الشهادات الدنيوية لا قيمة لها إن كانت على حساب الصلاة أو الحجاب أو الحياء.

٢- **العلم والعمل في إطار العبودية والعفة:** لا مانع من أن تدرس البنت وتتفوق في شتى العلوم النافعة (كالطب، والتعليم، والتمريض، والشريعة، واللغات)، بل إن الأمة تحتاج لطبيبات وفقهات ومربيات. ولكن بشرط أن يكون ذلك في إطار العبودية والالتزام بالضوابط الشرعية: من عدم الاختلاط الماجن، والالتزام بالحجاب الكامل، والبعد عن الخلوة، والتحلي بالأدب النبوي عند الحديث والتعامل.

(١) سبق تخريجه.

٣- تأصيل عظم رسالة الأمومة وصناعة الأجيال: ينبغي للأم والأب أن

يفخرا أمام ابنتهما بدور المرأة كزوجة وأم. ونعلمها أن إنجاب طفل مسلم وتربيته ليكون عبداً صالحاً لله، ينفع الأمة، هو مشروع استثماري عظيم يمتد أثره بعد الموت، مستشهدين بحديث النبي ﷺ: «أو ولد صالح يدعوه له»^(١).

٤- تنمية المهارات المرنة والعمل عن بعد: في هذا العصر وتطور تقنياته،

يمكن للمربي تشجيع ابنته على تعلم العلوم والمهارات التي تمكنها من العطاء والإبداع والإنتاج المالي والثقافي من داخل بيتها: كالبرمجة، والتصميم، والترجمة، والكتابة، والتدريس عن بُعد. هذا يوفر لها الطموح الذاتي ويحفظ لها وقت بيتها وعفتها.

✽ المبحث الرابع: تأخر الزواج وضغوط المجتمع بين عضل الآباء وتيسير السنة:

أولاً: تشخيص الداء والواقع المعاصر: تشتكي بيوت المسلمين اليوم من ظاهرة مقلقة وآخذة في الازدياد، وهي تأخر سن الزواج لدى قطاع كبير من الفتيات أو ما يُطلق عليه مجتمعياً «العنوسة». هذه المشكلة أفرزت ضغوطاً نفسية، واجتماعية، وعاطفية هائلة على الفتيات، وجعلتهن عرضة لوساوس الشيطان أو تلميحات المجتمع القاسية التي لا ترحم.

وأبرز أسباب هذه المشكلة المعاصرة تعود إلى:

المغالاة الفاحشة في المهور: وإرهاق كاهل الشباب بالتكاليف الباهظة للحفلات والمظاهر الكاذبة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، «باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته» (٥ / ٧٣).

التعنت في الشروط: من طلب مناصب معينة أو مساكن بمواصفات خيالية أو اشتراط إنهاء الدراسة العليا والتوظيف أولاً.

العضل الخفي: حيث يرد بعض الآباء الحُطّاب الأكفاء طمعاً في راتب البنت الموظفة أو لأسباب قبلية وطبقية جاهلية لا يقرها شرع ولا عقل.

ثانياً: التأصيل الشرعي من الكتاب والسنة: لقد جاءت الشريعة الإسلامية الغراء بالأمر بتيسير النكاح، وحثت الأولياء على إعانة الشباب والفتيات على العفاف، وحذرت من مغبة الرfid والتعنت. قال الله تعالى مبيناً هذا الواجب الاجتماعي: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه، إلا تفعلوا، تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض»^(١).

تأمل هذا التحذير النبوي الشديد: «تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض». وإن واقعنا المعاصر اليوم يشهد بصدق هذا الوعيد النبوي؛ فحين عسر الناس الحلال، سهّل الشيطان الحرام، وفتحت قنوات الفساد أبوابها.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة»^(٢).

ثالثاً: سبل المعالجة والخطوات التربوية والعملية:

لمواجهة هذه المعضلة الاجتماعية وتخفيف الضغط عن كاهل بناتنا، ينبغي سلوك المسارات التالية:

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، «باب ما جاء فيمن ترضون دينه وفروجه» (٢/ ٥٥٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، «مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها» (٤٠ / ٩ ط الرسالة).

١- إسقاط الأعراف الجاهلية والمظاهر الاجتماعية: على الآباء والأولياء

أن يكونوا شجعاناً في تطبيق الهدي النبوي، فيقبلوا بالشاب صاحب الدين والخلق وإن كان متوسط الحال مالياً، ويختصروا تكاليف الزواج المظهرية التي تمحق البركة وتثقل كاهل الميزانية.

٢- التحصين النفسي والروحي للفتاة المتأخرة في الزواج: إذا تأخر زواج

الفتاة لأقدار خارجة عن إرادتها، هنا يأتي دور المربي في تثبيت قلبها، وتعليمها فقه الرضا بالقضاء والقدر، وأن الزواج رزق كالموت والحياة مكتوب عند الله. نذكرها بقوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٣- عدم حصر قيمة الفتاة بالزواج فقط: ينبغي ألا تشعر الفتاة في بيتها

بأنها عبء أو ناقصة لأنها لم تتزوج. ويجب إشعارها بكرامتها، واحترام كيانها، وإشغال وقتها بما ينفعها من طاعات وعلم وعطاء، فالمرأة المسلمة مكرمة ومأجورة في كل أحوالها إذا صبحت واتقت.

٤- العرض الشرعي اللطيف: لا عيب في الدين أن يبحث الأب أو الولي

لابنته عن الرجل الصالح ويعرضها عليه تلميحاً أو تصريحاً بطريقة تحفظ كرامتها وحياءها، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عرض ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، وكما فعل الرجل الصالح مع موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَنَكُونَ بِكَ كَهَاتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧].

✽ المبحث الخامس: المؤثرات الفكرية والإعلامية، وحراسة العقيدة

وتفكيك الشبهات الوافدة:

أولاً: تشخيص الداء والواقع المعاصر: إن المعركة الأخطر في هذا الزمان لم تعد معركة على السلوك الظاهر فحسب، بل هي معركة أفكار ومفاهيم وقيم تستهدف اجتثاث الهوية الإسلامية من جذورها. وتواجه الفتاة المسلمة اليوم ضخماً فكرياً هائلاً عبر المسلسلات، والروايات، والمقالات، والمنصات الترويجية التي تبث أفكاراً بالغة الخطورة مثل:

الأفكار النسوية المتطرفة: التي تدعو للتمرد على الأسرة، ورفض قوامة الرجل الأب أو الزوج، وتصوير الأحكام الشرعية على أنها ظلم للمرأة.

الليبرالية والمادية: التي تجعل من الجسد واللذة المادية محور الحياة، وتدعو للحرية المطلقة المنفلتة من ضوابط الوحي.

التشكيك في الثوابت: وإثارة الشبهات حول الحجاب، والميراث، وتعدد الزوجات، والحديث النبوي، بهدف إيقاع الفتاة في حيرة فكرية وإلحاد نفسي مبطن. إن الفتاة التي تفتقر إلى التحصين الفكري والعقدي تكون كالعشب الهش في مهب الريح، تتقاذفها الشبهات وتقتلعها العواصف الفكرية بسهولة.

ثانياً: التأصيل الشرعي من الكتاب والسنة: لقد حذرنا الله تعالى من مكر الأعداء وسعيهم الحثيث لصرف المسلمين عن دينهم وقيمهم، فقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ

أَنْفُسِهِمْ ﴿البقرة: ١٠٩﴾.

ويقول جل وعلا مبيناً خطورة الاستماع لرواد الباطل وشبهاتهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في الحديث العظيم عن الفتن، قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، وفيه أن النبي ﷺ قال: «دعاة على أبواب جهنم، من أجاهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»^(١).

وهذا الوصف النبوي ينطبق تمام الانطباق على كثير من صناع المحتوى والإعلاميين المنتسبين للأمة الذين يثنون الشبهات والشهوات ويهدمون قيم الحياء والعفة في نفوس الفتيات.

ثالثاً: سبل المعالجة والخطوات التربوية والعملية: لحماية عقول بناتنا وتحصينهن ضد الغزو الفكري، **يجب على المربي اتخاذ التدابير التالية:**

١- بناء العقيدة على بصيرة ويقين: لا يكفي اليوم أن تنشأ البنت على «التقليد المجرد» أو الإسلام بالوراثة. يجب أن تتعلم أصول عقيدتها ببراہينها؛ نعلمها لماذا نؤمن بالله؟ ولماذا القرآن هو كلام الله المعجز؟ ولماذا نلتزم بأوامر الشريعة؟ إن البنت التي تملك قاعدة عقديّة صلبة وتعرف أدلة دينها، يتضاءل أمام عينها كل فيض من الشبهات الوافدة.

(١) متفق عليه، واللفظ عند البخاري في صحيحه، «باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة» (٩/ ٥١).

٢- الانتقال من أسلوب الإملاء إلى أسلوب الحوار العقلاني: كان

المرابي قديماً يأمر فيطاع بلا نقاش، أما اليوم مع هذا الانفتاح، فإن أسلوب القمع والإسكات يولد الانفجار والشك الخفي. ويجب أن نفتح صدورنا لأسئلة بناتنا، حتى وإن كانت الأسئلة حساسة أو مشككة، وناقشها بهدوء، وحلم، وعلم، مستحضرين هدي النبي ﷺ حين أتاه الشاب يستأذنه في الزنا، فلم يجمع ولم يزجر، بل قرب به وحواره عقلياً وعاطفياً، فعن أبي أمامة، قال: «إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أئذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه، فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: «ادنه» فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: «أتجبه لأمك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتجبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم» قال: «أفتجبه لأختك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» قال: «أفتجبه لعمتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم» قال: «أفتجبه لخالتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه» قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»^(١). حتى اقتنع الشاب وخرج والزنا أبغض شيء إليه.

٣- تفكيك الشبهات المعاصرة بأسلوب مبسط: على المرابي أو من

يستعين بهم من أهل العلم أن يعقد مجالس دورية مع بناته لتفكيك بعض المفاهيم

(١) أخرجه أحمد في المسند، «حديث أبي أمامة الباهلي» (٣٦ / ٤٥١ ط الرسالة).

الرائجة. على سبيل المثال: نناقش مفهوم «الحرية» ونبين أن الحرية الحقيقية هي التحرر من عبودية الهوى والشهوات إلى عبودية رب العباد، وأن الحجاب ليس قيداً وإنما هو صيانة وتشريف كالغلاف الذي يحمي اللؤلؤة الغالية.

٤- التوعية والتحذير من الحسابات والمنصات المشبوهة: تعليم الفتاة

فقه «المنع الوقائي» لعقلها، فلا تقرأ لروايات تروج للشذوذ أو التمرد، ولا تتابع حسابات نسوية أو إلحادية من باب الفضول، ف «القلوب ضعيفة، والشبهات خطافة».

❁ المبحث السادس: إعداد البنت لخدمة الأمة :

أولاً: تشخيص الواقع المعاصر: إن من النظرات القاصرة في بعض البيئات التربوية، اختزال وجود الأنثى في أنها «مشروع زواج» ينتهي ببيت الزوجية فحسب، مما يورث الفتاة خملاً في الهمة وزهداً في معالي الأمور. والواقع المعاصر يثبت أن الأمة تحتاج إلى فقه المرأة وعلمها وعطاءها؛ فالإسلام يرى في البنت مشروعاً رسالياً ضخماً، وعقلاً منتجاً، وقوة إصلاحية قادرة على نفع مجتمعها متى ما رُبيت على فقه الرسالة. وإن زواج الفتاة ورعايتها لبيتها وثمر أمومتها هو شرفها الأسمى، لكنه يتكامل ولا يتعارض مع كونها صاحبة أثر علمي ودعوي واجتماعي يسع الأمة.

ثانياً: التأصيل الشرعي من الكتاب والسنة: لقد جعل الإسلام النساء

شقائق الرجال في حمل همّ هذا الدين والمسؤولية الاجتماعية، قال الله تعالى مبيناً هـ...إِذَا التَّكْلِيفُ الْمَشْتَرَكُ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

الباب الرابع عشر: مشكلات معاصرة في تربية البنات وسبل معالجتها في ضوء الوحي

وقد سطر التاريخ الإسلامي وسير السلف أروع الأمثلة في «المرأة الرسالية» التي تجاوز أثرها حدود بيتها لتصبح مدرسة لأمة كاملة:

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: المرجعية العلمية الأولى، والفقيهة المحدثه التي صححت لكبار الصحابة فتاواهم، ونقلت للأمة ربع الأحكام الشرعية.

أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: صاحبة الرأي التربوي والسياسي السديد الذي أنقذ الأمة من فتنه عظيمة يوم الحديبية برصانة عقلها.

الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها: المصلحة الباحثة التي كانت تكتب وتقرأ، وولّاهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظام الحسبة والإشراف على السوق في المدينة لثقته بعلمها وأمانتها.

ثالثاً: سبل المعالجة والخطوات التربوية والعملية: توسيع مدارك الطموح: ينبغي للأب المربي أن يغرس في نفس ابنته همّ الدين وبناء المجتمع؛ فيشجعها لتكون معلمة تبذل ظلمات الجهل أو داعية تدّوي جراح القيم أو باحثة تخدم البشرية بعلمها وعفتها.

الربط بالقدوات الحية: ربط الفتاة بعالمات الأمة ومربياتها عبر التاريخ، لتعلم أن قيمتها تتجاوز المظاهر التافهة إلى صناعة الأثر الباقي.

تنمية العطاء المتزن: تدريب الفتاة على الإنتاج العلمي والفكري المباح، واستثمار مهاراتها اليدوية أو الرقمية من داخل بيتها لخدمة قضايا أمتها، فإن الفتاة إذا عاشت لرسالة كبيرة ترفعت نفسها عن سفساف الأمور وصغائر الفتن.

وأثر الصدق مع الله في التربية نافعة، وإن التحديات المعاصرة مهما تعاظمت، ومهما بلغت قوتها وإمكاناتها الإعلامية والتقنية، فإنها لا يمكن أن تفوق قدرة التربية الصالحة القائمة على الإيمان، والرحمة، والمتابعة الحكيمة، والصدق مع الله سبحانه وتعالى.

إن قلوب بناتنا بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وما على المري إلا بذل السبب، واستفراغ الجهد، والالتجاء بالدعاء والتضرع في آناء الليل وأطراف النهار بأن يحفظ الله ذريته.

ما أحوج الآباء والأمهات اليوم إلى أن يجمعوا في تعاملهم مع بناتهم بين:

قلب حانٍ: يفيض بالمحبة، والعطف، والأمان.

وعقل واعٍ: يفهم تحديات العصر، ويفكك العقد والمشكلات بحكمة.

ومنهج نبوي مستقيم: يستمد من مشكاة الوحيين النور والهدى والرشاد.

فإذا التقى صدق المري مع صلاح المنهج، خرجت للامة -بإذن الله- فتيات صالحات، قانتات، حافظات للغيب بما حفظ الله، ثابتات على الحق كالجبال الراسيات، يكنّ قرة عين لوالديهن في الدنيا، وذخراً ورفعة في الدرجات يوم يلقون الله جل وعلا.

يا ابنتي.. الآن أضع القلم، وأترك لك المهمة. لقد رسمنا لك الطريق، ونقلنا لك عبق الحجرات النبوية، وصغنا لك عقلية القائد في روح الأنتى. انطلقى إلى حياتك الجديدة وأنت فخورة بدينك، معترزة بهويتك، مسلحة بعلمك، وكوئي

مباركةً أينما كنت، واجعلي من بيتك منارةً يُهتدى بها.

استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، ونسأله أن يبارك في غرسنا هذا، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

واللهم احفظ بناتنا وبنات المسلمين، وزينهن بزينة الإيمان، واجعلهن هاديات مهتديات، وحصن فروعهن، وطهر قلوبهن، وأصلح عقولهن، واجعلهن قرة عين لآبائهن وأمهاتهن في الدنيا والآخرة، إنك سميع مجيب الدعاء.





الخاتمة



الخاتمة

ليست التربية كلمات تُقال، بل أثر يُبنى ويُورث. وإنك لا تصنع بنتاً فقط، بل تصنع: أمّاً، ومربية، وقدوة، وذخراً لك في الآخرة، فاحرص أن يكون هذا البناء: على نور الوحي، وعلى ميزان الحكمة، وعلى رحمة لا تنقطع.

فإن انتهت رحلة الدنيا... بدأت رحلة الأثر الأبدي.

وها نحن نصل إلى ختام هذه الرحلة الطويلة التي طفنا فيها حول حمى الغاليات المؤمنات. وإن هذه الكلمات التي بين يديك لم تكن مجرد حبرٍ على ورق، بل هي زفراءٌ غيور ونصائحُ محب ودراساتُ باحث أراد أن يبرئ ذمته أمام الله تجاه أئمن ما نملك.

لقد رأينا في هذا الكتاب كيف أن الإسلام قد بنى للبنات حصناً من الكرامة لا تطوله الأيدي، وجعل من الإحسان إليها طريقاً مختصراً لمرافقة النبي ﷺ في الجنة. ولكن، يا أخي الأب، يا أخي المربي، إن العبرة ليست بالقراءة بل بالأثر. إن هذا الكتاب سيقف شاهداً علينا يوم القيامة؛ هل غيرنا من تعاملنا مع بناتنا؟

هل كسرنا قيود الإسراف والتباهي؟

هل أعطينا الأنثى حقها المالي والنفسي والتربوي ييقين الراضي لا بتردد

الخائف؟

إننا نختتم هذا العمل بميثاق الوفاء: ميثاق مع الله: أن تكون بناتنا أمانةً
نؤديها كما يحب ربنا ويرضى.

ميثاق مع النبي ﷺ: أن نتبع سنته في الرفق بالقوارير، ونحطم عادات الجاهلية
تحت أقدامنا.

ميثاق مع بناتنا: أن نكون لهن الجدار الذي لا يميل، والستر الذي لا
ينكشف، والحب الذي لا ينقطع.

يا ريحانة الدار، ويا قرة العين، إن هذا الكتاب هو وعدٌ منا بأن تظلي غاليةً
في ظل الوحي، ملكةً في كنف أبيك، معززةً في مجتمعك.

نداء الوداع: إلى لقاءٍ عند الحوض: يا كلَّ أبٍ طوى صفحةً هذا الكتاب
ليمسح على رأسِ ريحانته..

لقد انتهت الكلمات، وبدأ الجهاد الأكبر.

لقد جفَّ القلمُ هنا، لكنَّ الأثر سيظلُّ يسري؛ يسري في بسمَةِ رضا ترسمها
على وجهِ ابنتك، يسري في حقِّ مالي تعطيه إياها بطيبِ نفس، يسري في حوارٍ
حكيم يقيها عواصفَ الفتن.

الوداع الحقيقي ليس هنا..

بل الوداع الحقيقي هو لقاء في فردوسٍ لا فراق فيه، تحت ظل عرش الرحمن،
هناك حيث يقول لنا المصطفى ﷺ وهو يتسم لصنيعنا: «أنا وهو كهاتين»، فإلى
ذلك اللقاء..

نستودعُ الله بناتنا، ونستودعُ الله أعمالنا.
ونسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله بقبولٍ
حسن، وأن يجعل كل كلمةٍ فيه شجرةً طيبة تؤتي أكلها في كل بيت مسلم.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسامة بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن الوكيل

خميس مشيط

Osamaalwakeel2016@gmail.com





فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الباب الأول: هبة الوهاب ومنزلة البنات في هدي الوحيين	١١
المبحث الأول: الكرامة بعد الاستضعاف	١٢
المبحث الثاني: هبة الوهاب، والرضا بالموهوب	١٤
المبحث الثالث: المؤنسات الغاليات وحفاوة المعنى	١٦
المبحث الرابع: الجزاء الأوفى والمآل الأخروي لمربي البنات	١٨
المبحث الخامس: الهوية المعنوية والميثاق الأول، وحسن التسمية	٢١
المبحث السادس: بيت النبوة مدرسة الآباء	٢٢
المبحث السابع: رفقا بالقوارير	٢٣
المبحث الثامن: التسوية بين البنين والبنات في الفرع والاستقبال	٢٥
المبحث التاسع: ميزان العدل بين الأبناء	٢٧
المبحث العاشر: الحماية الفكرية والبناء العلمي للبنات	٢٧
المبحث الحادي عشر: الولاية الحانية للبنات لا القسوة المفتعلة	٢٩
الباب الثاني: البنات من المهد إلى الرشد، ومدرسة البناء والحماية	٣٣
المبحث الأول: احتواء البنات، وفقه اللمسة والحنان	٣٤

الموضوع

الصفحة

- المبحث الثاني: النفقة الطيبة وكفاية البدن وعزة الروح ٣٧
- المبحث الثالث: سلاح العلم وبناء الوعي وحراسة الفضيلة ٣٨
- المبحث الرابع: فقه العدل وميزان القلوب ٤٠
- المبحث الخامس: الغيرة الراشدة وصيانة الجوهرة ٤٠
- المبحث السادس: البيئة الطاهرة واختيار محضن الصلاح ٤١
- المبحث السابع: الحوار الهادئ وبناء جسور الثقة ٤٢
- المبحث الثامن: تربية الروح وغرس مراقبة الله ٤٣
- المبحث التاسع: فن التغافل ورحمة الأبوة في معالجة الزلات ٤٥
- المبحث العاشر: مرحلة المراهقة وعبور الأمان بين العاطفة والعقل ٤٦
- المبحث الحادي عشر: التدرج في التربية وفقه المراحل العمرية ٤٦
- المبحث الثاني عشر: القرآن مآدبة الله في أرضه، وبناء الوجدان ٤٧
- المبحث الثالث عشر: ميثاق العفاف والحجاب عند البلوغ ٤٨
- الباب الثالث: البنت ريحانة المجتمع وزهره بستانه** ٥١
- المبحث الأول: البنت أم أبيها، وفقه الصداقة بينهما ٥٢
- المبحث الثاني: الثقة الممنوحة للبنت، وتفويض الصلاحيات ٥٤
- المبحث الثالث: حراسة الحياء، فالحياء قوة لا ضعف ٥٥
- المبحث الرابع: فقه اللباس والستر، وجمال الخصوصية وعزة الانتماء ٥٧

الموضوع

الصفحة

- المبحث الخامس: البيئة الرقمية، وحماية القوارير في الفضاء المفتوح ٥٩
- المبحث السادس: اختيار الصديقات، وميزان الرفقة الصالحة ٦١
- المبحث السابع: عزة المؤمنة، ومحاربة التبعية والتقليد الأعمى ٦٣
- المبحث الثامن: فقه التميز العلمي، والأنثى كعقل منتج ومؤثر ٦٥
- المبحث التاسع: إدارة المشاعر، والثبات الانفعالي في مواجهة الابتلاء ٦٦
- المبحث العاشر: دور البنت في الإصلاح الاجتماعي ٦٨
- الباب الرابع: ميثاق الأمان، والزواج بين بساطة السنة وتعقيد العادات** ٧١
- المبحث الأول: أعظمهنَّ بركة، والحكمة النبوية في تيسير المهور ٧٢
- المبحث الثاني: التعبُّدُ المجتمعي، حين تُقدَّمُ العادة على العبادة ٧٣
- المبحث الثالث: فتنةُ الحفلات، حين يُستبدل الفرح بالاستعراض ٧٣
- المبحث الرابع: معدنُ الرجال، حين يُقدَّمُ الدين على المال ٧٤
- المبحث الخامس: البيت قبل العرس، وفقه البناء قبل فقه الاحتفال ٧٥
- المبحث السادس: الوليمةُ النبوية هي إطعامُ الطعامِ بغيرِ مباحاة ٧٩
- المبحث السابع: ميثاق الرضا، وحق البنت في الاختيار ومنع الإكراه ٨١
- المبحث الثامن: كلامُ الناس وتخطيطُ الأوثان النفسية في طريق العفاف ٨٤
- المبحث التاسع: البركةُ الضائعة، وأثرُ الذنوبِ في تكاليفِ الزواج ٨٥
- المبحث العاشر: استقلالية البيت، والبناءُ على المحبة لا على الديون ٨٧
- المبحث الحادي عشر: توثيق الحقوق المالية، وضبط النزاع قبل وقوعه ٨٨

الباب الخامس: ميزان القسط، والحقوق المالية والميراث في حمى الوحي . ٩١

المبحث الأول: نصيباً مفروضاً، وثورة الوحي على حرمان الإناث ٩٢

المبحث الثاني: ابتنا سعد بن الربيع، وحين نزل الوحي نصرةً لليتيمات ٩٣

المبحث الثالث: للذكر مثل حظ الأنثيين، وعدالة التكليف لا تفضيل الجنس ٩٤

المبحث الرابع: الذمة المالية المستقلة ٩٦

المبحث الخامس: تعبد العرف في حرمان الميراث ٩٧

المبحث السادس: ميراث المشاعر والذكريات ٩٩

المبحث السابع: منح العطايا وفق الحاجة ١٠٠

المبحث الثامن: مال البنت صيانة لا استغلال ١٠٢

المبحث التاسع: الصدقة والزكاة ١٠٢

المبحث العاشر: استثمار مال اليتيمة ١٠٣

الباب السادس: التربية الإيمانية والمالية للبنات المسلمة ١٠٥

المبحث الأول: ميزان الدنيا والآخرة، وتحرير قيمة الإنسان من سلطة المال .. ١٠٦

المبحث الثاني: فقه القناعة والرضا، والغنى الحقيقي في ضوء الوحي ١٠٧

المبحث الثالث: حماية البنت من فتن المال، والتربية على الوعي لا الاستهلاك .. ١٠٧

المبحث الرابع: دور الأب في بناء الوعي، والرعاية لا السيطرة ١٠٨

المبحث الخامس: الاستيعاب العاطفي للمراهقة، وعبور الأمان في بحر التقلبات ١٠٩

المبحث السادس: مواجهة التنمر الاجتماعي، وعزة البنت فوق سخرية الخلق ١١١

الموضوع

الصفحة

- المبحث السابع: سندُ الأرملة، والوفاءُ لما بعد الرحيل ١١٤
- المبحث الثامن: فقه الخلافات الزوجية، دور الأب كمصلح لا كمشعل ١١٦
- المبحث التاسع: أزمة المرض والابتلاء الجسدي، والرضا بأقدارِ الله ١١٨
- المبحث العاشر: البنت أمانة الله إلى يوم اللقاء ١٢١

الباب السابع: ميثاق التيسير، وكسر أغلال العادات، وجاهلية الجهاز

- والأفراح ١٢٤**
- المبحث الأول: ميزان التكليف الشرعي، ومن يجهز بيت الزوجية؟ ١٢٥
- المبحث الثاني: مقبرة الأموال، قصور الأفراح والمباهاة بالولائم ١٢٦
- المبحث الثالث: ليل المنكرات، والسهر المذموم والفرق الغنائية والذي جي ١٢٦
- المبحث الرابع: طوفان الزينة المصنعة، بدعة الكوفيات والمغالاة في التجميل ... ١٢٧
- المبحث الخامس: نداء إلى الضمير الجماعي، ورسالة إلى الأقارب والمجتمع ١٢٧
- المبحث السادس: صرخة أب، والأمانة التي ضاعت بين الشروط والعادات ١٢٨
- المبحث السابع: بدعة النيش وتكديس المتاع، وعبادة الأصنام الزجاجة ١٢٨
- المبحث الثامن: جناية قائمة المنقولات، صكوك الحبس والنزاع ١٢٩
- المبحث التاسع: صرخة ضد السيشن والمجاهرة بالخلوة المصورة ١٣٠
- المبحث العاشر: محاربة الفشخرة الكاذبة على حساب الضرورات ١٣٠
- المبحث الحادي عشر: رسالة إلى أهل العريس، وكفى طمعًا وجورًا ١٣١
- المبحث الثاني عشر: المبادرة التيسيرية، نحو وثيقة تيسير في كل قرية ١٣١

الموضوع

الصفحة

- المبحث الثالث عشر: كلام الناس وعقدة النقص الاجتماعي ١٣١
- المبحث الرابع عشر: فقه الأولويات في بناء الأسرة الناشئة ١٣٢
- المبحث الخامس عشر: الوليمة بين الهدي النبوي وسرف الجاهلية ١٣٢
- المبحث السادس عشر: جناية التصوير الفوتوغرافي والفيديو والاختلاط ١٣٣
- المبحث السابع عشر: دور المسجد والعائلة الكبيرة في حماية الآباء ١٣٣
- المبحث الثامن عشر: رسالة إلى الخاطب الرجل الذي نريد ١٣٣
- المبحث التاسع عشر: فوضى تعدد الحفلات، استنزاف الأعمار والأموال ١٣٤
- المبحث العشرون: رقص أشباه الرجال واختلاط المفاهيم ١٣٤
- المبحث الحادي والعشرون: رقص النساء ومفاتيح الكاميرات الخفية ١٣٥
- المبحث الثاني والعشرون: قصور الأفراح وقصور العقول جناية المال الضائع ١٣٥
- المبحث الثالث والعشرون: الزواج عبادة لا استعراض ١٣٥
- المبحث الرابع والعشرون: أقنعة الخطبة وفجور الخصومة، ومأساة النسب الضائع ١٣٦
- المبحث الخامس والعشرون: نارُ الوشاة، وجناية الأقارب في هدم صروح البيوت ١٣٧
- المبحث السادس والعشرون: غلو الاستعلاء، وأم الزوج وظلم التملك ١٣٨
- المبحث السابع والعشرون: جفاف الحقوق، الزوجة بين اللزوم الشرعي وسمو المرأة .. ١٣٩
- المبحث الثامن والعشرون: حق الأب الميسر على صهره، الوفاء لا الجحود .. ١٤٠
- المبحث التاسع والعشرون: هدايا الأعياد والمناسبات، بين العطاء الطوعي والإكراه الاجتماعي ١٤٠

الموضوع

الصفحة

- المبحث الثلاثون: الخصوصية الرقمية، وهدم البيوت عبر الشاشات ١٤١
- المبحث الحادي والثلاثون: فقه الخلاف المسموع، لا تُسمعوا الجيران عوراتكم ١٤١
- المبحث الثاني والثلاثون: إتاوات المواسم، بدعة الإطعام القسري وإذلال الأولياء ١٤٢
- المبحث الثالث والثلاثون: وثيقة التيسير لزواج القوارير ١٤٤
- الباب الثامن: حصن المستقبل، حراسة الفطرة وصناعة القدوة**

- القائده** ١٤٨
- المبحث الأول: حماية الفطرة في زمن الذوبان الرقمي ١٤٩
- المبحث الثاني: اعتزاز الأنثى بفطرتها، والرد على دعوات التشويه والتمرد ١٥٠
- المبحث الثالث: بناء الشخصية القيادية، والبنت صانعة القرار لا تابعته ١٥٠
- المبحث الرابع: ميثاق الأمانة، والبنت في بيت الزوجية ١٥١
- المبحث الخامس: الصدقة الجارية، والبنت ميراث الأب إلى الآخرة ١٥٢
- الباب التاسع: صياغة الروح القيادية، والمنهج النبوي في بناء**

- عقل البنات وإعدادها للميثاق الغليظ** ١٥٣
- المبحث الأول: فقه الثبات والاعتزاز بالهوية ١٥٥
- المبحث الثاني: البنت وعلوم الاستنباط وتدريب العقل ١٥٧
- المبحث الثالث: رجاحة العقل قبل زينة الجسد ١٥٨
- المبحث الرابع: مصفاة النقد، وكيف تميز البنت بين الغث والسمين؟ ١٥٩
- المبحث الخامس: البنت وذكاء المسافة.. وفقه الخصوصية في زمن الانفتاح ١٥٩

الباب العاشر: فقه العشرة وجمال الروح، ودستور البنت في

بيت الزوجية ١٦١

المبحث الأول: الذكاء الاجتماعي وفن إدارة المشاعر ١٦٢

المبحث الثاني: فقه الاحتواء والذكاء الأنثوي عند الأزمات ١٦٤

المبحث الثالث: فقه الرضا وعلاج الغيرة المقيتة، وقصة الصحيفة المكسورة ١٦٤

المبحث الرابع: فقه الأزمة والصبر الجميل عند ضيق الحال، وقصة أسماء

مع الزبير ١٦٥

المبحث الخامس: الترويح المباح وتحديد روح الود، وقصة مسابقة عائشة

ومزاح سودة ١٦٦

المبحث السادس: الثقافة المالية وحسن التدبير، وقصة زينب بنت جحش

وأسماء رضي الله عنهن ١٦٧

المبحث السابع: أدب الاختلاف وتدبير النزاع وعقلية الإصلاح لا المغالبة ١٦٨

المبحث الثامن: أنوثة البنت في لينها لا في عنادها، وفقه القوام والسكينة ١٦٨

المبحث التاسع: فقه التبعل والجمال الداخلي، وزينة البيت أولى بالرعاية ١٦٩

المبحث العاشر: صلة الأرحام بالتبعية، إكرام أهل الزوج مروءة وشيمة ١٧٠

المبحث الحادي عشر: فقه الجحود، ومن التذلل والمداهنة عند الخطبة إلى

التسلط بعد الدخول ١٧١

المبحث الحادي عشر: الاستبداد الذكوري، وسجن القوارير خلف جدران الطاعة ... ١٧٢

الموضوع

الصفحة

- المبحث الثاني عشر: الطفيليات الزوجية، وجشع الشباب في مال
 ١٧٣ والد العروس
- المبحث الثالث عشر: الوفاء للأصل، كرامة الأب من كرامة البنت ١٧٤
- المبحث الرابع عشر: فقه الكرم وبشاشة الوجه، وإكرام الزوجة لضيوف زوجها . ١٧٤
- المبحث الخامس عشر: ربحانة المحبرة، وصبر البنت على زوجها طالب العلم .. ١٧٦
- المبحث السادس عشر: مملكة النقاء، واهتمام الفتاة بنظافة بيتها وتربيته ١٧٨
- المبحث السابع عشر: ربحانة المحارب، واهتمام الفتاة بحلقات تحفيظ القرآن
 ١٧٩ والانتساب إليها
- المبحث الثامن عشر: فقه الجوار وبسط المعروف، واهتمام الفتاة بحسن
 ١٨٠ عشرة جيرانها
- المبحث التاسع عشر: أمانة الرحم، وإعداد الزوجة لدور الأمومة وصناعة
 ١٨٢ الأجيال
- المبحث العشرين: الأثر الخالد، والدور المباشر للأم في تشكيل عقيدة
 ١٨٥ الجيل وسلوكه
- الباب الحادي عشر: البنت المصلحة، والدور الاجتماعي والقيادي**
- لها في الهدى النبوي** ١٨٩
- المبحث الأول: البنت وصناعة الأمن النفسي للمجتمع ١٩٠
- المبحث الثاني: البنت كمرجع علمي وتصحيح مفاهيم الرجال ١٩١

الموضوع

الصفحة

- المبحث الثالث: البنت حارسُ القيم في الفتن ١٩٢
- المبحث الرابع: حصن العفاف، وتفكيك الشبهات النسوية ووهم التحرر الزائف ١٩٣
- المبحث الخامس: إدارة الأزمات العائلية، فالبنْتُ وسيطُ السلام ١٩٥
- المبحث السادس: دبلوماسية القوارير وفن الوساطة في الإصلاح ١٩٦
- المبحث السابع: البنا وصناعة الوعي التاريخي وحفظ ميراث النبوة ١٩٧
- المبحث الثامن: السمات الصامتة، وهيبة الوقار في التأثير الاجتماعي ١٩٧

الباب الثاني عشر: فقه البيوت، وساعات ممتعة في رحاب

- الحجرات النبوية دراسة تحليلية للواقع التطبيقي ١٩٩
- المبحث الأول: ساعة المكاشفة والوساطة، حين يغيبُ الرضا ويحضرُ الأب ... ٢٠١
- المبحث الثاني: ساعة تخيير القوارير، أزمة النفقة وضريبة الوفاء ٢٠٢
- المبحث الثالث: ساعة جبر الخواطر، وعندما تنكسرُ الصحفُ وتثورُ الغيرة ٢٠٤
- المبحث الرابع: ساعة التدثير الأول، وخديجةٌ ل، وبناء ميناء الأمان ٢٠٥
- المبحث الخامس: ساعة مهنة الأهل، والقائدُ في مطبخ النبوة ٢٠٦
- المبحث السادس: ساعة الوفاء الممتد، الخالدةُ التي لم ترحل! ٢٠٧
- المبحث السابع: ساعة المؤانسةِ والسمر، وحديثُ: أم زرع وليل الحكايات ٢٠٩
- المبحث الثامن: ساعة الرقي في الخصام، إني لأعرف غضبك من رضاك ٢١٠
- المبحث التاسع: ساعة المؤازرة تحت الإشاعة، وأزمة الإفك وصبر الحجرة ٢١١
- الطاهرة ٢١١

الموضوع

الصفحة

- المبحث العاشر: ساعة اللطف في التفاصيل، صفية لودرجة الركوب ٢١٢
- المبحث الحادي عشر: ساعة العتاب الرقيق، وحادثة العسل ٢١٣
- المبحث الثاني عشر: ساعة المشورة الذهبية، أم سلمة في الحديبية، العقل
الذي أنقذ الأمة ٢١٤
- المبحث الثالث عشر: ساعة العقد الضائع، وابتلاء الأهل، وبركة للأمة ٢١٥
- المبحث الرابع عشر: ساعة اللعب والمؤانسة، والحبشة في المسجد وظل النبوة ٢١٧
- المبحث الخامس عشر: ساعة الغيرة العاقلة، وقصة صفية والكلمة التي تمزج البحر ٢١٨
- المبحث السادس عشر: ساعة الاعتذار، وأبو بكر يسكت ابنته والنبي يتسم ٢١٩
- المبحث السابع عشر: ساعة الأحزان المشتركة، وفاة إبراهيم ودموع الرحمة ٢٢٠
- المبحث الثامن عشر: ساعة اللحظات الأخيرة، بين سحري ونحري ٢٢١

الباب الثالث عشر: وصايا الوداع والقاموس التربوي حقيبة العمر

- ومنارهُ المستقيل ٢٢٢
- المبحث الأول: الوصايا العشر الذهبية للبنات القيادية ٢٢٣
- المبحث الثاني: القاموس التربوي، ومفاهيم الهدى النبوي ٢٢٥

الباب الرابع عشر: مشكلات معاصرة في تربية البنات وسبل

- معالجتها في ضوء الوحي ٢٢٦
- المبحث الأول: الجولات ووسائل التواصل الاجتماعي، المربي الخفي
والفضاء المفتوح ٢٢٩

الموضوع

الصفحة

المبحث الثاني: الصديقات والعلاقات المؤثرة، عدوى السلوك وضغط

الأقران ٢٣٣

المبحث الثالث: الدراسة والعمل وبناء الطموح، بين التمكين الشرعي

والذوبان الفكري ٢٣٥

المبحث الرابع: تأخر الزواج وضغوط المجتمع بين عضل الآباء وتيسير السنة

المبحث الخامس: المؤثرات الفكرية والإعلامية، وحراسة العقيدة وتفكيك

الشبهات الوافدة ٢٤١

المبحث السادس: إعداد البنت لخدمة الأمة ٢٤٤

الخاتمة ٢٤٨

فهرس الموضوعات ٢٥٢

